

ISLAMIC UNIVERSITIES LEAGUE

Ligue des Universités Islamiques

Pox 242 B.P

Tél. 330-45 et 227-32

RABAT (Morocco)



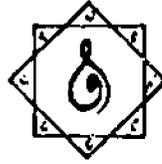
رابطة الجامعات الإسلامية

ص. ب. ٢٤٢.

هـ : ٢٣٠ - ٢٢٧ و ٤٥ - ٢٣

الرباط - المغرب

بحوث مؤتمر
الجامعات الإسلامية
في تكوين الدعاة



ندوة
الشيخ بن كليل الشريفة

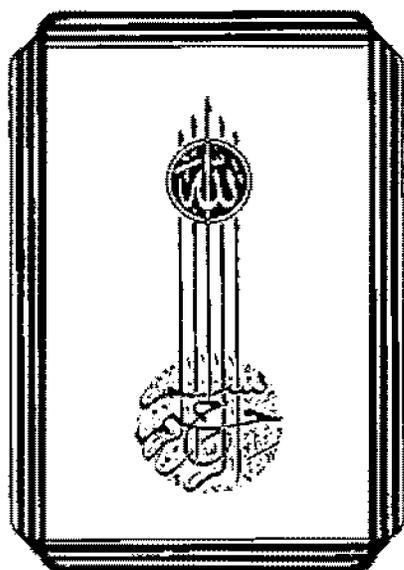
مقر المؤتمر والندوة / جامعة الأزهر - القاهرة
٢٤-٢٥ رجب ١٤٠٧ هـ ١٨-٢٢ أبريل ١٩٨٢ م

أشرفت على طباعته ونشره

إدارة الثقافة والنشر - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

القسم الثاني من بحوث مؤتمر دور الجامعات الإسلامية في تكوين الدعاة .

الرياض : ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م



**تدريب الدعاة
ودور الجامعات الإسلامية فيه**

للأستاذ يوسف محمود أحمد

محتويات

- مقدمة .
- التدريب ضرورة لكسب الخبرات .
- تعريف التدريب وخصائصه .
- أهداف التدريب ونتائجه .
- دور الجامعات في التدريب .
- خصائص التدريب (الداعية) .
- احتياجات التدريب .
- المهج الذي تقوم وزارة الأوقاف بحصر بتدريبه بمراكز التدريب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الموضوع : تدريب الدعاة ودور الجامعات الاسلامية فيه

مقدمة :

الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان، وركب فيه العقل ليميزه عن بقية مخلوقاته، وبهذا العقل فضله الله على سائر خلقه وسخر له السموات والأرض وما بينهما - واستخلفه فى ملكه لقوله تعالى : ﴿إِنى جاعل فى الأرض خليفة﴾
ليعمر الإنسان الدنيا وليعد الجماعة بعمل الفرد وتسهر الجماعة لخدمة الفرد، وليقيم الإنسان بعقله وعلمه العدل فى الأرض مصداقا لقوله تعالى : ﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾

وأصلى وأسلم على محمد صلى الله عليه وسلم عبدالله ورسوله الذى كرمه الله بأخر كتاب أنزله عليه ناسخا لما قبله من الكتب جامعا لحاجة البشر جميعا بقوله تعالى : ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾

هذا الكتاب الذى بدأ نزوله على رسوله بأول آية من آياته : ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾

وهذا التوجيه الربانى لرسوله عليه الصلاة والسلام كان إيذانا بقيمة العلم، وأن العلم هو الذى يعد البشرية - وكان أيضا توجيهها بأن التعليم إنما يكون بالقلم، وجاءت الآيات تتوالى بعد ذلك عن العلم وفضله وبمكانة العلم فى الأمم والعلم الذى يدعو إليه الإسلام هو العلم النافع لبناء المجتمع والذى يوصلنا إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، ويركز عقيدة التوحيد فى نفوس المؤمنين .

ومن الآيات التى تدعو إلى العلم قوله تعالى : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين

أوتوا العلم درجات﴾

ومن دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب الزيادة من العلم مصداقا لقوله تعالى: ﴿وقل رب زدنى علما﴾

ثم ترد الموازنة في القرآن الكريم بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ . .

وبأتى دور السنة الشريفة في تكريم العلم ففي الحديث الذي رواه أبو بردة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لهم أجران ثم ذكر من هؤلاء الثلاثة (ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها)» ومن هذا الحديث النبوي الشريف نعلم مكانة العلم في الإسلام . .

والإسلام يدعو المسلم إلى طلب العلم ويجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة - طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وجعل الإسلام درجة العالم عند الله خيراً وأفضل من درجة العابد ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾
والترغيب في طلب العلم والحث عليه يقول عليه الصلاة والسلام: «ومن سلك طريقاً يتبعى فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة» وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وقد حث الإسلام على النفور لطلب العلم والاستزادة منه والعودة إلى أرض الوطن ليفقه الناس في الدين حيث حث على طلب العلم والسفر للحصول عليه كما حث على الجهاد في سبيل الله ومصداق ذلك قول الحق تبارك وتعالى ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ .

وكانت هذه الدعوة من الله للسفر لطلب العلم والعودة لنقله إلى الذين لم تمكنهم ظروفهم من طلب العلم - والإسلام كما يدعو إلى اكتساب العلم - يدعو كذلك إلى اكتساب الخبرة التي تستفيد منها الأمة للدفاع والزود عن أرض الوطن ولو كانت هذه الخبرة لدى الأعداء، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في هذا المجال فقد انتفع عليه الصلاة والسلام في ليلة الهجرة بخبرة عبدالله بن أريقط في أخطر لحظات الدعوة الإسلامية ليلة الهجرة حيث قاد القافلة من مكة إلى المدينة وهو على

دين قومه - وضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل في أخذ الخبرة من الأعداء حين أوفد بعض الشباب المسلم إلى قرية (جرش)، وهي تقع شمال شرقي عمان بالمملكة الأردنية - أرسل الشباب ليتعلم رمى المنجنيق حيث كان سكان هذه القرية مهرة في الرمي بالمنجنيق، والقرية آنذاك تدين بالمسيحية تحت نفوذ دولة الرومان وعاد الشباب المسلم بعد أن تدرّب على رمى المنجنيق ليطبق العلم على العمل في الانتصار على الأعداء .

وكان عليه الصلاة والسلام يقبل من الفداء نوعاً معنوياً من أسرى بدر وهو تعليم الأُميين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا كان الأسير الذي ليس له مال يفتدى به نفسه ولكن معه علم بالقراءة والكتابة فإن فداءه أن يعلم بعض الأُميين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة والكتابة نظير فك أسره .

وكان هذا المسلك تطبيقاً عملياً ليمحوا عن أصحابه رق الأُمية .

وعن معاوية رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» وعن ابن مسعود: رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حمد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق - ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها» .

فدعوة الإسلام إلى العلم والاستزادة منه والحث على طلبه تجعل الأمة تيسر طلب العلم لأبنائها، وتجعل طلب العلم يسير مع العبادة جنباً إلى جنب، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) وقد جعل النبي عليه الصلاة والسلام العلم من العمل الصالح الذي لا ينقطع أثره ونفعه بعد وفاة صاحبه حيث يقول: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) . بهذا النموذج الإسلامي الذي أوضحه القرآن الكريم في العناية بالعلم وجاءت السنة الشريفة لتقرر هذه العناية بقوله عليه الصلاة والسلام: (خيركم من تعلم العلم وعلمه) ويأتى دعاء النبي عليه الصلاة والسلام حيث يقول: (اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما ينفعنى وزدنى علماً) هذا الدعاء

النبي الشريف الذي توج به الرسول عليه الصلاة والسلام طلب العلم به يتحقق إيماننا بأن العلم هو مصدر السعادة للفرد والمجتمع وطريق الفلاح للأمم والشعوب فإذا تحققت النظرية العلمية وتم تطبيقها على الكتب والسنة ووجد العلم النافع في الدنيا فإنه يرقى بالمسلمين ويجعلهم في مكان الصدارة بين الأمم وبه تعود لهم القيادة للبشرية التي قادها رعاة الإبل الذين صنعهم الإسلام في ربيع قرن من الزمن، ويكون لهم في الآخرة سعادة ونعيمًا في الجنة.

والسؤال: متى يكون وكيف يكون المسلم عالماً؟

وقد اجاب عن هذا التساؤل الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه حين قال: (لا يزال الرجل عالماً مادام يطلب العلم فإن ظن أنه عالم فقد جهل).

من هذا المنطلق . . .

دعت الحاجة إلى التدريب ليزداد العالم علماء، وأصبح التدريب من سمات العصر لأن به يتم تبادل الثقافة والخبرات التي نحن في أمس الحاجة إليها.

التدريب ضرورة لكسب الخبرات

التدريب بمعناه العام:

لقد أحس الإنسان قديماً بحاجته إليه منذ هبط آدم إلى الأرض ليبارس حياته البشرية على هذه الأرض، وكان التدريب طريقه إلى التقدم والارتقاء من حياة الكهوف والبداءة حيث كان يتخذ من الحجارة أدواته - ويصارع قوى الطبيعة بالأساليب الساذجة، وتسيطر عليه المعتقدات الخرافية، وهباب ركوب البحر، ولا يمتد بصره إلى أبعد من الرقعة الضيقة التي تحيط به وظنها كل دنياه، ولكن حين سلك طريق العلم وطور العلم بالتدريب أصبح الآن سيد هذا الكوكب (الأرض): يكتشف مجاهلها، ويستخرج كنوزها، ويمخر عباب محيطاتها في الجوار المنشآت في البحر كالأعلام، ويسابق الريح بالسيارات بل ويحترق الأجواء بالنفاثات التي لا

يدانى الصوت سرعتها فى انطلاقة وانتشاره، وها هو الآن يحقق ما كان يظن أنه خيال وأحلام، ويغزو الكواكب الأخرى حتى وطأت قدماه أديم القمر وراح يتناول بعلمه وفكره كى يستمر الكواكب الأخرى البعيدة فى مجموعتها الشمسية.

ولقد صور القرآن الكريم مدى حاجة الإنسان إلى التدريب منذ فجر الحياة البشرية أبلغ تصور فى قصة قابيل وهابيل وذلك فى قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلك قال: إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين. فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين، فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين).

لقد هال القاتل بشاعة عمله فأراد أن يبعد شبح الجريمة عن ناظره وعلم أن ذلك لا يتأتى إلا باختفاء جثمان أخيه ولكن كيف له ذلك ومن أين يأتى بهذه الخبرة التى يستطيع بها أن يوارى سوءة أخيه فكان مدربه هو الغراب الذى أرسله الله ليبدله على ما يجب أن يفعله وثبت أن الإنسان بعقله وعلمه وتفكيره قد لا يدرك ما يدركه هذا الطائر الذى يحترقه الإنسان ويعتبره نذير الشؤم والشر والبلاء - فما أبلغ حكمة الله الذى علم الإنسان على يد طائر صغير يقلده ويتدرب ويتعلم من تصرفات الغراب الذى حفر فى الأرض ووارى غرابا ميتا تحت التراب.

أما التدريب بمعناه الخاص ، فقد عرف عندما برزت إلى الوجود فكرة تكوين الجيوش لدى الجماعات المختلفة ولدى الدول ، حيث وضعت أسس تدريب الجنود على فنون القتال التي كانت ساذجة في العصور المتعاقبة ثم انتقل التدريب بعد ذلك بشكل أوسع إلى الصناعات حيث كان صاحب الحرفة يدرّب الصبية الصغار على الحرفة التي يعمل بها لمساعدته ومعاونته في عمله ، وهذا الأسلوب من التدريب البدوي خلق طبقة من الصبية قادت العمل الصناعي فيما بعد - ثم أخذ التدريب المهني يتطور على أحدث الآلات ، حتى أصبح بشكل عنصر هام في تقدم الصناعة وازدهارها في العصر الحديث عصر الذرة واستكشافات الفضاء - ولما كان العصر الذي نعيش فيه يتسم بالتطور الهائل السريع في كل ميادين الحياة والنشاط البشري بسبب التغيير الكبير الذي طرأ على النظريات العلمية والفكرية فقد دفع هذا التطور الإنسان إلى محاولة تسخير قوى الطبيعة التي كان يخشاها لتحقيق مآربه في فتح آفاق جديدة في حقول العلم والمعرفة ، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى التدريب لتطوير أساليب العمل بما يتلاءم مع طبيعة الحياة الجديدة ، ويلاحق هذه الانطلاقة الجبارة نحو غايتها المنشودة ، ويساعد على تطبيق العلم تطبيقاً عملياً صحيحاً للوصول بالعلم إلى الغاية المثلى التي تهدف إلى إنجاز الأعمال على أحسن الوجوه وفي أقصر وقت وبأقل التكاليف ، ولا يمكن خلق الداعية الذي يقوم بعمله على الوجه الأكمل إلا عن طريق التدريب الذي يتم على أسس علمية سليمة لأن التدريب هو الذي يجعل من الفرد لبنة قوية في بناء الوطن الإسلامي ويكون دعامة من دعائم نهضته وازدهارها - ومن وسائل نجاح الداعية في عمله أن يعرف جغرافية العالم الإسلامي واقتصادياته ، وقد لوحظ أن الداعية حين ينال إجازته العلمية يظن أن التعليم كان صحيفة في سجل حياته وأنها طويت رغماً عنه لأنه حصل من العلوم والمعارف ما يكفي ، فإذا وقع عليه الاختيار كداعية اعتقد أنه أصبح رجلاً يستطيع أن يمارس عمله بجدارة وكفاءة - وهذا النوع من الخريجين ليس له علاج لكي يتحمل الدعوة إلى الله إلا بالتدريب مع استمراريته وتجديده ، والتدريب في هذه الحالة يكون هو الرد على التساؤلات التي تتحرك في نفسه - لماذا أتدرب؟؟ وفي يدي هذا السلاح الذي حصلت عليه من

الكلية المتخصصة يقول هذا وقد نسي أن التعليم الذي تلقاه ليس إلا خطوة في الطريق إلى المعرفة الطويلة وأن الغاية منه كانت مجرد تحديد اتجاه في الحياة - وأن هذا الاتجاه في حاجة إلى الصقل والتعميق وحسن التطبيق لتوضيح الأهداف وتحقيق الغايات وأداء العمل بفاعلية واثقان، فليس المقصود أن يعمل الإنسان فحسب بل الواجب عليه أن يحسن العمل ويتقنه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ وقوله تعالى: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾

وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» - فالتدريب إذن علم من العلوم يجب السعي إليه للاستفادة منه كلما سنحت الفرصة وقد أمر الله رسوله بطلب الاستزادة من العلم في قوله تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ وقد حث الرسول عليه الصلاة والسلام الأمة على الاستزادة من العلم لأنه عليه الصلاة والسلام كان يقول: «إذا مضى علي يوم ولم أزد فيه علماً يقربني إلى الله زلغى فلا بورك في طلوع شمس هذا اليوم». ولعل في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع سيدنا الخضر ما يوضح حاجة الإنسان إلى العلم والاستزادة منه ولو كان الذي يتعلم منه أقل مستوى، فموسى عليه السلام نبي ورسول والخضر رجل صالح، وقد ساق الحق تبارك وتعالى قصة سيدنا موسى مع الخضر مثلاً رائعاً على وجوب السعي والتدريب في طلب العلم، وبداية القصة قول الله تعالى: ﴿فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علماً - قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً قال إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً﴾.

والإنسان الذي يتعالى عن الاستزادة من طلب العلم يكون مثله كمثل الصخرة العالية التي ينزل عليها الميبل ويعمل فيها تفتيتاً وتعرية حتى تتلاشى وتتساوى بالأرض - وكما يقول علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم وجهه إن العلم حياة والجهل موت.

قال الشاعر:

فزد بعلم تعش حياً به أبداً الناس موسى وأهل العلم أحياء

تعريف التدريب وخصائصه

أولاً : تعريف التدريب :

التدريب لغة التمرين على فعل شيء وإتقانه .

التدريب من الناحية العملية :

هو عملية مستمرة ومنظمة لزيادة المعرفة والخبرة للداعية وتحسين الأداء، واستفاد هذا التعريف أن التدريب عملية لتزويد الفرد بالمعارف واكتساب الخبرات وتحسين اتجاهه لأداء رسالته مصداقاً لقول الله تعالى :

﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ -

والمقصود بهذه الآية أن يكون الداعية ملماً بكافة المعلومات التي يجب أن يتصف بها في أداء رسالته .

ثانياً : خصائص التدريب :

(١) التدريب ظاهرة طبيعية لأنه يتفق مع طبيعة الانسان الذي يبدأ حياته طفلاً لا يقدر على شيء فيبدأ في التدريب على المشي والكلام والأكل والشرب ثم القراءة والكتابة وغيرها من الأعمال الأكثر تعقيداً .

(٢) وهو ظاهرة عامة، لأنه ضرورة حتمية لكل فرد في المجتمع الإنساني يمارسه الانسان في حياته اليومية ويلجأ إليه الانسان لمساعدته على أن يأخذ مكانته في المجتمع .

(٣) التدريب عملية مستمرة ومنظمة :

يتصف التدريب بصفتين أساسيتين هما الاستمرار والانتظام .

أ) فهو عملية مستمرة لأنه لا يقف عند حد معين من المعرفة، وذلك نظرا لتقدم الحياة ووجوه المبادئ والأفكار المستوردة والتي تتوارد على المجتمع الإسلامي يوما بعد يوم ويحتاج الشباب إلى الوقاية منها، ومن هنا فإن الداعية يطلب منه اكتساب خبرات في الرد على المبادئ الوافدة والأفكار الحديثة، وذلك يتطلب منه اكتساب خبرات ومهارات جديدة ولا يمكن مواجهة ذلك إلا بالاستمرار في التدريب.

ب) وهو عملية منتظمة تقوم على البحث والدراسة في كل المجالات العلمية التي تواكب العصر الحاضر وهذا يتطلب تنوع أساليب تنفيذ البرامج التدريبية وتغيير طرقها بما يتفق مع حاجة الدعوة إلى الله.

٤) الفرق بين التدريب والتعليم :

أ) التعليم هو تزويد الفرد بالمعلومات التي كان يجهلها والتي تجعله صالحا لاتخاذ اتجاه معين في الحياة مثل دراسة علوم الشريعة والطب والقانون وما إلى ذلك.

ب- أما التدريب فهو تزويد الفرد بالخبرة العملية التي تجعله صالحا للسفر في هذا الاتجاه والارتفاع بمستوى الأداء وإتقان العمل فالعالم يتخرج من كليته بدراسته التقليدية وهذه الدراسة التقليدية لا تجعله صالحا لأداء رسالته على الوجه الأكمل بل لابد له من تدريب يتلقى به من المعلومات التي تجعله صالحا لممارسة عمله من الناحية التطبيقية، أما الدراسة فهي دراسة نظرية يستفيد بها إذا زادت معلوماته عن طريق التدريب وزيادة الخبرة.

٥) التدريب علم وفن :

أ- فإذا قيل بأنه علم وفن فهو يخضع لأصول ثابتة تأتي نتيجة البحث والدراسة، ولذلك يجب أن تستمر في الدورات التدريبية حتى نستطيع أن نعمق فكر الداعية ونخلق فيه القدرة على الرد على ما يواجهه من تحديات وأفكار مستوردة.

ب- وإذا كان التدريب فنا فإنه ككل الفنون يجب أن يتسم بالتطور والابداع

والابتكار ويتعين أن يتم ذلك بأسلوب جذاب مثير يسترعى الانتباه ويشحن الذهن وأن تكون معالجته للقضايا التي تواجهه مرنة غير جامدة ومتجددة غير راكدة وخلاقة وبناءة.

والواقع أن التدريب علم من ناحية أنه يخضع لمبادئ وأصول ثابتة كما ذكرنا ولو أنه بالنسبة لغيره من العلوم يعتبر علماً حديثاً مازال الطريق أمامه طويلاً يحتاج إلى بحث وتمحيص، وهو في نفس الوقت فن لأنه في تطبيقاته يحتاج إلى الاختراع والابتكار والخراج الجيد، ويحتاج أيضاً إلى الأسلوب المؤثر في السامعين لجذبهم إليه ويثير اهتمامهم ويجعلهم يعيشون مع المتحدث ومن هنا تؤتى الدعوة الإسلامية ثمارها الطيبة لأن الفنان إنما يعرض على سامعيه ما يثير اهتمامهم ويعيش معهم فلا أقل من توافر هذا المعنى في الداعية ليعيش الناس معه ويستمعون إليه ويؤثر فيهم ويتأثرون به.

التدريب وسيلة وليست غاية :

عرفنا أن التدريب ظاهرة مستمرة لأن الداعية في حاجة إليه طوال حياته العملية ولا بد لكل برنامج تدريبي يحضره الداعية أن يكون مقدمة لبرامج أخرى أرفع منه مستوى والغاية منه هي الوصول إلى الكفاية العملية التي بها يحقق الداعية أهدافه المنشودة من الدعوة إلى الله .

طرق التدريب وأنواعه :

المقصود بالطرق المتبعة في التدريب هي وسائل نقل المعلومات إلى المتدربين وهي تختلف باختلاف الغرض من التدريب، وللتدريب طرق ثلاث هي :

١ - الطريقة الاختيارية :

ويكون التدريب بهذه الطريقة في شكل محاضرة أو خطاب يوجه إلى المتدربين الذين يتواجدون في هيئة مؤتمر أو اجتماع بالإضافة إلى وجود وسائل الإيضاح المعاونة مثل السبورة والخريطة الجغرافية .

ومن مميزات هذه الطريقة أنها تساعد على اختصار وقت التدريب وتقديم المعلومات بشكل منطقي وينظم دون اعتراض أحد ودون توقف أو خروج عن الموضوع المراد دراسته، وهذه الطريقة يستفيد منها عدد من الحاضرين في وقت قصير .

ومن عيوب هذه الطريقة أن بعض المتعلمين للمحاضرة لا يستطيعون متابعة المحاضر لسبب أو لآخر كما أن منهم من لا يتطوع استيعاب هذه المحاضرة، ومنهم من لا يتطوع تدوين هذه المحاضرة.

٢ - الطريقة التعليمية :

أ) وتتلخص هذه الطريقة في ممارسة العمل الذي يراد التدريب عليه مثل : الخطبة - المحاضرة - الدرس - الندوة - والتدرب على الأسئلة، وتكون تحت إشراف المدرب وتتميز هذه الطريقة بالفاعلية وسرعة الوصول بالمتدرب إلى النتيجة ولكن يجب أن يكون عدد الدارسين محدوداً ليسهل الإشراف عليهم بنال كل منهم حظه من الاهتمام به .

ب) ومن هذه الطريقة التقاء عشرة أفراد أو خمسة في حلقة وتحدث بعضهم لمدة عشرة دقائق مع إغلاق نوافذ التحدث للمتحدث وذلك في المرحلة الأولى للتدريب العملي .

٣ - طريقة المداولة والمناقشة :

هذه الطريقة هي أن يجتمع الدارسون والمدرّب ليتداولوا الرأي بقصد حل بعض المشاكل، حيث يدل كل منهم برأيه ومقترحاته، ومعلوم أن هذه الطريقة هي من نجاح وسائل التدريب للذين لهم خدمة في العمل بالدعوة، وكذلك الذين عندهم معرفة ميدانية عن الموضوع ومناقشته، وتعتمد هذه الطريقة على توجيه الأسئلة إلى الجماعة عموماً حيث يجب أخذ أفرادها على السؤال أو يوجه السؤال إلى فرد معين منهم وفي هذه الحالة يجب عليه .

وخير طريقة للمبتدئ، في مجال الدعوة الإسلامية أن نجمع له بين الطريقة الأولى التي تمثل (إلقاء محاضرة من المدرب) والطريقة الثالثة فتح باب المناقشة والمداولة حيث تتاح الفرصة للمتدرب ليستمع إلى المحاضرة ويفتح له باب المناقشة ليستمع المحاضر أو المدرب إلى رأيه .

أنواع التدريب للدعاة الجدد :

ومن دراستنا السابقة لتعريف التدريب وخصائصه تبين لنا أن التدريب هو السبيل الوحيد لزيادة المعلومات والتعرف على حل المشاكل ومواجهة المبادئ الهدامة التي تواجه الداعية، ومن هنا فإن برامج التدريب على نوعين أو على مرحلتين :

١) البرنامج العام وهو الذي ينضم إليه الدعاة المعينين حديثاً، وهذا البرنامج يهدف إلى تعريف الداعية بعمله وكيف يستطيع مواجهة الجماهير في الخطبة أو المحاضرة أو يدير ندوة أو يجيب على الأسئلة وتزويده بالمعارف اللازمة في هذه المرحلة .

٢) التدريب التخصصي وهي المرحلة الثانية التي تلي التدريب العام وذلك بعد أن ينجح الداعية في المرحلة الأولى وذلك بتدريس المواد التي لم يكن سبق له دراستها أو درسها، ولكن لم يواجه بها الحياة العملية .

أهداف التدريب ونتائجه :

يستهدف التدريب إلى رفع الكفاية العملية المتجددة للداعية حتى يستطيع القيام بالعمل الذي يعهد إليه على أكمل وجه مصداقاً لقوله تعالى : ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِثُهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ .

وقد درب الله تبارك وتعالى أنبياءه ورسله على تحمل مسئوليات الأمم والشعوب التي سيبعثون إليها ليقوموا بقيادتها بجانب تبليغ رسالة الله إليهم ، فكان الأنبياء والرسل جميعاً رعاة غنم في صغرهم ليحصل لهم بالتمرين والتدريب على رعى الغنم :

أ- الدررة على رعاية أمهم والقيام بشؤونهم ، وفي رعاية الغنم ما يعودهم على الحلم والشفقة والرحمة .

ب - ويعودهم من الصغر على الصبر وطول البال والأناة والتريث وزجر الباغى وجبر كسر الضعيف، ويربى فيهم ملكة الحرص على المصلحة العامة ودفع المضرة وجلب المصلحة وحسن التعاهد والرفق بمن تحت أيديهم والسهرة على مصلحتهم ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما بعث الله نبيا إلا وقد رعى الغنم) . .

ومن أهدافه بالنسبة للدعاة :

- أ - مدهم بالعلم والمعلومات التي تساعد على مسايرة التطور في المجتمع .
- ب - تعريفهم بالعلاقات الإنسانية التي تبعث في نفوسهم روح التعاون مع زملائهم ومع الآخرين .
- ج - تكسيهم المرونة في أداء واجبهم الإسلامي .
- د - تكسب الفرد الثقة في نفسه والقدرة على أداء عمله .
- هـ - اكتساب الخبرات التي تحقق له المرونة في الحياة العامة .
- و- اكتساب الداعية الصلاحية للعمل ضمن المجموعة التي يعيش فيها .

المزايا التي تعود على المجتمع من التدريب :

- أ - التقليل من أعباء الإشراف من القيادات على المتدرب .
- ب - الارتفاع بمستوى الأداء .
- ج - توفير النفقات والوقت وغير ذلك من المزايا التي تعود على المجتمع من التدريب .

دور الجامعات في التدريب

الجامعات هي مركز الإشعاع والنور، وهي المكان الذي يتزود منه الطالب بالعلم والمعرفة، وهي بدورها التي تستطيع أن تبني المجتمع بناء سليما وصحيا لو أدت دورها على الوجه الأكمل، والجامعات لها دورها الرائد في التدريب وتنمية الخبرات والمهارات وخاصة في قطاع الدعوة الإسلامية والجامعات بكل ما فيها من أساتذة

وخبرات لا تستطيع أن تؤدى دورها التدريبي الا إذا توافر لبعض هيئات التدريس فيها الأفق الواسع ومعرفة الأفكار المعاصرة والواردة إلى المجتمع بغية تفتيت عقيدته وليس كل أستاذ في الجامعة يستطيع أن يؤدى الدور التدريبي المنوط به بل لابد للذي يتصدى للعمل التدريبي من أن تتوافر فيه الشروط الآتية:

١ - أن يكون على معرفة ودراية تامة بجغرافية الوطن الإسلامي بحدوده وبالتالي أن يكون عالماً بحدود الدول المجاورة له والمناخه والتي تهدف بمبادئها الهدامة إلى تخريب أفكار الشباب في الدول الإسلامية فعلى سبيل المثال دول شرق آسيا مثل باكستان - أفغانستان يجاورها الاتحاد السوفيتي الذي يعمل بمبادئه الهدامة على تخريب الشباب الإسلامي فمعرفة جغرافية العالم الإسلامي تساعد المدرب على أن يجد خريطة العالم الإسلامي وبين الأخطار التي تلاحق بلاده من جراء هذا الجوار، وكذلك الدول العربية والإسلامية في شرق البحر الأبيض فإنها تقع على حدود الجدار الجنوبي للإتحاد السوفيتي ، فمعرفة العدو وما يدبر للأمة عون كبير على مقاومة مبادئه .

٢ - لابد لمن يتصدى للتدريب من أساتذة الجامعات أن يكون خبيراً وعلى دراية تامة باقتصاد البلاد الإسلامية، فإن الاقتصاد في كل الدول هو عصب الحياة وركيزة المجتمع، كذلك يكون على علم ودراية بما دبر للعالم العربي عقب الحرب العالمية الثانية على مائدة المفاوضات بين الدول المنتصرة وقالوا: إن العالم العربي بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة تربطه عقيدة واحدة وهي الإسلام وقبله واحدة وهي الكعبة المشرفة، ولهم لغة واحدة وهي اللغة العربية، وشاءت إرادة الله أن لا تكون هناك حواجز جغرافية بين هذه الدول وأن رقعتهم الزراعية توفر لهم إمكانات متكاملة لو استغلوها يستطيعون بها الاستغناء عن العالم الغربي ووضعوا في اعتبارهم أن العالم العربي هو الذي صد غزو التتار والمغول وانتصر في الحروب الصليبية .

دبرت الدول المنتصرة عقب الحرب العالمية الثانية لتفتيت العالم العربي والإسلامي وتفتيت شؤونه ومن مظاهر ذلك كان الاحتلال للعديد من الدول العربية والإسلامية . .

معرفة المدرب بهذه السياسات التي تهدف إلى ضرب الإسلام والمسلمين على المدى الطويل تجعله يتطوع أن : يلقي التدريين الأسس التي يستطيعون بها حماية شباب هذه الأمة من أهداف الاستعمار الغربي .

٣ - الاستشراق والمستشرقون :

الاستشراق والمستشرقون في هذا العصر أخذوا طابعاً يجعل المستشرق وكأنه في خدمة الدول الإسلامية التي يعيش فيها، كان يعمل المستشرق طبيباً ليقدم العلاج للمنطقة التي يعيش فيها ثم يفت سمومه المعادية للإسلام والمسلمين بين الجماهير التي تتردد عليه .

وفكرة المستشرق إنما أخذت هذا الطابع بصفة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية حيث تخصصوا في دراسة الإسلام ليستطيعوا الطعن فيه وفي رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، فلا بد للمدرب أن يتعرف على فكر المستشرق وماذا يقصد من وراء أفكاره المسمومة التي تشكك الشباب في دينه . .

وإن كان الاستشراق بدأ يوجه أنظاره إلى الشرق الإسلامي بعد هزيمة الغرب في الحرب الصليبية على يد «صلاح الدين الأيوبي» . .

٤ - لا بد للمدرب أو أستاذ الجامعة أن يكون على دراية بالرجال المجددين في الفكر الإسلامي في العصر الحديث والذين وقفوا للمستشرقين، وهؤلاء المجددون في الفكر الإسلامي جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ومحمد بن عبد الوهاب وعبد الحميد الكواكبي وغيرهم من سلك مسلكتهم وسار على نهجهم، وكان لكل من هؤلاء المجددين مدرسته الخاصة به وقد أفلق هؤلاء الاستعمار في الشرق العربي والبلاد الإسلامية، وكان لهم دورهم الأثمن في بقاء المسلمين في الشرق الأدنى والأقصى والأوسط . .

٥ - لا بد لمن يتصدى للتدريب من أساتذة الجامعة أن يكون على علم بديرة بالمبادئ الهدامة الوافدة على الدول الإسلامية والعربية من شتى أنحاء العالم ولن

تحقق له الدراية والمعرفة إلا بقراءة هذه المذاهب ومعرفة هدفها الذى تهدف إليه وهو ضرب الإسلام فى وطنه وفى بلاده - وهذه المبادئ على رأسها :

أ) الشيوعيون الملحدون :

الذين تنكروا للديانات السماوية وأنكروا وجود الحق تبارك وتعالى وظهروا بمظهر براق كأنهم يقدمون الطعام والغذاء للناس دون عمل ونفثوا فكرهم بين طبقات العمال والفلاحين . .

فلا بد لنا أن ندرّب الداعية على معرفة كيف يخاطب العمال فى مصانعهم والفلاحين فى حقولهم مينا لهم أضرار الشيوعية .

ب) المذهب القادياني (القديانية) :

وكانت نشأة هذا المذهب فى دولة الهند الكبرى قبل استقلالها وتقسيمها إلى دولتي الباكستان والهند وكان ينمى هذا المذهب الاستعمار البريطانى ليحدث به شروخا فى الصخرة الإسلامية ولكن أنى له ذلك والله حافظ لدينه وكتابه .

ج) المذهب البهائي :

وليكن المدرب على علم بنشأة هذا المذهب الذى تقف من خلفه الصهيونية الدولية بدليل أن صاحب هذا المذهب اتخذ عكا وهى تحت النفوذ الصهيونى قبلة له ودفن بها، وهو مذهب يبيح الجنس، ويجعل المرأة مثل الماء واخواء حق للجميع على السواء حتى يستطيع بذلك أن يستقطب الشباب الإسلامى فى فترة المراهقة التى يمر بها كل شاب . .

والشيوعية أيضا تناصر هذا المذهب كما جاء فى مذكرات الملحق الثقافى الروسى والذى أعلن إسلامه ليدافع عن هذا المذهب .

إذا استطاع المدرب أن يكون على علم بهذه المبادئ وقرأ أصولها وما تهدف إليه

يستطيع أن يخلق جيلا من الدعاة الذين يتصدون لهذه المبادئ وهذه الأفكار المستوردة ويستطيعون الرد على أصحابها بفكر متجدد وعلم يستند إلى الدراسة والبحث، وبذلك نستطيع أن نحمل شباب هذه الأمة الذي هو عمادها وقوتها، وهو نصف المجتمع اليوم وكل المجتمع في الغد.

٦ - لابد للمدرب أن يكون قد اطلع على بروتوكولات صهيون وهي التي تركز فكرها المسموم على الأهداف الثلاثة الآتية:

أ) السيطرة على وسائل الإعلام في العالم لتسخرها لهدم الأمم وقتل الشعوب وهي على قيد الحياة.

ب) ائتلاف الشباب غير اليهودي في العالم وذلك من خلال وسائل الاعلام المرئية والمقروءة والمسموعة بتقديم الجس لهم حتى يتم لهم ائتلاف شباب العالم والسيطرة على مقدرات شعوب العالم.

ج) القبض برؤوس الأموال التي يملكونها على رقاب العالم وفرض سلطانهم على العالم وذلك واضح من سياستهم في الأخذ برقاب الولايات المتحدة الأمريكية وهي أكبر دولة في العالم فإنهم يتحكمون في انتخابات الرئاسة الأمريكية ومجلس الشيوخ والكونجرس الأمريكي ليسخروا الدولة لخدمتهم ولخدمة مصالحهم في العالم.

ولعله اطلع على فكر «بختصر» حينما استأصل اليهود من الشرق العربي قتلا وطردوا ولم يعودوا الى حائط المبكى والا في ظل سباحة الإسلام وكرمه لأنه الدين الوحيد الذي يقبل الأديان الأخرى أن تعيش معه على أرض واحدة.

٧ - على من يتصدى للتدريب من أساتذة الجامعة أن يكون دارسا للسيرة النبوية الشريفة والتاريخ الإسلامي في عصر الصحابة ونشأة الفرق والمذاهب بعد قضية التحكيم بين سيدنا علي ومعاوية والفرق التي نشأت نتيجة لهذا التحكيم وهذه الفرق هي:

أ) الخوارج الذين استباحوا دم الصحابة الذين اشتركوا في قضية التحكيم (التي يقول بعضهم بحدوثها) وأصبحوا ينادون بأن مرتكب الكبيرة كافر..

ب) الشيعة وهم الذين رفعوا راية المشايعة لآل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وتحت هذه المظلة تسللت إلى الإسلام اليهودية والنصرانية والمجوسية وذلك واضح من الأحاديث التي دست على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ترتب على ذلك من ظهور فئة المرجئة والمعتزلة، وغير ذلك من الفرق المختلفة التي تضاربت آراؤها واتجاهاتها في فهم الإسلام . .

ج) البقية الباقية بعد هذه الفرق وهم أهل السنة الذين استمروا على عقيدتهم ولم يتغيروا ولم يصبهم ما أصاب هذه الفرق .

٨ - إن المتصدى للتدريب لا بد له أن يكون على علم بالعلاقات الإنسانية في الإسلام وهي لو نظرنا إليها لوجدناها تمثل جانبا كبيرا من آيات القرآن الكريم، وذلك من القرآن المدني الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، فإن كثيرا من آياته تدعو إلى العلاقات الإنسانية .

لا بد أن يكون على علم بفن الإقناع والحوار وأن يجيد الرد على الذين يتولى الحوار معهم وأن يكون قادرا على الإقناع لمن يجاوره، ومتلحا بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة . .

٩ - أن يكون دارسا دراسة وافية لعلم النفس حتى يستطيع أن يضيف هذا العلم على من يتولى تدريبهم، فإن الدعوة إلى الله تجعل الداعي متلحا بعلم النفس حتى يستطيع أن يتحدث إلى كل فئة بما يناسبها ويعالج مشاكلها . .

١٠ - الإسلام الذي يطارد في أفريقيا وخاصة في الحبشة التي كانت دار إيواء للإسلام على عهد النجاشي وفي آسيا وفي الدول التي بها أقليات إسلامية ولن يتأتى ذلك إلا بمن وهبه الله دراية وعلما بخصائص هذه الشعوب التي بها أقليات، كما يتطلب ممن يتصدى للتدريب أن يكون على علم ودراية بالمقارنة بين الأديان السهوية وأن الإسلام هو الدين الخاتم لهذه الأديان .

(١) الإسلام والعلم الحديث ومن مظاهر قوة الإسلام أنه تحدث عن الطب قبل

ظهوره وجاء الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم بآيات كثيرة لا بد للمدرّب أن يكون على علم بالإعجاز العلمى والطبى فى القرآن الكريم وأنه سبق الطب الحديث ووضع قواعد الطب ونذكر على سبيل المثال فى قوله تعالى :

﴿يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ . . .

وكانت هذه الإجابة من الحق تبارك وتعالى للذين يسألون الرسول عليه الصلاة والسلام عن المحيض فيقرر الحق تبارك وتعالى أنه أذى وجاء العلم الحديث ليبين أن جماع الرجل لزوجته وهى حائض يصيبه بمرض الزهري والييلان ويكتسب الزانى هذين المرضين بالزنا .

وفى الجملة فإن الذى يتصدى لتقيام بالتدريب للدعاة أن يكون مطلعاً على كل العلوم عارفاً بكل الكتب الحديثة التى تصدر وملماً بالجوانب العلمية حتى يكون متمكناً من الرد على التيارات الفكرية والقضايا المعاصرة، وبذلك يتحقق دور الجامعات فى التدريب على أن لا يكون التدريب قاصراً على دورة واحدة بل يكون متجدداً مستوعباً لكل الاتجاهات الحديثة والأفكار الجديدة سواء منها ما يكون متلاقياً مع الفكر الإسلامى أو معارضاً له .

خصائص المدرّب (الداعية)

الدعوة إلى الله هى رسالة الأنبياء عليهم السلام لأنهم هم الذين حملوا تبليغ الرسالات من الله إلى عباده وجاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده واستمروا فى التوجيه والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى مصداقاً لقوله تعالى :

﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى﴾ . . .

ولا بد لمن يتصدى لهذه الدعوة أن يكون مخلصاً، ويعمل فيها بالحب والرغبة ومن هنا أى من مطلق هذه الرغبة يأتى دور الجامعات الإسلامية فى قبول الطلاب فى الكليات التى تؤهلهم للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فلا بد أن يكون قبولهم بالرغبة منهم والاستعداد للعمل فى مجال الدعوة إلى الله تبارك وتعالى . . .

وعلى الكليات بالجامعات الإسلامية أن ترعى هؤلاء الطلاب رعاية خاصة كما أن عليها أن لا تقبل من هؤلاء الطلاب إلا من يكون قد حفظ القرآن الكريم باعتباره هو الدعامة الأولى ورصيد الداعية في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وأن تزوده الجامعات بالكتب والمراجع التي تؤهله أن يكون داعية إلى الله سبحانه وتعالى، وأن تظل هذه الرعاية للداعية بعد تخرجه وإحاقه بالعمل في سلك الدعوة الإسلامية بأن توفر له الدولة السكن الملائم القريب من المسجد حتى يعيش مع البيئة التي يقع فيها المسجد ويحول المسجد إلى مركز إشعاع وعطاء مستمر لمن حوله ويكون مثله في البيئة كمثل:

- أ - الطبيب الذي يكتشف الداء ويصف الدواء .
- ب - أخصائي اجتماعي يتولى بحث حال الأسر والعمل على حل مشاكلها .
- ج - قاضي يفصل في الخصومات بين الناس .
- د - مرب فاضل ولن يكون ذلك إلا بسلوكه الحسن ليقتدى الناس به وليكون المثل الأعلى في مجتمعه الصغير الذي يقع في دائرة المسجد ومثلاً أعلى في مجتمعه الكبير وهي الدولة التي يعمل فيها وينتمى إليها .

وفي الجملة فإن الداعية يجب أن يكون سلوكه إسلاماً يمشى على الأرض لو نظر الكافر إلى تصرفاته لأسلم، لا بد من تزويد المسجد بمكتبة قيمة يقرأ فيها الداعية ويعود: الشباب على القراءة فيها حتى يتزود الشباب بالعلم النافع .

- الدعوة إلى الله قربة يتقرب بها الداعية إلى الله سبحانه وتعالى، ومن أوازم هذه القربى تقوى الله عز وجل والخشية منه في السر والعلن وأن يكون ظاهره وباطنه سواء في الصفاء والاخلاص والخوف من الله . .

ومن مستلزمات الدعوة إلى الله :

أولاً : أن يكون مسلحاً بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يكون على قدر كاف بالأحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات وعلم الميراث ولا يصدر الفتوى

إلا بعد الرجوع إلى المراجع العلمية مصداقا لقول ابن مسعود (من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم).

ثانياً : ما يعظ به الناس يجب أن يحرص على تحقيقه قبل أن يدعو الناس إليه لأن الحكمة تقول (فاقد النور لا يستنير به غيره) . . . وفاقدا الشيء لا يعطيه .

ثالثاً : يجب على الداعية أن يحسن اختيار ألفاظه وانتقاء عبارته فينبغي له أن يحتسب هفوات الناس والصبر على أسئلتهم .

رابعاً : أن يخصص جانباً من وقته ليطلع على أسلوب من سبقوه في الدعوة إلى الله .

خامساً : الإخلاص أساس النجاح وخاصة الداعية إلى الله لأن العمل بلا إخلاص كالجسد بلا روح .

سادساً : أن يتصف بها يأتي : -

أ - الوقار والرزانة وأن لا يخوض مع الناس في فضول الكلام وأن لا يتحدث إلا بما علم أو سمع مصداقا لقول الله تعالى :

﴿وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين﴾ .

ب - أن يكون نظيف الثياب ، جميل المظهر لأن مظهره يرضى عليه الهيبة والوقار .

ج - أن لا يخالط أهل السفاهة والطيش وأن يتحرز من الحرام وأن يكون واثقا بنفسه ؛ فإن ثقته بنفسه ترضى عليه ثقة المجتمع به ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة في ثقته بنفسه حين قال لعمه (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) .

د - أن يتعرف على طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه بأسلوب الممارسة دون أن يندمج كلياً في حياة المجتمع فلا يكون في عزلة فيخلعه ولا منغمساً في أوساطه فيصيبه شر من السوء بل يكون في أوساط المجتمع لا في وسطه .

سابعاً: أن يتعلم الداعية لغة أجنبية يستطيع التخاطب بها مع المسلمين الذين يوفد إليهم وقد أنشأت وزارة الأوقاف بمصر مركزاً لتدريب الدعاة بكلية اللغات، بجامعة الأزهر.

احتياجات التدريب

التدريب باعتباره متجدد ويقدم كل جديد لمن يتولى تدريبهم من الدعاة الآتى :

١) المادة العلمية ، وقد سبق الحديث عنها في مواصفات المدرب .
٢) الإشراف الإداري ، ولا بد للإشراف الإدارى أن يكون متفهما رسالة التدريب وحاجة المتدربين إليه .

٣) التمويل ، فالتدريب باعتباره ضرورة من ضرورات تطوير الدعوة الإسلامية وصقل الداعية بالخبرات والاطلاع على كل جديد لا بد أن يكون التمويل المادى كافياً لتوفير المكتبة اللازمة بمركز التدريب التى يطلع المتدرب فيها على كل جديد .

٤) التخطيط للتدريب والتنفيذ والمتابعة وإدخال التعديل على التدريب بصفة مستمرة بمعنى إضافة المواد والخبرات، التى يستفيد منها المتدرب على أن يكون ذلك بصفة مستمرة فلا يقف التدريب فى مكانه قاصراً على المواد دون تجديدها وإلا كان التدريب راكداً كالبحيرة التى لا يتجدد ماؤها .

٥) المكان المناسب للتدريب حيث يقضى المتدرب فترة كبيرة من الوقت فلا بد أن يكون هذا المكان مهيباً بالوسائل الآتية :-

أ) وسائل الإيضاح مثل السبورة والخريطة الجغرافية التى تحدد معالم العالم الإسلامى وما فيه من أرض منبسطة وجبال مرتفعة وتضاريس وهضاب ومساحة الأرض التى تصلح للزراعة بها، وحيداً لو كان هناك خريطة للعالم الإسلامى بجوار خريطة العالم حتى يتعرف الدارس على حدود العالم الإسلامى وإمكاناته ومكانه فى الكرة الأجنبيه .

ب) الأثاث أن يكون كافياً يمكن المدارس فترة إقامته من الراحة التامة والتي يستطيع في ظلها أن يقرأ ويكتب ويدون ما سمع إذا اقتضى الأمر ذلك .
ج) التهوية الكاملة للمكان الذي تقام فيه الدورات التدريبية فلا يوضع المدارس في مكان ومحرم فيه من التهوية الكاملة التي لا يترجح بغيرها .
د) موقع المكان، لا بد أن يكون بعيداً عن الغوغاء والغوغائية في جو يستطيع المدارس فيه أن يستريح نفسياً وأن تستريح أعصابه فترة دراسته، ولا بد من تهيئة وسائل المواصلات للدارس حتى يصل إلى مقر دراسته دون تعب أو مشقة .

وبذلك تستثمر الدعوة الإسلامية في بناء الأمة، فإن الداعية إذا نجح في أداء رسالته فإنه يكون مصدر استثمار للأمة كأى مصدر من مصادر الثروة للأمة بل إن الثروات بالأخذ منها تنقص والدعوة الإسلامية بانفاقها تزيد، ونستطيع الأمة الإسلامية أن تحول الدعوة إذا وفرت لهم الحياة الكريمة إلى قوة بناءة فإن الداعية هو الذى يستطيع أن يدعو العامل وأنصاع إلى الإخلاص في صناعته وتجويد هذه الصنعة وإبرازها في أحسن صورة إنتاجية بحيث تكون دعوة للأمة الإسلامية في إنتاجها وجودة هذا الإنتاج، وذلك من قول الله تعالى : ﴿صنع الله الذى اتقن كل شىء﴾

ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) وبذلك تكون الدعوة إلى الله إنتاجية وليست خدمية في مجتمعنا الإسلامى المعاصر، ويطلب لى أن أقدم للمؤتمر الذى يسعى لرفع مستوى الداعية والدعاة لتنهض الأمة الإسلامية التى جعلها الله ﴿خير أمة أخرجت للناس﴾ ولتعود لها ريادتها وقيادتها للعالم كما قادها أبائنا الأولون الذين صنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم في ربيع قرن من الزمن ولتتولى رسالتها المشنطة بها وهى تبليغ رسالة الله إلى البشرية .

يطيب لى أن أقدم المنهج الذى تقوم وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية بتدريبه بمراكز التدريب بها على الوجه الآتى :

١) جغرافية العالم الإسلامى .

- ٢) الاستشراق والمستشرقون .
 - ٣) العلاقات الإنسانية والإسلامية وفن الافتناع .
 - ٤) الابتداع في الإسلام .
 - ٥) علم النفس والدعوة الإسلامية .
 - ٦) منهاج وطرق البحث العلمي .
 - ٧) الإسلام في أفريقيا .
 - ٨) علم الاجتماع والدعوة الإسلامية .
 - ٩) المذاهب الإسلامية .
 - ١٠) الاقتصاد الإسلامي .
 - ١١) مقارنة الأديان .
 - ١٢) زعماء الإصلاح في العالم الإسلامي .
 - ١٣) التيارات الفكرية والقضايا المعاصرة .
 - ١٤) الدعوة إلى الله من خلال العلم .
 - ١٥) الإسلام والعلم الحديث .
 - ١٦) السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي .
 - ١٧) تحسين الأداء .
 - ١٨) المرأة في الإسلام .
 - ١٩) علوم القرآن الكريم .
- أ - علوم القرآن الكريم باعتباره وحيا .
 - ب - العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم .
 - ج - دراسات تجديد القرآن الكريم .
 - د - القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للشريعة الإسلامية .

٢٠) علوم الحديث :

- أ - الحديث باعتباره المصدر الثاني للتشريع الإسلامي .
- ب - اختيار عدد من الأحاديث في مختلف أبواب السنة الشريفة لدراستها .

- (٢١) فقه المذاهب والفقه المقارن :
أ - نظرة عامة في الفقه الإسلامي ومصادره .
ب - دراسة حول الأسرة في الإسلام باعتبارها أساس المجتمع الإسلامي وقوانين الأحوال الشخصية .
ج - دراسة الأئمة الأربعة .

- (٢٢) الدعوة إلى الله :
أ - الدعوة إلى الله علمياً وعملياً .
ب - عوامل الهدم التي يتعرض لها المجتمع الإسلامي .
ج - علم الاجتماع .
د - علم النفس وعلاقته بالدعوة الإسلامية .
هـ - المخدرات والمسكرات وأثرها في هدم المجتمع الإسلامي .

البرامج التدريبية

- أ - تقوم مراكز التدريب بوزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية بتنفيذ البرامج المحلية على الوجه الآتي :
- (١) البرنامج الذي يخصص للداعية عند تخرجه من الكلية ويعد التحاقه بالعمل بالوزارة .
- (٢) البرنامج العام، ويعطى للداعية بعد انخراطه في العمل بعام أو عامين ويجري له الاختبار بعد فترة التدريب في المواد التي درسها .
- (٣) البرنامج النوعي ويعطى للذين اجتازوا الاختبار في البرنامج العام ويستطيع بعد دراسته للمنهج النوعي أن يقوم بعمله في مجال الدعوة ويعطى شهادة من مركز التدريب على أنه قد اجتاز مراحل التدريب الثلاثة .

(٤) مدة الدراسة بكل برنامج هي ثلاثون يوماً في عملي دراسي متواصل، ويتدرب من خلال البرنامج الأول على إلقاء الخطبة ومواجهة الجماهير بسلمة بالمسجد أو خارج المسجد سواء في ندوات أو محاضرات، وإثني قبل أن أختتم هذا البحث أقرر بكل فخر واعتزاز أن الجامعات بجمهورية مصر العربية وخاصة جامعة الأزهر الشريف تغطي الجانب الأكبر من هذه المحاضرات - بجانب القيادات الدينية بوزارة الأوقاف .

هذه عجالة موجزة عن خصائص التدريب ودور الجامعات الإسلامية ودور الداعية الذي يتلقى التدريب بالمراكز المختصة .

ويسعدني أن أقدم .ا. البحث لمؤتمر الجامعات الإسلامية الموقرة الذي منحني ثقته لإعداد هذا البحث وكانت هذه الثقة معينا وعونا لي في كتابة هذا البحث .
فإن كنت قد وثيت هذا الموضوع حقه ففضل من الله ثم بثقتكم الغالية .

والله أسأل أن يوفق مؤتمركم الرائد والأول في طلب بناء صرح الداعية الإسلامي حتى يحظى الإسلام بنشر رسالته بين المسلمين في بلادهم وفي البلاد الأخرى التي يسودها نوع من التبشير .

وفضلكم الله وسدد خطاكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

مقدم البحث

يوسف محمود أحمد

مدير عام التدريب بوزارة الأوقاف

جمهورية مصر العربية

دور الجامعات الإسلامية في تكوين الدعاة

بقلم

الدكتور / محمد بن سعد الشويخ
الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء
والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية

(الدعاء وتأثيرهم)

القلب هو الوعاء الذي جعل فيه موطن العقل . كما قال تبارك وتعالى ﴿ هُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ .

وأي أمر يتمكن من هذا القلب، ويتأصل في حناياه، فإنه يقال عنه : بلغ شغاف قلبه وقد قال الجوهري في الصحاح : بأن الشغاف غلاف القلب، وهو جلده دونه كالحجاب . وقرأ ابن عباس : « قد شغفها حباباً » أي دخل حبه تحت الشغاف، كما جاء في تاج العروس للزبيدي .

فالأمر الذي ترتاح إليه النفوس، ويستولى على المشاعر، ويكون له تأثير في العمل، يقال عنه بأنه بلغ شغاف القلب .

وهذا الداعية إذا أثر في القلوب واستمال النفوس يعبر عنه بأنه دخل إلى شغاف قلوب الناس .

ولما كانوا يطلعون على القلب بأنه : ملك الجوارح . والملك هو القائد والموجه في الأمة، فهو الذي يأمر ويطاع، ولذا فإنه لا يؤثر في هذا القلب إلا الكلمة، ولا تتحكم فيه هذه الكلمة إلا بعد القناعة من الأخذ، وصدق القول من المعطي .

والقناعة أيضاً لا تأتي إلا وقد استحوذت على المشاعر، وكانت واجبة، ومتحينة للعوامل المؤثرة من حيث : الوقت . والمناسبة . وصفاء الذهن . والقدرة على الاستيعاب والفهم مع القدرة في المتكلم، واستصحاب الحال .

ورسول الله ﷺ، وهو القدرة الحقة في تأثير الكلمة، وتوضيح المراد، مع تقبل الناس ومتابعتهم لما يقول أو يفعل .

كان يتحسّن الأوقات، ويربطها بالأحداث، لتكون أوعى للنفوس، وأدعى للاستيعاب ولذا حفظ أصحابه سنته، ورصدوها لمن جاء بعدهم بدقة وأمانة . يقول

عبدالله بن مسعود الصحابي الجليل رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ ، يتخوّل أصحابه بالنصيحة بمعنى أنه يتحين الفرص التي فيها تفتح النفوس ، وتتهيأ لاستقبال الأمر ، فيعطيههم النصيحة التي تثبت في أذهانهم ، وتتمكن في قلوبهم .

ولنا فيه - ﷺ - أسوة حسنة ، وقدوة صالحة ، فهو مثل يفتدي ، وخير معلم يؤخذ عنه .

والدعاة في كل عصر ، وأينما حلوا ، سواء كانوا وعاظاً بالكلمة عبر اللسان ، أم مؤثرين بالقلم عبر قنواته المتعددة ، أم محنطين لوسيلة من وسائل الإعلام المرئية ، أو المسموعة ، أو المقروءة .

فإنهم في عملهم هذا يخاطبون العقول ، ومحاولون الولوج لداخل القلوب .
وحتى يكون عملهم هذا مؤثراً فيما يصلح الناس في دنياهم ، وأخراهم ، فإن جهودهم هذه يجب أن تنبع من القلوب صادقة في المقصد ، مؤمنة بالهدف . كما قيل في الحكمة : ما صدر من اللسان لا يتجاوز الأذان ، وما صدر من القلب دخل إلى القلب .

وإذا كان المتطون لصهوة الدعوة كثيراً ، بحيث امتلأت بهم ساحة العمل ، وردهاث المطابع ، وأجهزة الإعلام ، فإن السؤال الذي يطرح أمام المستقيمين : من هو الصادق؟ وما مقياس ذلك؟؟

ولما كان الحكم بصندق فئة دون فئة ، من الضرب بالقول جزافاً ، لأن ذلك لا يبرز علانيته ، إلا أن له علامات ، تتجاذب مع طباع الشخص ، كما قال الشاعر الحكيم زهير بن أبي سلمى .

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفي على الناس تعلم
ومن أبرز تلك العلامات أن يكون الداعية : عاملاً في نفسه ، بادئاً بمن حوله في المتابعة والتطبيق ، فالناس لا تميل قلوبهم إلى من يخالف قوله عمله ، لأن عيونهم ترصد وحواسهم تلتقط المعلومات ، وتشمم الأخبار ، ولا يكتفون بنبذ ما يقول ذلك الداعي ، أو عدم الامثال والاستماع له ، بل قد يكون ذلك المتقول عرضة للقدح ، وامتحان العرض ، لأنه وضع نفسه في المحك ، وعرض عقله للامتحان ، ووسط عمله للناس يقول الشاعر :-

لا تنهى عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وهناك فئة من الدعاة تدفعهم حماسهم وغيرتهم ، إلى إمتطاء ذلك المركب ، والتصدي لتوجيه الناس على مختلف مستوياتهم .

وهؤلاء نقول لهم : حتى نكونوا مؤثرين في غيركم ، وكلامكم مقبولاً لدى الآخرين ، فإنكم يجب أن تكونوا كالطبيب الذي يتلمس الداء في المريض ليُشخصه ، وعلى إثر ذلك يصف الدواء المناسب ، ويمدد المدة الزمنية التي يتم استعمال الدواء فيها .

ولذا فإن عليكم أن تتلمسوا ما يؤثر في كل مجتمع وبيئته ، فما يصلح هنا لا يصلح هناك وما يحدث به في مجتمع ، قد لا يتلائم مع مجتمع آخر ، كما أن الطبيب لا يعطي مرضاه نوعاً واحداً من الدواء ، بل يصف لكل واحد ما يتلاءم مع حالته ، وبما يقتضيه مرضه .

فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله .

وإذا كان الطبيب يهتم بمعالجة الأجسام ، فإن الداعي إلى الله يعالج ما هو أدق وأشد حساسية ، إنه يعالج القلوب التي يصلحها يصلح الجسم ، ويسلم المجتمع ، وبفسادها تنعكس الآثار السلبية عليها .

ومن نفس المنطلق الذي يسير فيه الطبيب والمهندس والفني والمزارع وغيرهم ، كل في مجال عمله ، وحسب تخصصه : يجب أن يسير الداعي في استمالة القلوب ، والتأثير فيها .

وقد جعلنا الطبيب هنا نموذجاً للقياس والمقارنة فقط . وإلا فلكل صاحب حرفة ، طريقته في النجاح ، وذلك يتفاعل نفسه مع عمله : بالالتزام والاهتمام والتجديد . فالطبيب لكي يكون ناجحاً ذارواً لعيادته ، وبالتالي يزداد دخله من عمله ، وتكبر مكانته عند الناس ، فإنه يحرص على إتخاذ الخطوات التالية :-

- الاهتمام بتشخيص الداء ، وموانسة المريض ليشعره بالأهمية حتى ترتاح نفسه إليه .
- التقليل من الأدوية التي تعطى للمريض ، والاقتصار على الأقل المفيد المأمون العاقبة ، حتى لا يتأثر المريض بها هو أشد .
- يراجع كل أمر ساوره شك فيه ، مع غيره ممن هو أقدر في مجاله ، أو مع مراجعة المصادر الجديدة في تخصصه حتى لا تنتزع الثقة منه .

- ينمي حصيته العلمية بالإرتباط بها هو مفرغ نفسه بحثاً وقراءة واستقصاء حتى يقف على كل جديد يقينه، ورغب الناس فيه .
- والداعية المتحمس لمهمته ما عليه لكي يقنع الناس بما يدعو إليه، ويجذبهم إلى الهدف الذي دعا إليه، وهو المكانة السامية التي رسمها الإسلام لمن اتبع منهجه في الدنيا والآخرة، ما عليه إلا أن يملك طرفاً تعينه على دخول القلوب، ثم الاستقرار فيها بالمحبة لنفسه، ولما دعا إليه مثل :
- لا يتسنج في دعوته، مما يفهم منه الإصرار على أن يقبل الناس منه كل ما يقوله دفعة واحدة . فالكلمة المؤثرة هي التي تكون لبنة في سلسلة الماء ورقته، تمهيداً وتوسيع الموضوع بأقصر جهد، وتتواني بدون يأس أو إنهماك .
- كما تتجمع قطرات الماء في إنحدارها ليتكون عنها مجرى الوادي، ويزداد ذلك المجرى تأثيراً حتى يحفر الأرض، أو يهدم القلاع والجبال .
- ألم يقل سبحانه لنبيه الكريم ﷺ «إن عليك الإبلاغ» أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» .
- لا يلزم الناس بسماع كلمته، أو قراءة ما سطره قلمه، فللناس ما يشغلهم، وما كل وقت يعدُّ ملاحقاً، وليقس على نفسه : ألا توجد لديه أوقات ينشغل ذهنه خلالها !!؟؟
- فصفاء ذهن الداعي شغل لغيره، والوقت المناسب لك غير ملائم لغيرك والناس ليسوا على وتيرة واحدة . وهذه سنة الله في خلقه : فواحد يفرح ويضحك، وآخر مهموم يبكي، وثالث مشغول الفكر منجذب الاحاسيس، ولناخذ مثلاً من دروس رسول الله ﷺ لأصحابه : فقد نبى معاذ بن جبل رضى الله عنه عن الإطالة في الصلاة، وهي عبادة من أفضل العبادات، بل هي الحد بين الإسلام والكفر، وقال له : «أفتأتني بما معاذ ؟ من أم بالناس فليخفف، فإن فيهم الضعيف وذو الحاجة والمريض» .
- وعلى الداعية ألا يكرر ما يقول، لأن لآذان الناس حاسة دقيقة تستوعب بها الأشياء فإذا تكررت لديهم نفرت منها نفوسهم، ونفورهم من التكرار الذي لم يطلبوه، قد ينحس على صاحبه، فتتفعل أذهانهم عن قبول ما يصدر عنه بعد ذلك، ولو كان جديداً مفيداً . كما يكون في هذا التكرار مجال لمن يريد النيل من الدعوة عموماً إذ يجدها فرصة للقول، ومجالاً لنقاط الضعف .

وحتى يتفادى الداعية إلى الله هذا العمل ، فإنه لابد من توسيع المدارك ، وإكثار القراءة ، وتوسيع الأفق بالنقاش والمداولة .

وما يترتب عليه تعدد جوانب المعرفة ، وفهم أمور ما كانت لتدور بخلفه من قبل . فمما سطر في الكتب ما هو إلا جهود لأناس سبقوا خبرة ، وأفادونا علماً وتجربة .

- وإذا كان الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين» والقلقشندني في كتابه : «صبح الأعشى» وغيرهما من ذكر وواشروطاً للخطيب ، وعلامات للكاتب ، حتى يكون كلامه مقبولاً ، ورأيه مؤثراً مثل : نبرات الصوت ، المظهر العام ، الاعتماد على قوس أو عصا ، اختيار الكلمات ذات المعنى ، قصر الكلام ، وغير ذلك ، حيث ذكر بعضهم القول المأثور: في فقه الرجل تقصير الخطبة وإطالة الصلاة .

فإن الداعية يجب أن يراعي أموراً منها :-

- عدم الإطالة فلو حدد المتكلم لنفسه قبل البدء خمس دقائق ، وشعر الناس بذلك لرأيانهم يصغون إليه ، ويتابعون كلامه .

وكذلك الكاتب الذي يراعي ما يلائم موقفه ، أو يتلاءم مع مسمى محاضرتة بحيث يصبح مثل هذا العمل سمة لكل منهما ، يتناقلها الناس ، ويعرفون كلا هذه الخصل .

- تخصيص موضوع واحد للحديث ، وليكن إجابة عن سؤال أو مراعاة لمناسبة من المناسبات التي تروق الناس ، وتكون موضوع حديثهم . والتقيد بذلك بعدم الخروج عنه إلى غيره .

فإن في هذا دلالة على فقه الرجل ، وتفاعله مع الأحداث ، وحرصه على التأثير في النفوس ، للوصول إلى أسرع وسيلة في علاجها ، فالناس يحفظون ورسخ في أذهانهم كل أمر طلبوه ، أو أحسوا به كمشكلة في حياتهم .

وهذه علامة للداعي تميزه في فهمه وعلمه واستيعابه . وهو بهذا يزداد حصيلة علمية بالبحث والاستقصاء ، كما يتفقه عنه السامعون والقراء وإحاطة بجوانب ماتم الحديث عنه ، ومعرفة بأمور هامة قد ترسخ في أذهانهم .

- وعلى الداعي إلى الله أن يتحين الأوقات التي تخف أعمال الناس فيها ، لأن القلب المشغول كالصخرة الصماء ينحدر الماء من فوقها ، ولا تستفيد منه . والبطن الجائع يحتاج إلى الغذاء قبل حاجته إلى الكلام .

وقد جاء في الحديث الشريف «إن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل» أي منصرف عن مولاه .

فإذا كان هذا في شيء بين العبد وخالقه، وهو سبحانه أكرم وأجود من خلقه، فما بالك بشيء بين المخلوقين أنفسهم؟!؟! وهذا ما يسميه البلاغيون استصحاب الحال .

- أن يكون الداعي، إلى الله لنا في حديثه، سهلاً في تعامله . لأن عدم اللين يورث البغض والبعد عن المتحدث، ومن ثم عدم الاستجابة لحديثه، ألم يقل سبحانه وتعالى لنبيه الكريم ﷺ : «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» ولنبيه موسى واخيه هارون عليهما السلام عندما أرسلهما ربهما لفرعون لدعوته إلى دين الله : «فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى» .

فالحلم وعدم الغضب من الأمور المشروطة للداعية، لأن ذلك من رغبات الناس وسرعة استجابتهم، وهذا جزء من اللين الموصل للغاية المحمودة .

- أما الإحاطة والشمول فهي من مستلزمات الداعية إلى الله سواء كان داعية بلسانه أو بقلمه .

ذلك أن الداعية أمام المدعويين، كالمعلم أمام التلاميذ، قد يفاجأ بسؤال محرج، فلا بد أن يكون الجواب حاضراً ومقنعاً، وإلا سقطت مكانته بين مستمعيه .

وهذا لا يقتصر على الموضوع الذي يتحدث فيه، وإنما هو من توسيع المدارك العلمية التي يجب أن يتحلل به الداعية، حيث يجب أن ينطبق فيه رأي الفقهاء : «العلم فيما يدعو له، والعلم فيما ينهي عنه، والحلم فيما يدعو له، والحلم فيما ينهي عنه» . فهو قد يستنار برأي، أو يجرك بسؤال .

والداعي إلى الله لن يستطيع التحكم في القلوب، والإستيلاء على المشاعر، فلا إفادة من الهدف الذي نصب فيه، أو العمل الذي وجه إليه، ما لم يعرف مداخل النفوس، ويحيط بالمشكلات، فيها، ليستطيع تشخيص دوائها، ومعرفة المنافذ إلى علاجها، وذلك في نظري سهل ميسر، لمن وفقه الله، لأن القلوب أكثر استجابة من الأجسام وأنفع تعاطفاً مع طبيعتها وهو الداعية

وداؤها لكي يكون متفاعلاً، وظاهرة آثاره، فإنه لابد من جهد من الداعية ومغالبة النفس لأنه لن يتحقق شيء إلا بشيء .

والنظامي هو من يعالج نفسه أولاً، وبمن يعول ثانياً، فيرتاح الناس منه ثالثاً، وينجذبون إلى أعماله وجهوده تلقائياً، وهذا هو القبول الذي يجعله الله في قلوب الناس، لمن حسن عمله، وصدق في نيته .

وهذه منزلة رفيعة في الدعوة، لا يصعد إليها إلا فئة قليلة من الناس في كل مجتمع وزمن، يجب أن تهتم الجامعات بإعدادهم، وتنمية جذور الأعمال الخيرة في نفوسهم منذ إعدادهم دراسياً . . بالتوجيه والنصح، والتدريب والعمل، وبالمتابعة والمنهج الدراسي .

فالدعوة إلى الله من أشرف الأعمال وأنبهها، وهي رسالة أنبياء الله إلى الخلق كافة، ومن سار على دريهم يجب أن يتخلق بخلقهم، ويرسم خطاهم، ويجب على الجهة المشرفة على إعدادهم صياغتهم في هذا القلب، وتعهدهم منذ البداية، حتى تؤتي الدعوة ثمارها ويتحقق للداعية ما قام من أجله . .

والله الهادي إلى سواء السبيل

المشكلات التي تواجهها الدعوة داخل العالم الإسلامي وخارجه

الأستاذ الدكتور / محمد عبد الرؤوف
مدير الجامعة الإسلامية العالمية
ماليزيا

المشكلات التي تواجه الدعوة الإسلامية داخل العالم الإسلامي وخارجه .

تمهيد

أحمد الله تعالى ثم أشكر السادة المشرفين على هذا المؤتمر لتفضلهم بدعوتي للحضور والمشاركة . ومع علمي بقصر باعني وثقله بضاعتي فإنني آثرت الاستجابة عرفانا بفضلهم ونظما للقاء مع نخبة من كبار العلماء والمفكرين .

وتوفية الموضوع حق - كما هو واضح - تحتاج لأكثر من كتاب ، وتنطلب الدراسة على الطبيعة والقيام بجولات وزيارات مكثفة للبلاد والجنابيات ، كما تحتاج إلى المزيد من التحليل والتفصيل والتوضيح بالأمثلة الواقعية ، لم يكن كل هذا متيسراً نظراً لتقصير الوقت وضيق ذات اليد وضغط السواجبات وزحمة المسئوليات ، فلزم الاعتماد على الملاحظات الشخصية وعلى ما وعته الذاكرة من تجارب لذلك فإن الأمل كبير في العفو عما قد يكون في البحث من نقص أو تقصير ، وعما قد يعثر عليه من أخطاء ، مطبوعة فاتني إصلاحها .

ويتكون البحث مما يلي :

- ١ - تمهيد : يحتوي على بيان معنى الدعوة كما يبدو لصاحب البحث ، وكلمة عن الأهداف التي ترمي إليها الدعوة ، ووصف موجز لواقع العالم الإسلامي ، ثم كلمة قصيرة عن خاصة هذا الدين القويم من مرونة وقوة ذاتية دافعة .
- ٢ - المشكلات التي تتعرض لها الدعوة داخل الوطن الإسلامي ، وأعني بالمشكلات كل ما تتعرض له الدعوة من صعوبات وتحديات تعرقل مسار الدعوة أو تشوهها أو تبطلها أو تثير بلبلة أو شكوكا .
- ٣ - المشكلات التي تتعرض لها الدعوة خارج الوطن الإسلامي .
- ٤ - كلمة ختامية .

الدعوة والداعية

«الدعوة» هي نداء الله تعالى للبشر قاطبة أن يتدبروا آياته في ملكوته ، فيعبدوه وحده ويتبعوا دينه الحق ، فيسود الأمن ويعمّ الرخاء والعدل والرفاهية .

«الدعوة» هي نداء الله تعالى للمشركين أن يرجعوا عن غيرهم ويكفوا عن عبادة أشباح وأشكال لا تنفع ولا تضر ويصغوا إلى نداء التوحيد والعدل والسلام ، إلى دين الله القويم وهدية المستقيم .

«الدعوة» هي نداء الله تعالى لأهل الكتاب أن يتأملوا في المغالطات والمتعارضات الناشئة عن التحريف في كتب الله السماوية وإفسادها فيصغوا إلى نداء الإسلام وأتباع القرآن المجيد .

«الدعوة» هي نداء الله تعالى للمسلمين ، لجميع من اعترف بعقيدة التوحيد وأمن برسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا شملهم ويتبعوا ما أنزل الله على رسوله في صدق وإخلاص ليعزّ شأنهم ويعلو أمرهم وينشر دينهم وتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى .

«الدعوة» هي نداء الله تعالى إلى العصاة أن أنيبوا إلى ربكم وتوبوا إلى بركم ليتوب الله عليكم ويغفر لكم ويحببكم .

«الدعوة» هي نداء الله تعالى للأمة أن تكيف حياتها كلها وأجهزة دولتها على ضوء تعاليم الله وأن تصوغ نظمها وسلوكها كله على ضوء شريعته .

«الدعوة» هي حمل هذه الرسالة وإبلاغها باسم الله إلى من ينبغي حملها إليهم من عصاة المسلمين ، وإلى الجاحدين المنكرين وإلى الجاهلين الغافلين .

«الدعوة» قيادة المدعوين وسياسة أمورهم وتدابير شؤونهم في حكمة وتؤدة ليكفوا حياتهم ومعايشهم وسلوكهم على حسب هدى الله وشريعته .

«والدعوة» هي نداء الله تعالى للكافرين كي يؤمنوا، وللمشركين كي يوحدوا، ولأهل الكتاب كي يسلموا، وللعصاة كي يتوبوا، وللمختلفين كي يتفقوا، وللمتفرقين كي يتحدوا، وللمتخالفين كي يتعاونوا، وللمقاعدين كي يجاهدوا، وللمتطرفين كي يعتدلوا، وللمتهلوبين كي يمهّدوا .

ولكن نداء الله تعالى لا تسمعه الأذان الصماء، ولا تشهد آياته الأعين العشواء، ولا تعيها القلوب الغافلة، وذلك استجابة لقوله تعالى :

«ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» .

ولا تقتصر مهمة الدعوة على الداعي المحترف المتفرغ فهي مهمة الوالد بين أسرته، والعامل في مصنعه، والمعلم في مدرسته والتاجر في متجره وتجاره، وصاحب الأعمال في شتى نشاطاته والموظف في مكتبه، والحاكم بين رعيته .

القوة الذاتية في الدعوة الإسلامية

- للإسلام قوة ذاتية دافعة باهرة تغري بتقبّله واعتناقه عند خلو المواعظ المعوقة، ومن عوامل هذه القوة مايلي :
- يسر العقيدة الإسلامية .
 - ملاءمة العقيدة للنفطرة الإنسانية .
 - سلامة العقيدة من التعارض الذاتي أو مع العقل والمنطق .
 - روعة الشعائر الإسلامية التي تلفت النظر ومزايها الظاهرة والباطنة .
 - عدالة الشريعة الإسلامية وكونها تهدف إلى سلامة الفرد والمجتمع واستقرار الأمن والسلام والتقدم العمراني والأدبي .
 - نبل الأدب الإسلامية وتوافقها مع الفضائل الخلقية ومجافاتها للردائل والخصال الدنيئة .
 - عناية الإسلام بشئون الدين والدنيا وحاجات الروح والجسد . وصالح الفرد والجماعة معا بطريق منسق معتدل ويحيث لا يطفى صالح أحد الجانبين على الآخر .

أهداف الدعوة

والدعوة تهدف إلى تحقيق «وحدة الأمة الإسلامية» كي يكون الإسلام عزيزاً قوياً مُهاباً، و يعود للإسلام مجده وعزته، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وضعف الإسلام سياسياً واقتصادياً وعسكرياً يهدد الإسلام ذاته وينذر بتقلصه وضياعه .

وتهدف الدعوة إلى العمل على المواظبة على أداء الشعائر الدينية روحاً ومظهراً، وإلا لكانت خالية جوفاء، فيسهل تردى صاحبها في حبال الشياطين ومخالب المبشرين وأعاونهم .

تتجه الدعوة إلى تكثير أعداد المسلمين، فالكثرة العددية قوة، وسوف يباهي الرسول ﷺ بكثرة الأمة يوم القيامة وهو يقول «لأن يهدى الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم»

وتهدف الدعوة إلى الأخذ بوسائل العزة والقوة، بحيث يكون المسلمون في المقدمة في جميع نواحي التقدم العلمي والأدبي والمادي والثقافي .

«وتهدف الدعوة» إلى إصلاح الجماعة كما تهدف لإصلاح الفرد وذلك بالقضاء على الفساد والظلم والظلم والإجرام بأنواعه، ونشر العدل والأمن والسلام كي يعيش الناس في طمأنينة، ويتمتعوا بالأعمالهم ونشاطهم، فيسود الدين ويعلو قدر الأمة وتتحقق سعادة الدنيا والآخرة .

تسعدنا 'دنيا' ليست كما يراها البعض في التقدم المادي المحض على هذه الأرض، وتوفر أسباب الراحة والحاجات الجسدية وتحسين وجه المعيشة بوجه عام عن طريق التقدم العلمي والاختراعات والابتكارات التي تيسر العيش وتسهل وسائل الانتقال والاتصال بين الناس، نعم حققت 'أهداف' العلم والتقدم العلمي الباهر كثيراً من هذه الأهداف لكي نتساءل : هل حقق كل هذا التقدم سعادة الإنسان في الدنيا حقاً؟ لقد جلب هذا التقدم 'لكثير' من 'الآلام' والأمراض العصبية وانهيار الأوضاع الأسرية، وفساد الماء والهواء،

وعجزت حضارة الغرب عن إنقاذ المئات والآلاف ممن يموتون جوعاً في بلاد آسيا وأفريقيا،
ويهدد العالم كله بالخراب والدمار من الأسلحة النووية والأمراض والأوبئة الخبيثة والأوجاع
التي لم يعرفها الأسلاف والأجيال السابقة .

إنما السعادة في القناعة بما قُسم ، وشعور المرء بأنه أدى واجبه ورسالته نحوربه وأهله
ودينه ولعب دوره في خدمة الإنسانية مهما كان هذا الدور ضئيلاً أو محدوداً ، في هذا سعادة
الدنيا وتوقع رضوان الله وثوابه في الآخرة .

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد

واقع العالم الإسلامي

هكذا تهدف الدعوة الإسلامية إلى تحقيق أهداف نبيلة ولكن نظرة عابرة على واقع العالم
الإسلامي الحديث تؤكد أننا أبعد ما نكون عن تحقيق هذه الأهداف ، فهذا الواقع كما
يلبي :

العالم الإسلامي ممزق كل ممزق ، لقد تفتت إلى وحدات سياسية متضائلة ومتشاكّة تغار
كل منها على حدودها الوطنية من جاراتها المسلمة أكثر من غيرتها عليها من تدخل العدو وغير
المسلم ، بعضها يشغل بعضها في حروب شعواء أكلت وتآكل الحرث والنسل ، بل أن
المسلمين داخل الوطن الواحد يضرب بعضهم رقاب بعض في حقد وكراهية ، يتيح
بعضهم دماء بعض ويخربون الأموال والديار ، يستعين المسلم على أخيه المسلم بالعدو
المشرك من الكافرين ، وقد مكن ذلك أعداء الله ودينه من الاستيلاء على أراض إسلامية
مقدسة في قلب العالم الإسلامي وعلى مقربة من بيت الله ومسجد نبيه المصطفى ﷺ ،
وكدسوا بالأرض المسلوحة أفك أنواع الأسلحة بحيث أصبحت تلك الدولة أخطر ما
يُتصوّر على مستقبل الإسلام ، بالرغم من كل ذلك لا يزال المسلمون مشغولين
بخلافاتهم ، فأمن بذلك العدو من مكرهم ويزداد كل يوم قوة ومنعة ويطش بإخواننا
المسلمين الساكنين الذين وقعوا تحت سلطانه ، يقتلهم ويشردهم ويتولى على ديارهم
وأموالهم .

وزاد الطوبى بلة تشمت إتهامات الحكام ، وولاؤهم في تطرق الايدولوجيات من صنع الإنسان بدلاً من أن يتجهوا متحدّين إلى كعبة الإسلام ويولوا وجوههم شطر المسجد الحرام ، ثم إن ما يصعب ذلك من إجراءات القمع والإرهاب تشحن القلوب بالخوف والرعب والغزع ، فتقتل الكفايات وتنعدم المبادرات وتؤاد الاستعدادات ، ويسود الضعف والخور ، ويقل الإنتاج ، ويتعرض الناس للفقر والعوز والجهل ، وتتأخر الأمة ، بينما يتقدم أعداؤنا في جميع المجالات .

ويضعف المسلمون وهزيمتهم ضاعبت هبة الإسلام وعزته ، وأصبح مهاناً ذليلاً وارتبط الدين الكريم بمعاني الذلة والضعف والفقر والحمق والجهل والعنف والأرهاب ، وهان على أعدائه الأقوياء أن يتهموه بالأباطيل ويغرسوا كراهيته والنفور منه في قلوب الأجيال الصاعدة .

وأذى هذا الضعف وعجز المسلمين عن مقاومة الدعايات المعادية للإسلام إلى نفور الأعداء الكثيرة ممن كان يحتمل استجابتهم لنداء الله من الإصغاء إلى دعوة الحق ، وبذلك انحسر المد الإسلامي ويطؤ تقدمه بين غير المسلمين ، وأدهى من ذلك نجاج أعداء الله في ردة الأعداد الوفيرة والقليلة من المسلمين كما يحدث في بعض بلاد آسيا وأفريقيا ، ثم يختار من بين هؤلاء من يعدّ إعداداً خيئاً على يد الكنيسة ليكون قسباً وداعية لدين الكفر بين بني جلدته من أبناء المسلمين .

وبالرغم من الحركة الجديدة المباركة واليقظة الإسلامية الباهرة التي ظهرت أثرها الطيبة في سلوك الكثيرين من المسلمين في جميع الأقطار وخاصة بين الشباب المسلم ذكوراً وإناثاً فلا يزال الفساد ولا تزال الرزيلة سائدين مع الأصف الشديد في البلدان الإسلامية ، ولا تزال عبادة المادة وحب الرئاسة والحرص على المناصب تستولى على النفوس التي تتهم هذه الصحوة بالتطرف وتعرقل الجهود التي تبذل للرجوع إلى حكم الله وشريعته بدلاً من التمسك بطواغيت من صنع المخلوقين .

كما لا تزال الكثرة الإسلامية بالرغم مما أسبغ الله على العالم الإسلامي من وسائل الرخاء - في المؤخرة في شتى مجالات العلوم ، أقصى جهودهم أن يستكروا بأذبال كبرائهم ويقلدوا

سادتهم من الغربيين الذين استأثروا بالابتكار والاختراع والتقدم والإنتاج الوافر الراجح ، واستغلوا سائر العالم بما أسماه «العالم الثالث» أو «العالم النامي» أو بعبارة أخرى «العالم الرجعي المتأخر» الذي غمره بمنتجاتهم وجعلوه يعتمد عليهم حتى في وسائل الدفاع عن نفسه ، واثقلوه بالدين وحملوه على تقليده في مظهره ومخبره وقيمه وعيانيته ، وهانحن بصدد نزاع وخصوصية حادة بين من يكدحون للاستجابة لدواعي الله ومن يتجاهلون نداء الحق ويقولونه ويشجبونه ، فإلى أين المصير ؟

فلما أحس الاستعمار بقرب أجله واضطرابه لرفع يده والرحيل يوما ما عن تلك البلاد الممزقة المعزولة المستعبدة حطط قبل رحيله لتخليد ضعف المسلمين وبيث الخلاف والاحقاد فيما بينهم ضمانا لصالح المستعمرين مهما كان الثمن باهظا للإسلام والمسلمين من الخراب والدمار وعدم الاستقرار وإزهاق الأرواح وإسالة الدماء على مدى الأجيال ، بل بيتوا غلدا لإقامة دولة عدوانية تكون بمثابة عظمية في حلق العالم الإسلامي فلا يستقر له قرار ولا يهدأ له حال ، كما بثوا في نفوس الناس روحا وطنية كاذبة مغالية لتقف صخرة ثابتة وحائل منيعا أمام الاتفاق والاتحاد .

ولما أنتهت الحرب العالمية الثانية وتخلص العالم من ويلاتها ، ثم جاء عام ١٩٤٧م بدأت الوحدات المستعمرة تتنفس الصعداء وتتخلص من قيود الاستعمار وتعلن سيادتها واستقلالها واحدة بعد الأخرى بعد كفاح مرير وتضحيات جيمة ، ولكن كلا من هذه البلدان وجدت نفسها متقلبة بتركة استعمارية ثقيلة داخليا وخارجيا ، وواجهت مشاكل ومصاعب كانت كلها لصالح السادة السابقين على حساب الشعوب المغلوبة على أمرها ، وشغل الناس بهتافات ونداءات وطنية فارشة ، واستبد بكراس الحكم فئة تربت في حجر المستعمرين ، وأصبح التفكير في الوحدة الإسلامية أمرا بعيدا ولقد فرح العالم الإسلامي واستبشر لما قامت وحدة بين دولتين عربيتين لكن سرعان ما تعثرت وانقطعت لأنها لم تقم على دعامة الإسلام وكلمة التوحيد ، وحاولت الحكومات العربية من قبل إقامة هيئة جامعة تتعاون عن طريقها مع احتفاظ كل منها باستقلالها وسيادتها ، سموها «الجامعة العربية» ولكنها للأسف لم تفلح حتى في محاربتها مقاومة إنشاء دولة يهودية عدوانية في وسطهم ، ثم أدت الهزيمة للنكسة المهيبة للعرب والمسلمين عام ١٩٦٧ ثم العدوان على المسجد الأقصى

المبرك إلى قيام «منظمة المؤتمر الإسلامي» في أوائل السبعينات، وبالرغم من الأهداف النبيلة لهذه المنظمة وما انبثق عنها من مؤسسات تربوية وتضامنية وعلمية غير أنها تعاني ماليا وإداريا وتنظيميا، وبالتالي لا نستطيع تحقيق أهدافها على الوجه المطلوب نظرًا لتقاعس الدول الأعضاء عن تأييدها تأكيدًا كافيًا غير متأثرين بدوافع الأنانية أو الوطنية .

المشكلات التي تواجهها الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر

(أ) في الوطن الإسلامي

هيا بنا إذن نحاول كشف الغطاء عن العوامل التي تعوق الدعوة الإسلامية وتقف في طريقها، وبالتأمل وتقاييب النظر يمكن رد أهم هذه العوامل إلى مايلي :

أولاً : التعصب للوطنية

تفتت الدولة الإسلامية سياسياً وبخاصة منذ عهد الاستعمار الغربي الذي استولى على العالم الإسلامي كله من أقصاه إلى أقصاه ما عدا مساحات صحراوية لم يكن لهم فيها أهمية اقتصادية أو استراتيجية عسكرية، بدأ الاستعمار على يد البرتغاليين في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي بعد أن تخلصوا من الحكم الإسلامي باستيلاءهم وتثبيت قواعدهم على السواحل الغربية لإفريقيا، ثم بدأوا يتغلغلون داخل إفريقيا في جميع الاتجاهات، ثم نافسهم الإسبانيون فالهولنديون فالبريطانيون ثم الفرنسيون والألمان وغيرهم، فبسطوا نفوذهم في جميع الأنحاء وعمروا رأس الرجاء الصالح وانقضوا على الإسلام والمسلمين في جزر الهند الشرقية والملايو واندونيسيا وما أسماه الثقلين ثم الهند وغيرها، وبالرغم من المنزعات بين الاستعماريين على السيطرة على هذه البلاد الواسعة غير أنهم اتفقوا على خصومة الإسلام ومعاداته والعمل على إذلاله والقضاء عليه وعلى كتابه إذا استطاعوا، ثم تصالحوا في سلسلة من المعاهدات والاتفاقيات التي أبرمها قبيها بينهم على توزيع هذه التركة فيما بينهم إبان القرن التاسع عشر الميلادي، وترك كل منهم يقضي ويحكم ويستغل موارد ما تحت يده ويفرض عليه قوانينه ولغته ونظمه الاقتصادية والتربوية، ويقتل ويشرد ويسجن الزعامات والقيادات، وفرصوا حواجز كثيفة بين كل بلد وآخر على أماد طالت بحيث ما كان يدرى بلد مسلم ما يجري لإخوته بداخل البلد المجاور، ونشأت الأجيال الإسلامية

في كل رقعة مستعبدة تتغذى من ثقافة المستعمر وتنطق بلسانه وتألف عاداته وتعتز بتقليده وتتشبع بأفكاره ومثله، حتى تكونت لكل من هذه الوحدات العزولة بعضها عن البعض الآخر على طول المدى شخصية وآمال وأهداف وعاطفة وعادات تختلف في كل منها عما هي في الأخرى، وتتعصب كل منها لوطنيتها وتغار على حدودها .

ثانيا : الأخطبوط التبشيري

ولما رأى العالَمُ ما أتت بنا من ضعف سياسي واقتصادي، طمع فينا فغزانا في عقر دارنا وبث المبشرين في مجتمعاتنا، مركزا على المدارس والمستشفيات ومستخدما أموالهم الطائلة وتقدمهم العلمي والتقني، ومن ورائهم المجالس الكنية وتعزيد الحكومات وكبار الشركات . فيوزعون الطعام والشراب والملابس للمحتاجين المهوزين من المسلمين، ويزورون المرضى ويعالجونهم ويقدمون المنح الدراسية للشباب في معاهدهم، ويقومون بمشروعات إصلاحية مستخدمين في ذلك شبابهم وأموالهم باسم حب الخير والإصلاح والإنسانية، والواقع أن كل ذلك مؤامرات خبيثة ومصائد لاصطياد المسلمين وتحويلهم للمسيحية، وبالأصف الشديد أثمرت جهودهم انتصارات جمة للمسيحية على حساب الإسلام فزرعوا الكنائس في قلب القرى والأحياء الإسلامية، وصنعوا مثل ذلك في بلاد من أطراف الجزيرة العربية التي طهرها من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من الكافرين، وأرستت الأعداد الكثيرة في بعض البلاد الإسلامية مثل إندونيسيا التي فيها أكبر تجمع آسيوي . ونيجيريا التي فيها أكبر تجمع إسلامي في إفريقيا، ويخططون في خبث ومهارة لتحويل أفريقيا الإسلامية إلى قارة مسيحية قبل نهاية القرن الميلادي الحالي .

وهذه المناسبة، أستأذن في سرد بعض الأحوال الناجمة عن خبث هؤلاء المبشرين ونشاطهم المدمر في بلادنا الإسلامية .

في يوم ما من عام ١٩٧٩ حيث كنت أعمل بالمركز الإسلامي بواشنطن، وكنت مشتركا في مجلس الأديان بهذه المدينة، اتصل بي سكرتير هذا المجلس وكان يعمل بصفة «أسقف» في الكاتدرائية الوطنية بواشنطن ودعاني لزيارة مكتبه بالكاتدرائية لمقابلة وفدهام قادم من الخارج، وعندما وصلت قدّم لي أعضاء الوفد الذي قدم من إفريقيا ومن بينهم «الأسقف

محمد و «الآخت الراهبة فاطمة» وهكذا فتحسرت في نفسي واعتقدت إنهم يتعمدون الإبقاء على الأسماء الإسلامية المحضة لمن يرتد ثم ياصفون بها هذه الألقاب الوظيفية الكنية حتى تفقد هذه الأسماء صبغتها الإسلامية وتيسر للأخرين ممن يسمون بهذه الأسماء التحول إلى المسيحية دون أن يوحي إليهم الاسم الإسلامي بالتردد في ذلك، وقد يكون لهم أغراض خبيثة أخرى .

وكان من المعروف أن الشعب الملايوي في ماليزيا كلهم مسلمون، ويعتبرون دين الإسلام جزءاً لا يتجزأ من كيانتهم، ولعل قوة اعتزاز الشعب الملايوي بدين الإسلام ناشئة عن المعاملة الوحشية التي قاساها على يد المستعمرين البرتغاليين، وكان البرتغاليون يحقدون على الإسلام وللغاية ويبيدون المسلمين أو يعدبونهم أينما التقوا بهم ولقد أغار الأسطول البرتغالي على «ملقه» المملكة الإسلامية العظيمة في شبه جزيرة الملايو عام ١٥١١م فقاوم الشعب حملات المعتدين بشجاعة وإيمان وأبلوا بلاء حسنا، غير أن تفوق العدو بأسلحتهم ونيرانهم أدى بالأسف إلى هزيمة هذه المقاومة البطولية فدخل المعتدون البلاد ليتزلوا بسكانها أفسى ألوان العقوبات، فسالت الدماء في الشوارع سبل الأنهار، وإمعانا في إذلال العاطفة الإسلامية هدموا المساجد وقبور السلاطين وبنوا من حجارتها كنائسهم وقلاعهم .

ورغم ما عانى المسلمون على مدى هذه القرون على يد المستعمرين من البرتغاليين ثم الهولنديين ثم الإنجليز الذين صفا لهم الجوهناك منذ ١٨٢٤م فقد استطاعوا أن يحتفظوا بدينهم وبكتابه وسنة نبيه وبالمواظبة على أداء شعائره، وأسسوا المدارس الشعبية القرآنية التي حافظت على هذا الدين على مدى الأجيال حتى نالت البلاد استقلالها وغادرها المستعمرون عام ١٩٥٧م

لذلك كله لم يكن يتصور أن نسمع بملايوي غير مسلم أينما كان، ولكن للأسف أفلح نشاط المبشرين في السنوات الأخيرة بين الجالية الملايوية المغلوب على أمرها في «سنغافورة» فأرتد عدد منهم وبعث المبشرون من بينهم إلى مدار مهم من تخرج كمبشر ليقوم بالتبشيريين ذويه، ثم كونوا هيئة سموها «الجمعية الملايوية المسيحية» في «سنغافورة» .

ثم بدأ الزحف التبشيري على «ماليزيا» نفسها وكادوا يفلحون لولا بقظة القيادة الحكومية المسلمة في ماليزيا. يساعد المبشرون بعض الاندونيسيين على الهجرة إلى ماليزيا فيقبلون على فرض أنهم مسلمون ولكنهم في الواقع من بين المرتدين. حتى إذا استقر بهم المقام في ماليزيا بعد حصولهم على الإقامة الشرعية كشفوا عن حقيقتهم وشرعوا في الإجراءات لبناء كنية لهم، وهم طبعاً يشبهون الملايويين لونا وشكلا ويتكلمون نفس اللغة، ولكن ماتم لهم ذلك، حيث سحبت إقامتهم وطردوا من البلاد.

وفي صباح هذا اليوم وهو الثاني من جمادي الأولي ١٤٠٧هـ (٢ يناير ١٩٨٧م) حيث تكتب هذه السطور، نشرت الصحف الماليزية نبأ مقتضاه أن منظمة ما تحاول أن تعقد مؤتمراً عالمياً في ماليزيا، وأنها بعثت تستعين من باب خفيّ بنفوذ المركز الإسلامي الذي يتبع مكتب رئيس الوزراء، وتقدمت بشيك كرشوة قدرها عشرة ملايين من الدولارات، قال السيد نائب الوزير للشئون الدينية داتويوسف نور الذي أعلن النبأ: «أن الشيك قدر فرض وسلّم إلى السلطات المختصة للتحقيق، لأن هذه المحاولة طعن في شرف المسلمين في ماليزيا لأنها تعني أنه يمكن شراؤهم بالمال» كما قال السيد نائب الوزير «أن الشيك مشروط صرفه بالإذن لمنظمة ما أن تعقد مؤتمراً عالمياً في ماليزيا وأضاف بأن هذه المحاولة تشير إلى أن هناك عناصر تهدف إلى تحطيم الجماعة الإسلامية في ماليزيا وتعمل على إضعاف إيمانهم وثقتهم بدينهم، ثم حذر هذه المنظمة وأكد أن مسلمي ماليزيا لن يبيعوا شرفهم ولن يفرطوا في دينهم بالأموال مهما بلغ مقدارها، ومع أنه لم يسمّ هذه المنظمة فالمفهوم أنها الفاتيكان والمجلس الكنائسي العالمي.

ومن بين أساليب المبشرين الخبيثة الفعالة تبنى الأطفال من العائلات الفقيرة كعمل خيريّ إنسانيّ في ظاهره، وذلك للإتفاق عليهم وتربيتهم، فينشئونهم في مدارسهم ويلقنونهم الأناشيد الدينية والطقوس الميحية، ثم يصنعون من بعضهم قسوساً ودعاة للمسيحية، وقد يساعدون البعض للحصول على أعلى الدرجات الدراسية ويمكنونهم من المناصب الهامة ليستفيدوا من نفوذهم، ولقد التقيت بدبلوماسيين ومبشرين في بعض المحافل والمؤتمرات وهم من أمهات مسلمات ولهم إخوة مسلمون ويقوم هؤلاء بعمل الشيء نفسه فيأخذون أبناء الفقراء ويجمعون لهم الأموال من كل الجهات، ويطلبون ممن يأنسون

فيهم الكرم - حتى من بين المسلمين - تبني هؤلاء الأطفال غيايباً للانفاق عليهم بتبرع شهري (لله تعالى) وقد لا يرى المتبني الطفل الذي تبناه ولا يدري أنه ينشأ ليشر بغير دينه .

ثالثاً : التعصب العنصري

والمقصود هنا العنصرية الممقوتة ، أي تعصب الفرد أو الجماعة لأسرتها أو قبيلتها من أجل رفعها أو تساطها بغير حق أو تأييدها في قضية لاحق لها فيه ، ولقد عانى الإسلام في عصوره الأولى والحاضرة من هذا التعصب الذي حطم قوة الإسلام وفرق كلمته وفتت دولته وأوضاع هيئته لقد عانى الإسلام من الخلاف بين الهاشميين والأمويين ، ثم بين العلويين والعباسيين ، ثم بين عرب الشمال المضريين وعرب الجنوب القحطانيين مما أدى إلى خسائر تاريخية فادحة وحروب طاحنة ، ثم انحسر الإسلام تدريجياً عن اندلوسيا وغربت شمس الإسلام عن أرضها بعد أن غمرتها وأضاءتها وغنتها بالعلوم والفنون لثمانية قرون .

وفي زماننا هذا أدى هذا التعصب - مع بعض عوامل أخرى - إلى إنفصال جناحي باكستان ، ثم إلى المذابح التي تلت ذلك بين القبائل في بنجلادش ، ثم ما حدث أخيراً من نزاع دموي رهيب في كراتشي في شهر ربيع الآخر ١٤٠٧ هـ . (ديسمبر ١٩٨٦ م) . استغل فيه الأحقاد القبلية بين المسلمين .

رابعاً : التعصب المذهبي

إن اختلاف الرأي ظاهرة إنسانية طبيعية ، ولا بأس بها طالما أنه لم يؤد إلى تعصب أو تشدد أو عدااء لصاحب الرأي المخالف ، بل قد يكون هذا الاختلاف المشروع بركة ورحمة كما هو الشأن في الاختلاف الفقهي بين الأئمة وأصحابهم ، ولقد اختلف المسلمون في الأجيال الأولى على موضوع الخلافة ، ثم على موضوعات ومفاهيم أخرى ، وقامت فئات وفرق اختلفت على مسائل جانبية ، ولكنهم اتفقوا على إقامة وحدة سياسية وجوب اتباع شريعة الله تعالى ، وضمّ الجهود للجهاد في سبيل الله تعالى والذود معاً عن حظيرة الإسلام .

ولكننا في السنوات الأخيرة بالأسف نشهد رفع شعارات تفرق بين الشيعة والسنة من المسلمين ، وتبذل الجهود لبث بعض المبادئ الشيعة الخلافية كلعن بعض الصحابة وذمّ

بعض آخر وإثارة مسائل خلافية قديمة مما يؤدي إلى التشويش والتشويه والانقسام بين المسلمين لدرجة إسالة الدماء وإرهاق الأرواح البريئة والتأثير على الأمن في البلاد ثم تشويه سمعة الإسلام أمام العالم كله .

وكان الناس قد فرحوا بما حدث في إيران من الثورة على الظلم وإعلان قيام دولة إسلامية ، ولكنها ما فتئت أن أُنسكت في حرب ضروس مع جاريتها العربية المسلمة «العراق» فبدلت الجهود الجبارة من أجل الصلح ، وسافرت الوفود وتابعت الاجتماعات وعقدت المؤتمرات وبدلت الحيل لإيقاف الحرب دون جدوى ، وهما هي الحرب في عامها السابع تقتل العباد وتحصد الشباب وتخرب الديار والبلاد وتشتم الأعداء وتضعف البيضة ولا يعلم مصيرها إلا الله .

وهنا نتساءل : ما الذي وراء تمادي هذه الحرب العراقية الإيرانية وعنادها بعد أن مضى عليها ست سنوات طوال؟ أهو التعصب المذهبي بين السنة والشيعة؟ أو التعصب العنصري بين العرب والعجم؟ أو المفهوم الوطني ذو النطاق الضيق؟ أو هذه العوامل جميعا؟ ثم ما هذه المعارك الطاحنة الدائرة في لبنان والعدوان على الفلسطينيين المساكين وتخبياتهم؟ تلعب فيها الأصابع الشيعية والخارجية وتخدم بذلك المصالح الصهيونية وتزيد من ضعف البلاد والعباد .

وقد يشتد التعصب المذهبي الفقهي كذلك جهلاً وحمقاً كما كان يحدث من قبل من تفضيل بعض المذاهب على البعض الآخر وإقحام الاختلاف المذهبي في موضوع الكفاءة عند الزواج ، والمهم أن التعصب للمذهب ما حق وجهل ، وقد يؤدي إلى أحقاد تظل دفينه ثم تظهر آثارها شديدة عند المناسبات وتقف حائلاً دون الوفاق والاتفاق ، وأعرف حالات يعزف الحنفى فيها عن الاقتداء بإمام شافعى .

وأستأذن السادة السامعين فأرورى لهم قصة طريفة بهذه المناسبة حدثت عندما كنت أعمل بالكلية الإسلامية بالملايو (ماليزيا حالياً) في أواخر الخمسينات ، كنا فكرنا في عقد دورة خاصة للقضاة الشرعيين في البلاد وكانت معلومات كثيرين منهم ضحلة ، وطريقة المقاضاة بالمحاكم الشرعية لا تتبع النظم الحديثة ، وشجعني السيد رئيس قسم الشؤون

الدينية بالولاية التي كانت تقع بها الكلية، ورغم المبالغ اللازمة للإنفاق على إقامة جميع القضاة بالولاية بالكلية أثناء هذه الدراسة، أذكر إنها كانت لمدة أسبوعين، وتقدم إليها عدد من قضاة الولايات الأخرى، ونظمتنا برنامجاً إضافياً اشتمل على سلسلة دروس مكثفة في أحكام الأحوال الشخصية، ودعونا بعض رجال القضاء المدني وكبار رجال البوليس ليلقوا محاضرات مناسبة، وكان نصيبي أنا من التدريس سلسلة محاضرات عن تاريخ التشريع الإسلامي، وتطوع السيد رئيس إدارة الشؤون الدينية بترجمة محاضراتي من الإنجليزية إلى الملايوية التي لم أكن أحسنها بعد .

تمت هذه الدراسة على مايرام بحمده وتعالى، وأقمنا حفل وداع مناسب وتمع للقضاة المشاركين، وغادر كل منهم مقر الكلية إلى بلده، وكان السيد مدير إدارة الشؤون الدينية بعد كل محاضرة يترجمها يثني غاية الثناء ويحض القضاة على الاستفادة من العلم، ولإعجاب به طلب مني أن ألقى سلسلة من الدروس بمسجد المدينة الحكومي على الأئمة بالمطقة، فوافقت لعلمي بحاجتهم ليتعرفوا على الكثير من أحكام الطهارة والصلاة وخاصة باب الجماعة، علماً بأن القانون هنا كان يمنع من إلقاء دروس دينية دون ترخيص من السلطات المعنية .

ولكن لم تض بضعة أيام على انتهاء هذه الدورة للسادة القضاة الشرعيين حتى قامت عاصفة شديدة ضدي، ما الذي حدث؟ ذهب بعض قضاة الولاية وشكروا سمو السلطان أنني في أثناء محاضراتي ذكرت أسماء الأئمة من أمثال الإمام أبي حنيفة وبالك وإبن حنبل مع أن شعب الملايو ينتمي إلى مذهب الإمام الشافعي فقط فأتصل مكتب سموه بالسيد رئيس الكلية الذي كان يقيم بعيداً في «سنغافوره» محتجاً على ما حدث وكان مستقبل الكلية أصبح متهدداً . وكان ما قصلنا به الخير تسبب في فتنه شعواء .

اتصل بي السيد رئيس مجلس الكلية وأصر على أنني لا بد أن أعتذر في الصحف عما صدر مني من ذكر هؤلاء الأئمة، مع أنه كان رجلاً ذكياً ويعلم أن ذكر أسماء هؤلاء الأئمة كان ضرورياً في معرض الحديث عن تاريخ المذاهب وأسباب خلود بعضها وسريان البعض الآخر، قال لي: من أجل صالح الكلية وضمأن سلامتها ويقائنها لا بد لك من أن تعتذر علناً وأسمع نصيحتي كوالد، فأجبت: كيف أصنع شيئاً كهذا ضد ضميري؟ وكيف يكون

موقفي أمام طلابي إذا خالفت ضميري هكذا؟ ولكنه أصروا وكرّروا هذه النصيحة يومياً بضعة أيام .

وفي هذه الأثناء وصلني بالبريد خطاب من السيد رئيس الشؤون الدينية يفيدني بأنني ممنوع من إلقاء دروس دينية بالمسجد نظراً لأنني - كما ورد في خطابه - أتمسك بأفكار لا تتفق مع معتقدات المسلمين بهذه البلاد ، وهكذا أعلن سيادته تخليه عني حتى لا يغضب السلطات العليا، ولعله كان يتهم بتأييدي .

كان الخيار أمامي إذن هو إما أن سأتجيب وأعتذر علناً في الصحف ، وكان هذا أمراً متحيزاً لما يتبعه من آثار وخيمة للغاية ، وإما أن أستقيل وأشد الرحل إلى بلدي ، ولكن الخيار الثاني كان له خطره أيضاً ، لا على الكلية فحب بل على مشروعات إسلامية تربية أخرى حسبت أنها تتأثر بمفري وغيبتي في ذلك الوقت .

فأظمني الله تعالى أن استأذن في مقابلة سمو السلطان ، وكنت أأمل أن يكون قد هدأت سوريته ، وأذن سموه بمقابلي وحدد لي موعد الزيارة سموه في قصره الجديد المعد للاستجمام على شاطئ البحر وعلى بعد ثلاثين ميلاً من الكلية ، ولما تفضل سموه رحمه الله باستقبالي، وأخذت مكاني بدأت الحديث معتذراً لسموه عما يكون قد حدث من سوء فهم وأكدت له أنني لم أقصد تفضيلاً ولا تمييزاً بين الأئمة وإنما كنت أسرد اتاريخياً ، وإلا فأنا أتبع مذهب الإمام الشافعي ، وأمّي شافعية ، وأبي شافعي ، وكل أسرتي شافعية ، وجميع سكان قريتي شافعيون ، ودرست بالأزهر خمس عشرة سنة لم أتعلم فيها غير المذهب الشافعي . ثم شرعت في الثناء على الإمام رضي الله عنه وعلمه وذكائه وفضله . فأنفجرت أساري سمو السلطان الكريم وعفا عما حدث وشملني بعطفه أمام الحاضرين ، والحمد لله رب العالمين .

طبعاً تغيرت الأحوال الآن بفضل الله تعالى وبفضل خريجي الكلية والخريجين الكثيرين من جامعات الشرق الأوسط ، انتهى هذا التعصب كما قضى على خرافات وعادات، كانت موروثاً عن الهندوكية وشجعها الاستعمار الغربي وعمل على خلطها بالدين .

خامساً : مخططات دولية ضد الإسلام .

وإن الناظر المدقق ليشعر بأن للقوى الكبرى مخططات ترمي لضعف الإسلام والتمكن من أهله والسيطرة على مولد بلادهم ، والتمكين للأفكار والنظم المعادية من التسلط عليه ، وأن حقد العالم الغربي على الإسلام - كما هو معلوم - متوارث منذ قهر الإسلام سلطان الدولة الرومانية المسيحية في أثناء القرن الأول من حياته ، وانتزع منها بلاد الشرق الأوسط كلها وجنوب أوروبا وشبه جزيرة إيبيريا ، وأوشك المسلمون أن يفتحوا أوروبا كلها ، وما كان ذلك عدواناً من المسلمين ولكنه كان جهداً للنشر الدعوة وصيانة لها ودفاعاً عنها ، كما كان استجابة لنداء الشعوب المظلومة المضطهدة التي آثرت أن تعيش في ظل عدالة الإسلام والمسلمين ، توارث الغرب هذا العداء جيلاً عن جيل ، وإذكاه الاتهامات الباطلة ضد الدين ونبيه ، ثم اتخذ شكلاً مسلحاً رهيباً أثناء الحروب الصليبية التي امتدت على مدى قرنين حتى طرد الصليبيون من البلاد الإسلامية على يد صلاح الدين ، وبالرغم من معاملة صلاح الدين الكريم لهم والعفو عن ملوكهم وأسراهم فقد استمر الحقد في القلوب وظهر في كتابة مؤلفيهم على مدى القرون يتهمون فيها زورا المصطفى الأمين ، ويظهرون فيها الإسلام مظهراً وحشياً رجعباً ، كما يصور رسول الله ﷺ في متاحفهم كشخص شهواني يحاط بعدد من النساء ، وكان في نافذة إحدى الكنائس الكبرى في نيويورك تمثال للمرسول بإحدى يديه سيف وبالأخرى كتاب ، وما رفع من مكانه حتى إحتج رؤساء الوفود الإسلامية لدى هيئة الأمم المتحدة .

أقول : يشعر المتأمل بأن هناك مخططات مرسومة ضد الإسلام لدى الدول الكبرى شيوعية ورأسمالية ، ونرى أثر ذلك في العدوان الغاشم على أفغانستان التي أبلى مجاهدوها بلاء حسناً وعانى الشعب المسلم من ويلات الحرب وآثارها ويعاني ما تقشع جرمه الأبدان . هذا عدا الحسائر المادية الفادحة والملايين من اللاجئين المساكين ، كما بدأ في ذلك التأييد المكشوف وغير المحدود للفقراء الإسرائيليين وظلمهم الفادح وعدوانهم المتكرر الأثيم ، كما تبذروا من تأييدهم ومناصرتهم وإعانتهم في كل القضايا المعادية لأي بلد إسلامي ولأي زعيم إسلامي ، ثم في حركات خفية دقيقة تنفق مع مخططاتهم الخبيث .

سادسا : موقف المترددين والمتطرفين والمقلدين

وحتى ظهرت آثار الصحوة الإسلامية وخاصة بين الشباب المسلم منذ أواخر الستينات كان الشعور الديني يكاد يكون غائبا تماماً بين الأغلبية الساحقة لدى عدد من الشعوب الإسلامية ، فكان الإسلام منعزلاً عن الحياة السياسية والاقتصادية والتشريعية ، ويقاس النجاح بالإنجازات المادية ، فكان المحظوظون في المجتمع يجسبون التردد على المساجد وإقامة الشعائر أمراً قاصراً على المشايخ والفقراء من العمال والفلاحين ، وفشا الظلم واستغلال الضعفاء ، وتوقف أداء الزكوات .

وبفضل كفاح عدد من العلماء النابهين في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ، ثم بفضل بعض الحركات الإسلامية الواعية التي استطاعت أن تشمل إلى نفوس الملايين من المسلمين ، رغم اضطهاد الحكومات لها والقضاء على زعامتها حدثت يقظة عاملة غيرت وجه الأرض وأزعجت أعداء الإسلام وضحى الإسلام عاملاً قوياً محركاً للشاعر الأغلبية الساحقة من المسلمين وارتفعت الأصوات تنادي بالتغيير الجذري وبعمل إصلاحات شاملة في تنظيم الحياة السياسية والاقتصادية والتشريعية على أساس هدي الإسلام وشريعته ، ولكن بعض السلطات لازالت تتردد وتسوّف وبعض المنادين بالإصلاح يتشددون ويتعجلون دون أن يكون بيدهم برنامج واضح مفصل ، وبالتالي تتعقد الأمور وتسوّف الإصلاحات .

ثم أن العالم الإسلامي لا يزال يعاني من آثار عقدة الرجل الأبيض والتفاني في تقليده واستيراد قيمه مهما كانت لا تتفق مع مبادئنا وتقاليدنا أو اختلفت مع تعاليم ديننا ، إننا لا نتهم الغرب أو ندينه في كل شيء ، كما يصنع البعض ، فالغرب ليس فساداً كله ، وليس صلاحاً كله ، فعلينا أن نميّز بين الغث والسمين ، وبين ما يفيد وما يضر ، فنأخذ ما فيه صلاحاً ولا يتناقى مع مبادئنا وتقاليدنا ، وننبذ ما يسيء إلينا ولا يتلاءم مع قيمنا وتراثنا ، فحبنا ما عانينا تحت نير الاستعمار الذي فرض علينا قوانينه ونظامه الاقتصادي والتربوي ، ووضع أساس ازدواجية التعليم محايياً ما أسماه بالتعليم المدني ومجحفاً بحقوق التعليم الديني .

ومن الجدير بالذكر في هذه المناسبة الإشارة إلى أن بداية الوعي بحق الحرية والاستقلال وواجب العمل لمقاومة الظلم والاستعمار نبتت في مدارس التعليم الديني التي عانت الأمرين من إجحاف المستعمرين وظلمهم ، وكان للدارسين في الأزهر الفضل الأكبر من إثارة هذا الشعور ، عانوا الكثير من الاضطهاد والسجون وألوان التعذيب ، ففي الملايو (ماليزيا) مثلاً ، عاد طلابها من مصر حيث تغذوا من أفكار الإمام محمد عبده على يد تلاميذه ومريديه من أمثال السيد / رشيد رضا مشبعين بالأفكار الإسلامية الناضجة ومسلحين بالمعرفة الإسلامية الصحيحة التي تؤكد على اللب والأصول لاعلى القشور والشكليات ، وتنادي بعزة المسام وحرية وكرامته ، فنقلوا معارفهم إلى مريديهم ، حتى حظوهم الاناشيد الوطنية العربية وترجموها كذلك إلى الملايوية ، فضجّ المستعمرون وقبضوا على دعاة الإصلاح والاستقلال من أمثال الشيخ طاهر جلال الدين وزملائه ، فسجن من سجن وفر من استطاع الفرار ، وأسياه هؤلاء أصبحت من عمالقة التاريخ في هذه البلاد .

ومن العجيب أن يكون بيننا من لا يزال يتشدد بالعلمانية اللادينية ، فيمنع بقوة القانون فتيات بريئات يافعهن التمسك بالدين لتغطية شعورهن ، ويندد بما أسماه الرجعية الدينية ، ويعتبر محاولة هؤلاء أن يطعن أمر الله فن في قوله : ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ تطرفاً دينياً ،

ولقد كان لظهور اللادينية أو العلمانية في أوروبا أسبابها ومبرراتها ، فلقد تسلطت الكنية في القرون الغابرة وفرضت سلطانها العاشم الأسمى لأمد طويلة ، وكان لذلك آثار وخيمة بعيدة المدى . فحد ذلك بالمستشرقين هناك أن ينادوا بالفصل بين الدين والسياسة وسائر شؤون الدنيا ، وترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، أما إسلامنا فبهودين الحياتين وفي إتباع هديه نجاه الدارين ، فهودين العلم والعرفان والعدل والسلام ، فلا حاجة بنا لاستيراد ما ينفعهم ويضرنا ويرفعهم ويخفضنا ويسىء للمغاية إلينا .

ويظهر أثر هذه الفجوة كذلك في موقف الذين تربوا في أحضان الغرب من إخواننا في بعض البلاد الإسلامية ، ففي ماليزيا مثلاً نرى أنه بالرغم من الجهود الحميدة التي تبذلها إدارة الشؤون الدينية بمكتب رئيس الوزراء مع كبار الموظفين والمسؤولين ، والندوات

المتكررة التي تعقد لهم ، وتوزيع النشرات والكتيبات عليهم من أجل غرس القيم الإسلامية في نفوسهم ومراعاتها في جميع المجالات لا يزال بعض هؤلاء يتصرفون عن قصد أو عن غير قصد بما ينتج عنه ما يضر بالدين ولا يتمشى مع المبادئ والمثل الكريمة، فالمدنولون عن برامج الإذاعة والتلفاز مثلاً قد لا يحسنون الاختيار، وتشاهد في البرامج والأفلام المناظر المخزية واللفزعة مما يتنافى مع السياسة الإسلامية المنشودة .

(ب) الدعوة خارج العالم الإسلامي .

وقبل أن نشرع في الكلام على مشاكل الدعوة خارج الوطن الإسلامي يحسن بنا أن نمهد بالحديث عن نوعيات من توجه لهم الدعوة بالخارج ، ثم عن أهدافها هناك بصفة خاصة .

لمن توجه الدعوة الإسلامية خارج الوطن العربي

١ - الشعوب غير الإسلامية :

إذا كان تعداد سكان المعمورة حالياً أربعة آلاف الف مليون سنة ، والمسلمون منهم ألف الف مليون ، فالدعوة يجب حملها بكل الطرق والوسائل الذكية الممكنة إلى الباقين، أي إلى ثلاثة آلاف ألف الف مليون نمة ، هؤلاء منهم البوذيون الذين يتشرون في اليابان وبورما وتايلن ، ، والهندوكيون الذين يتركزون في الهند ، وإلى اليهود وهم متفرقون في بلاد كثيرة ويسيطرون حيث يوجدون على بيوت المال ووسائل الإعلام ، ومنهم المسيحيون وهم ملل متعددة كالكاثوليك، وزعامتهم الروحية تتركز في البابا ومقره الفاتيكان ، والبرستانتين وتنظيمهم يرتقى إلى مجالس كنسية وطنية في كل قطر، ومجلس عالمي في جنيف بسويسرا، وتتركز المسيحية في أوروبا والأمريكيتين وأستراليا ونيوزلندا، وهناك أيضا عبادة الأسلاف وتنتشر بين الصينيين ، كما تنتشر بكيفيات أخرى لدى القبائل البدائية الموجودة في إفريقيا وأستراليا والجزر النائية ، وهناك اللادينيون الذين يرفضون الأديان إما من أجل الماركسية الشيوعية كما هو الحال في روسيا، وإما للمبالغة في مقدرة العقل البشري وإستقلاله بحيث يستغني لمعرفة القواعد الأخلاقية عن دين يوجهه كما يزعمون ، وتنتشر هذه الاتجاهات بصفة محدودة لدى بعض الأوربيين والأمريكين .

وهناك أديان أخرى ، بل في كل دين مما ذكرنا ملل واتجاهات قد تختلف باختلاف الأقطار أو بغير ذلك .

ثم يوجد في كل ملة وطائفة العاديون والمثقفون والعمال والصناع والكتاب والمفكرون والتجار والزراع ، وقد يختلفون باختلاف العنصر واللون ، وقد يكون لهم اتجاهات فكرية أو اقتصادية كالشيوعية والاشتراكية .

ومن يكلف بالدعوة بين إحدى هذه الفئات يحسن جدا أن يتعرف على دينهم ونظام معابدهم أو كنائسهم أو بيعهم ، وأهمية رجل الدين بينهم ، كما لا بد له من معرفة لغتهم ونظام معاشهم كي يمكنه أن يخاطبهم بالطريقة التي تنفذ إلى قلوبهم وعقولهم .

وبهذه المناسبة أذكر أنني دُعيت يوما ما من قبل زميل لي في الدراسة بجامعة لندن يسمي «دافيد براون» وكان يعد نفسه - إلى جانب دراسته العلمية - ليكون مبشرا ، لزيارة مركز ضخيم عظيم خارج لندن قريبا من مدينة «سفن أوكس» بمقاطعة «كنت» ، مهمته تمرين المبشرين ، فدهشت للغاية بما رأيت ، كان هذا المركز يدرس هذه الأديان ، ولغات القوم ، كما كان به أجنحة تمثل البيئات المختلفة لمختلف الشعوب التي سبعت إليها هؤلاء المبشرون ونظام معاشهم ، وذلك كي يتمرن الواحد منهم على هذا النوع من الحياة وبألفه قبل سفره إلى هذه الجهات ، فيتكيف بها عند وصوله إليها بسرعة وسهولة دون أن يعاني صدمات نفسية أو نحو ذلك ، وكان «دافيد» هذا يعد نفسه للسفر إلى جنوب السودان ليبشر بين القبائل هناك ، فإما سألته عما يحفزها لاختيار هذه الحياة القاسية في بلاد نائية بعيدة عن الحضارة التي ينعم بها في إنجلترا قال لي : أشعر في أعماق نفسي أن « سيدي عيسى » LORD JESUS يناديني لأبشر برسالته ، وقد ترقى «دافيد» في المناصب الكنسية إلى «أسقف» وكان أحد الضيوف المرموقين الذين دعوا لحضور حفل افتتاح «معرض القرآن الكريم» في لندن الذي أفتتحه المرحوم شيخ الأزهر الأسبق الدكتور عبدالحليم محمود في مارس ١٩٧٦م ، وكان هذا آخر لقاء به قبل وفاته ، ولدافيد كتيب مشهور لدى رجال الكنيسة عن التفاهم مع المسلمين ، فيها حيد.الو أمكن أن يكون لنا معشر المسلمين مثل هذه المؤسسات المعدة إعدادا تاما لتمرين الدعاة وإعدادهم .

كما ينبغي أن يوجه كبار المسؤولين عن الدعوة الإسلامية انتباههم للمجالات الواسعة لنشر الدعوة وانتهاز الفرصة كلما حانت لا تخاذما يلزم في عناية وحذر، أعني بصفة خاصة بلدا مثل الصين حيث بلغ تعداد السكان الف مليون أو يزيدون، بينما دينهم المتوارث سطحى والشعب هجلاً خصب للدعوة الإسلامية إذا نحن هيأنا الدعوة ومكناهم للعمل هناك في حرص وحذر مراعاة للقوانين المحلية وبعدا للشبهات التي قد تعوق عملهم، ولتعتظ بها يصنع المسيحيون في نشر دينهم هناك في الوقت الحاضر، فبالرغم من أن المبشرين طردوا من الصين الشعبية منذ ثلاثين عاماً، ولا يزال القانون الذي يحرم على الأجانب بالتبشير بأي دين قائماً فإن هناك الآن مشات من المبشرين العلمانيين، أي غير قساوسة. من أوروبا وأمريكا جلبوا كنتيجة لسياسة الانفتاح ليعلموا اللغة الإنجليزية بالكليات والمدارس بمرتبات زهيدة ولكن تدعمهم المجالس الكنسية وتعوضهم الفروق في مرتباتهم وتمددهم بالمواد اللازمة، وإليك بعض ما ورد في مقال نشر في جريدة العالم الجديد التايلندية بتاريخ ٤ أكتوبر ١٩٨٦م تحت عنوان «الغربيون لا يزالون يحملون الإنجيل (ويشرون به) في الصين الشعبية» :

«إن هؤلاء المبشرين الجدد بخلاف أسلافهم من المبشرين (الذين طردوا قبل ثلاثين عاماً) يبشرون نشاطهم التبشيري بنعومة فائقة وحرص دقيق ولا يوقون أن يُعرفوا كمبشرين» .

وقال المراسل ما يدل على أن السلطات على دراية بنشاط هؤلاء المعلمين الميحيين التبشيري، ولكنهم بغضون الطرف عنهم، حتى صرح أحد هؤلاء المدرسين بقوله :

«أن هذه معاملة بالمثل وتبادل للمنافع، ينتفع الصين بنا كمدرسين ويعوضوننا بأعطائنا الفرصة للاتصال بألف مليون من البشر يمكن تحويلهم على يدينا إلى المسيحية» .

وقال المتحدث دبلوماسي :

«إن السلطات الصينية ترحب بهؤلاء المدرسين لضآلة مرتباتهم» .

وقالت الصحيفة : إن هؤلاء المدرسين هربوا أعداداً كثيرة من نسخ الإنجيل إلى الصين ويقومون بتوزيعها سرا، وأضافت أن بعضهم استطاعوا تأسيس خلايا مسيحية في

الأطراف النائية من البلاد، كما ذكرت أن «الإرسالية التبشيرية للصين» التي اتخذت من سنغافورة مقرها بعد طردها من الصين وزعت كتباً على هؤلاء المدرسين توافيهم فيه بالنصائح مثل أن يتجنبوا الإشارة إلى نشاطهم التبشيري بأي وجه في مراسلاتهم، فلا يسأل أحدهم الآخر مثلاً عن عدد النفوس التي اكتسبها للمسيح .

فياحبذا لو اتخذ السادة المسئولون عن الدعوة ما يلزم للاستفادة من هذا الخطل الصيني الخصب ويعملون كل ما فيه خير للإسلام .

٢ - المسلمون خارج الوطن الإسلامي .

وأعني بذلك الجاليات الإسلامية التي تعيش في أقطار أكثر سكانها من غير المسلمين، وهؤلاء نوعان أقليات إسلامية وجاليات إسلامية حديثة العهد .

١ - الأقليات الإسلامية :

وأعني بهم تلك الجماعات الإسلامية التي عاشت لقرون وأجيال طويلة بين أغلبية لا تدين بدين الإسلام، وبالتالي تخضع في الغالب لحكام غير مسلمين سواء كانوا أول أمرهم أغلبية سكان بلدهم ثم تضاعل عددهم أمام أفواج المهاجرين من غير المسلمين الذين استقروا في البلاد كما هو الحال في مسلمي الملايو في سنغافورة الذين طغمت عليهم أمواج القادمين من الصينيين والهنود تحت الاستعمار الإنجليزي فغلبوهم عدداً وجاهاً ومالاً أو غلبوا وقهروا بالإغارة والسلاح في غابر الزمان كالحال في مسلمي الفلبين الذين غزاهم الأسبان بقيادة ماجلان عام ١٥١٦ م وقتلوا السلطان سلمان حاكم ماينلا عندما فتحوها ثم بسطوا نفوذهم على سائر البلدان رغم المقاومة الإسلامية التي استغرقت قروناً ولا تزال المقاومة الإسلامية تحاول الآن الاستقلال بالبلاد الجنوبية حيث يتركز المسلمون .

وقد يبلغ عدد هذه الأقليات عشرات الملايين كما هو الحال في الأقليات الإسلامية في الهند والصين وروسيا، وقد يبلغ بضعة ملايين كما هو الحال في مسلمي تايلند والفلبين وبورما، وقد يصل مئات الآلاف كما هو الحال في مسلمي سنغافورة، وقد يكون بضعة

آلاف كالمسلمين في جزر «فيجي» أودون الالف ، كما هو الحال في مسلمي «تابوا» و«تونجا» من جزر المحيط الهادي .

والدعوة بين هذه الأقليات تهدف إلى الدفاع عن حقوقهم الدينية والمدنية ، والعمل على بقاء الوعي الإسلامي بينهم وإنشاء المدارس الإسلامية لصالح ذرياتهم وعمارة المساجد حيث يؤدون شعائرتهم ، ثم العمل على تحمين معرفتهم بأحكام دينهم وآدابه ، كما ينبغي للدعاية بينهم أن يحاول فيوسع دائرة نشاطه إلى جيرانهم من غير المسلمين .

واعتقد أن من الواجب على المسؤولين في الحكومات الإسلامية العناية بمصالح إخواننا في الأقليات الإسلامية المغلوبة على أمرها مثل الأقليات التي تقع تحت الاستعمار السوفيتي الملحد وإخواننا المسلمين في الهند ، وإذا كانت الولايات المتحدة الأمر يكية تضجّ كلها بجميع أجهزتها وعلى رأسها رئيسها ووزير خارجيتها من أجل رفض طلب تأشيرة خروج من مواطن روسي «يهودي» ، وإذا كان موضوع هجرة اليهود وحقوقهم المدنية في روسيا يشغل جزءاً كبيراً من جدول الأعمال في لقاءات القمة لرئيس القوتين ، مع أن اليهود أقلية ضئيلة إذا ما قورنوا بأعداد المسلمين في روسيا فلم نكت نحن عما يعانيه إخواننا هناك من كبت وضغط وحرمان من ممارسة شعون دينهم ، وإكراههم على الرضوخ لتربية ناثتهم على الكفر والإلحاد في المدارس هناك ؟

وقبل تحوّل روسيا إلى الشيوعية كان هناك أكثر من أربعة وعشرين ألف مسجد ، والآن لا يزيد عدد المساجد هناك على خمسمائة على أعلى تقدير ، ومحرم بحكم القانون تدريس الدين للأطفال حتى يبلغوا الثماني عشرة سنة بينما ينشأون في المدارس على الإلحاد ورفض الألوهية ، فيضطّر إخواننا المسلمون هناك وأكثرهم بحمد الله يعترّون بدينهم -لممارسة نشاطهم الديني من صلاة وصيام ونحوهما خفية ، فإذا شوهوا أحدهم متعبداً يعتذر بأنه يقوم ببعض أعمال رياضية ، وإذا لوحظ أنه ممتنع عن الطعام (لأنه في الحقيقة صائم) يزعم أنه يقلل من الطعام حمية ، وفي الأيام الأخيرة جاءت الأنباء تفيد بأن رئيس روسيا خطب في مدينة «طشقند» الإسلامية التاريخية ونعى مهدداً وبمحذرا من ممارسة الشعائر الدينية متستراً وراء شعار الأعمال الخلقية ، فلم نكت معشر المسلمين على هذه المعاملة القاسية وحرمان

إخواننا هناك من حقوقهم المدنية الأساسية تحت ضغط الحكومات الماركسية سواء في روسيا أو البانيا أو بلغاريا وأمثالها ؟

كيف نسكت ونحن نسمع بالجازر البشرية التي يتعرض لها إخواننا المسلمون في الهند من وقت لآخر حتى وصلت عنجبهة الهندوس إلى درجة تحويل المساجد كرها إلى معابد هندوكية وثنية؟ ثم كيف تناصر دوليا مهما كانت الدوافع السياسية- أعداء إخواننا المسلمين في قبرص كما والينا من قبل أعداء الدين وهملنا معهم السلاح لتطرد إخواننا الأتراك المسلمين ففقدنا استقلالنا ووطننا وفلسطيننا؟ يجب أن نتخذ خطأ إسلاميا مستقيماً ودائماً في جميع الظروف والأحوال وسوف يكون الله معنا بنصره وتأييده «ولينصرن الله من ينصره»، والرسول ﷺ يقول «المؤمنون تكافؤ دملؤهم ، وهم يد على من سواهم ، ويسعى بدمتهم أذنهم» .

ب جاليات إسلامية حديثة العهد :

وأكثر هذه الجاليات يتكوّن من مهاجرين من مختلف البلاد الإسلامية إلى بلد غير إسلامي بالإضافة إلى من يعتنق الإسلام من أبناء هذه البلاد، وقد ازداد تعداد هذه الجاليات بشكل ملموس منذ الستينات لأسباب سياسية أو اقتصادية أو تربية ، وأستقر أكثر هؤلاء المهاجرين في تلك البلاد واعتبروها وطناً مكتسباً مع بقاء صلتهم غالباً ببلدهم الأصلي وسدوسهم فيها، وتوجد الآن جاليات إسلامية مرموقة في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي كندا، وفي مختلف الأقطار في أسريكا الجنوبية وفي أوروبا وأستراليا ونيوزلنده وكوريا الجنوبية .

يزداد عدد كل جالية من هذه الجاليات على مدى الأيام بزيادة المهاجرين، وعن طريق التناسل ، وازيادة عدد من يعتنق الإسلام من تلك البلاد والدعوة بين هذه الجاليات تهدف إلى مايلي :-

أولاً : الكفاح الجهاد لنشر الإسلام بين غير المسلمين من أهل البلاد، خاصة ممن يستأنس تقبلهم للدين لأسباب تاريخية أو اجتماعية أو غيرها، كما هو في العنصر الأفريقي من الأمريكيين، إذ يُعتقد أن كثيراً من أسلاف هؤلاء كانوا أسلمين عندما جلبوا من أفريقيا

في القرون الغابرة ، ثم عمل الرجل الأبيض الذي ضرب عليهم الرق مما أمكنه بوسائل غير إنسانية لقطع علاقة ذرية هؤلاء عن حضارتهم الأصلية وتاريخهم كلية فكانوا يساقون ويعذبون يوحشية غاشمة لطبعوا سادتهم طاعة عمياء ، ثم يوضعون في مساكن كزرائب البهائم رجلا ونساء ، وترتكب الفواحش دون مبالاة ، ثم تؤخذ الأطفال عند مولدهم لينشأوا في شبه ملاجيء تمرنهم على طقوس المسيحية ويلقى في روعهم أنهم إنما نبتوا في الأرض كسائر النباتات ، وأن المسيح إنما يرضي عنهم بالطاعة العمياء لسيدهم فنشأت أجيالهم لا تدري شيئا عن أصلهم الحقيقي يعتقدون أنهم إنما نبتوا حقيقة من الأرض ليخدموا سادتهم مطيعين مستذلين قانعين ، ثم إن هؤلاء لم يفقهوا وينتهوا إلى حقيقة أصلهم إلا بجهود بدأت تبذل في أواخر القرن الماضي واستمرت عشرات السنين في القرن الحالي لتقنعهم بأن لهم عمومة وهؤولاة في أفريقيا .

ثانيا : الدفاع عن حوزة الدين ضدّ الدعايات المغرضة التي تستخدم أحدث الطرق لتشوّه الإسلام كي تصدّ الناس عن الإصغاء لداعي الله ، وبلاد المهجر كما نرى تضم عداة دفيناً للإسلام ، ولا يرضيهم أن يرو مواطنيهم يعتقدون هذا الدين فيزيدونه قوة ومنعة ، وإذا كنا نسعى لكسب الناس إلى الإسلام فيجب أن نعمل على إزالة الموانع والعوائق ومن ذلك مقاومة هذه الدعايات المغرضة التي تستخدم وسائل الإعلام المختلفة وقرائح المستشرقين المغرضين .

ثالثاً : العمل على دوام الصلة بمن يسلم من أهل هذه البلدان ، وتقديم المساعدات التي قد يحتاجونها مادية كانت أو ثقافية وتزويدهم بالمواد التعليمية الإسلامية باللغة التي يفهمونها .

رابعاً : إرشاد المهاجرين وإسداء النصح إليهم في زيارات لهم بمكاتبهم أو في منازلهم كي لا يشغلهم عملهم المتصل والمتراحم وراء الكسب المادي عن ممارسة واجباتهم الدينية ، وحض هؤلاء بحكمة على حضور صلوات الجمعة والتردد على المسجد إذا وجد كلياً أمكن . والتماس المناسبات الدينية وشبه الدينية لدعوتهم وعمل برامج لهذه المناسبات ليلقى بعضهم بعضاً وتبقى الصلة وثيقة بينهم وبين دينهم .

خامساً : العناية بتنشئة أطفال المسلمين تنشئة إسلامية ، وذلك إذا أمكن عن طريق إنشاء مدارس إسلامية تجمع بين المواد الدينية وسائر المواد الدراسية وتؤهل لنيل الشهادات ، المعترف بها ، وإلا فعلى الأقل تنظم فصول دراسية دينية مسائية أو أثناء العطلات الأسبوعية ، على أن تركز برامجها على العناصر الإسلامية الأساسية في أسلوب سهل وممتع وأن يعنى بالتطبيقات العملية لتحقق المعلومات في أذهان الأطفال ، وإذا أهملت الناشئة فأنها للأسف سوف تبطل بالبيئة وتتأثر بها حولها وتخشى أن تفقد هم للإلحاد أو لأي دين آخر يجذبهم .

سادساً : إنشاء فصول مسائية لتدريس اللغة العربية والتمرين على تلاوة القرآن الكريم لصالح المسلمين الراشدين بصفة خاصة .

سابعاً : تنظيم سلاسل من المحاضرات العامة في موضوعات إسلامية يدعى إليها المسلمون وغيرهم .

ثامناً : السعى للأخذ بتصيب للمسلمين في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة ، على أن تكون برامجه متنوعة ودسمة وبأسلوب سليم لا بأسلوب ركيك يمل بمجھ السامع والقارىء .

تاسعاً : تقديم ما يلزم من مساعدات لعمارة المساجد وغير ذلك للمنظمات الإسلامية المؤثوق بها .

عاشراً : تجنب الترددي في خلافات سياسية والعمل على إبراز الإسلام كعقيدة وأحكام متفق عليها دون التأكيد على الخلافات المذهبية .

أحد عشر : تشجيع التجمعات الطلابية وتقديم ما تحتاج إليه من مساعدات والعمل على ربط المراكز والمنظمات الإسلامية في كل منطقة بعضها ببعض في شكل اتحادات أو مجالس تسعى لتنسيق العمل الإسلامي بالمنطقة في إخلاص واستنارة .

المشكلات، التي تواجهها الدعوة خارج الوطن الإسلامي

.. انعكاس المشاكل الداخلية على الدعوة خارج الوطن الإسلامي

إن الصراعات والاختلافات التي يعاني منها الوطن الإسلامي تضعفه وتقلل من إمكانياته لدفع الحركة الإسلامية ودعمها أدبيا وماديا خارج الوطن الإسلامي .

ثم إن خلاف ذوى الشأن في الوطن الإسلامي، جعلهم لا يتفقون على سياسة وخطة موحدة لدعم الحركة الإسلامية بالخارج فكل منهم استأثر بإمكانياته وحده ، وقدم ما أمكن ورضيت نفسه بالضحية به بمعزل عن عمل الآخرين ، وبالتالي لم يكن هناك تنسيق بين جهود الوحدات التي تعمل بالخارج لصالح الإسلام ، وكان للاء كل لجهة معينة ، وفي هذا الجو يسود التنافس غير المقبول وسوء التفاهم ويغلب سوء الظن وتتبادل الاتهامات بحق وبغير حق ، فيتسّمم الجو وتشل الحركة ويحدث أحيانا سخابة بعض العاملين في الحقل الإسلامي على حساب غيرهم لأسباب سياسية أو غير سياسية مما يتنافى مع مقتضى الإخلاص لله ودينه ويسىء كذلك للدعوة خارج البلاد .

أضف إلى ذلك أن الاختلافات المذهبية والوطنية لها صداها وانعكاسها على الحركة الإسلامية خارج الوطن الإسلامي ، وتحدث أثرا غير حسن على سير الدعوة هناك ، فقد ترى موكزا إسلاميا أو جمعية يسيطر عليها المذهب الشيعي ويتنافس أو يتنافسان مع غيرهما مما يؤدي إلى بلبلة لا مبرر لها وخاصة بين حديثي العهد بالإسلام ، وقد تدب الخلافات بين أعضاء المؤسسة الواحدة على أساس تعصب مذهبي أو اختلاف الولاء الوطني وقد يؤدي التعصب المذهبي أو الوطني لتصدع الوحدة بين الجماعة وانفصامها وتفرقها ، ولأضرب مثلاً على ذلك ما حدث في أواخر السبعينات للمنظمة المسماة «مركز الجالية الإسلامية» في ولاية ماريلاند المشاخرة لواشنطن . وذلك أنه لما إزداد الإقبال على المركز الإسلامي بواشنطن وزادت أعداد المسلمين هناك ، ضاق المسجد بالناس وضامت الأماكن المخصصة للدروس الدينية التي كنا نعقدتها بدار المركز أيام العطلة الأسبوعية لأبناء المسلمين من أجل تعليمهم مبادئ الدين وشعائره ومن أجل إشعارهم بالانتماء للدين

الإسلامي» أشرت على بعض زعماء الجالية بإنشاء مؤسسة إسلامية أخرى بولاية «ماريلاند» وذلك لتخفيف الضغط على المركز الإسلامي من ناحية، وللتيسير على العائلات المسلمة التي تقطن هناك، فلقى هذا النداء استجابة فورية، وجمعنا اشتراكات لهذا الغرض وسجلت المؤسسة الجديدة رسمياً بحكومة «ماريلاند» تحت عنوان: «مركز الجالية الإسلامية في ماريلاند» واستؤجرت مدرسة ثانوية هناك يوم العطلة الأسبوعية لتعقد بها الدروس الدينية الإسلامية، واتصلت الجهود لجمع التبرعات من أجل المشروع، ونجحت المساعي في الحصول على قطعة أرض لبناء المشروع عليها، وساهم الفنيون من أعضاء الجالية من معماريين ومهندسين بجهودهم متطوعين، وكان يوم وضع حجر الأساس يوماً مشهوداً وسعيداً .

وبينما يشتد الحماس للمشروع إذ بالخلاف يدب بين الجماعة ويشتد ويحتمد بسرعة وينتهي بأنفصال الأعضاء الشيعة وتسجيل مركز جديد خاص بهم بعنوان جديد وهو على ما أذكر «مركز التربية الإسلامية» واستأجروا مدرسة أخرى أيام العطلة الأسبوعية للدروس الدينية لأبنائهم، وظل الحال على ذلك حتى أتم الأولون المرحلة الأولى من مشروع «مركز الجالية الإسلامية» ونقلوا نشاطهم إليه من دروس دينية أسبوعية وأداء الصلوات والشعائر، كما تمكن الآخرون من شراء بناية واسعة لنشاطهم بملايين الدولارات بمساعدة حكومة تتعاطف معهم، وكان سبب هذا الانفصال والخلاف الحاد أن أحد المدرسين في مدرسة العطلة الأسبوعية بدأ يدرس مبادئ الشيعة في أحد الفصول فلما علم أولياء أمور التلاميذ من غير الشيعة احتجاجوا على ذلك ولم تفلح الجهود في الصلح بين الطرفين وتم الانفصال من أجل التعصب المذهبي .

وبعد بضع سنين جاءت الأنباء المؤسفة بأن المجموعة الأولى انقسمت على نفسها مرة أخرى لخلاف دب بين الأعضاء من أصل باكستاني والآخرين الذين هم من أصل عربي وانتهى الخلاف بإنحباب الأغلبية الساحقة من الأعضاء من عرب ومصريين وغيرهم . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إقحام الخلافات السياسية في العمل الإسلامي :

إن وضع الدعوة خارج الوطن الإسلامي حساس ولا يزال ضعيفاً، وهي لذلك بحاجة أشد للعناية وجمع الكامة، والإسلام في تلك البلاد قادم جديد نسبياً وهو الكائن الحلي، في مستقبل العمر لا يتحمل العواصف المرضية الشديدة، لذلك ينبغي علينا معشر المسؤولين عن الدعوة بالخارج أن نتفاهم فيما بيننا بحيث لا تؤدي خلافاتنا السياسية داخل الوطن الإسلامي إلى خلافنا هناك حتى يشتد عضد الكائن الجديد وخاصة أنه يواجه مقاومة شديدة عنيفة من جهات شتى .

ولكن يحدث أحياناً أن تؤثر هذه الخلافات على بعض المسؤولين وعلى بعض العناصر من أعضاء الجالية أنفسهم، وذلك كما حدث منذ توقيع اتفاقيات «كامب ديفيد» من السادة سفراء الدول الإسلامية الأعضاء في مجلس الأمناء المشرف على المركز الإسلامي في واشنطن، فلما تحرش بالمركز بعض الغوغاء بدسيسة من جهة شيعية لعب بعض أعضاء المجلس بحسن نية في يد هؤلاء العاملين حتى إذا ما حدث فراغ في إدارة المركز إذ هؤلاء الغوغاء يتولون على إدارة المركز الإسلامي بالقوة وعلى المسجد التابع له، ثم يقبلون ظهر المجن للسادة السفراء أنفسهم وأضحى منبر المسجد منصة للطعن العلني وحث السادة السفراء وحكوماتهم وملوكهم ورؤساءهم . وسادت الفوضى وأعمال الإرهاب وتغير الجو فبعد أن كان المركز نقطة إشعاع إسلامي للإسلام ودعوته الهادئة والفعالة المؤثرة، يأوي إليه الناس من كل حذب ينشدون الهدى والرشد والراحة والأمن إذا به يصبح مركز الأعمال العنف والشغب، فشوه وجه الدعوة وارتكبت الجرائم واشتعلت بالمسجد الحرائق . ورفع الأمر إلى القضاء وتتابعت الأحداث واتخذت إجراءات غير عادية لرفع يد العدوان على المركز بعد سنين، وضرب سياج حديدي حول المركز، وتعرض زائروه للفتيش - ولا يزال هؤلاء الغوغاء يتحرشون بالمركز بعد طردهم منه، فيجتمعون أمامه وحوله أيام الجمعة ومعهم اللافئات المعادية يتحدثون إدارة المركز الجديدة بالصراخ والهتافات المدوية ويقلقون المصلين بالمسجد بالأصوات المزعجة مما لا يليق بكرامة الإسلام ويسىء إلى سمعته في تلك البلاد .

عندما يدخل الإسلام في بلد خارج الوطن الإسلامي يتطلع المسلمون الجدد (المؤلفة قلوبهم) من أهل تلك البلاد الخارجية إلى المسلمين من مواطني البلاد الإسلامية حيث يحسبونهم قدوة حسنة باعتبارهم حملة الرسالة وأصحابها، ولكن كثيراً ما يحدث أن يكون المهاجرون من الوطن الإسلامي الذين جاءوا للسعي وراء الرزق، أو لأداء مهمة دراسية أو دبلوماسية من ذوي السلوك الذي لا يتفق مع هدى الإسلام، فلا يؤدون الصلاة في أوقتها، وقد يحتسزون الخمر علناً، وقد يجاهرون بغير ذلك من الموبقات، وقد يكون بعضهم ممن يسيء فهم دينه ويطعن عليه علناً وأن أنسى لا أنسى يوم جادلني في جامعة كامبردج طالب عربي من بلد معروف باعتزازه بالإسلام أمام طلاب كلهم بريطانيون فزعم أن الإسلام دين رجعي قد عفا عليه الزمن وأنه هو المثلث عن تأخر المسلمين وما يعانون من فقر وجهل وانحطاط كما لا أنسى يوم فوجئت بعد إلقاء محاضرة عامة في إحدى الجامعات الأمريكية بيده من أعضاء هيئة التدريس بتلك الجامعة وهي ملزمة من دولة تعتر بإسلامها كذلك، تقف لتتهم الإسلام بهضم المرأة حقوقها وفرض سيادة الرجل عليها،

لقد عانى كثير من المسلمين المؤلفة قلوبهم في خارج الوطن الإسلامي صدمات أجزعتهم وأثرت في بعض الأحياء على مدى تمسكهم بمبادئ الدين وإقامة شعائره ومراعاة أخلاقه، ولا يخفى الكثير منهم نقدهم المرّ لما يشاهدون في الحفلات التي تقيمها بعض البعثات الإسلامية من مجاهرة مكشوفة لتحدي شرع الله تعالى .

وعلى العكس من ذلك الأثر الكريم للقدوة الحسنة، فقد روى صاحب كتاب «القدوة الحسنة» المستشار محمد عزّت الطهطاوى كيف أسلم استاذ جامعي في اليابان لما تأثر بمشاهدة سلوك كريم لمسه في تاجر باكستاني وعرف أن السلوك الطيب يعكس تعاليم دينه، وكذا سمعنا كيف بدأ الإسلام يشق طريقه إلى قلوب الكوريين عندما شاهدوا الجنود الأتراك يصطفون للصلاة خمس مرات كل يوم وراء إمام لهم متجهين نحو قبلة معينة، كما سمعت بالذكرى العاطرة للمرحوم المصري كامل عبدالرحيم بين المسلمين في أمريكا

عندما قدمت إليها وكيف أعجبوا بكفاحه من أجل تحقيق مشروع المركز الإسلامي بواشنطن بعد أن خمد لبضع سنوات قبل مَقْدَمِهِ وذكر وكيف كان يعقد صلاة الجماعة في بيته خاصة أيام رمضان والأعياد حتى أمكن إقامتها بمقر المركز، ثم إسهامه في تثبيت قواعد المركز في نيويورك بالرغم مما كان يعانيه هو من جهد بسبب مرضه آخر حياته .

المشاكل الزوجية

وكثير من الشباب الإسلامي الذين يقدمون إلى الغرب يفتنون بالشابات هناك وهنّ من أهل الكتاب وقد يكنّ ملحدات، وينتهي الأمر بالزواج منهن، وقد يكون الدافع للزواج تيسير الحصول على الإقامة الشرعية التي تخول صاحبها حق العمل والارتزاق في تلك البلاد، والزواج من الكتابيات - وإن ساغ شرعا - فإنه يعرض لمخاطر جسيمة وإن جذوة العاطفة المؤقتة التي قد تعمي العين مؤقتاً عن مغبة هذا الزواج لها ما بعدها من ندم وآلام ومأس تتعرض لها الذرية الناتجة من هذا الزواج ونسوق هنا العبارة الآتية المؤثرة لأحد كبار القضاة بهذا الشأن :

«ومهما يكن من أمر الخلاف في صحة زواج المسلم بالكتابية فإنه لاخلاف بين أئمتنا في أن هذا الزواج متثقل مذموم، وقد صرح الإمام مالك رضي الله عنه وغيره بأنه إثم محرم وإن كان زواجاً صحيحاً، ولئن قدرنا أن من الاجنبيات الكتابيات من يدفعها أول الأمر خالص الود، فهذا لن يكون سوى أمر عارض لا يلبث أن يزول وترى الطبع قد غلب التطبع ولن ينال المسلم من هذا الزواج إلا لوثة في دينه، فمن حق الكتابية أن تأكل وتشرب في بيته ما هو حل لها ومحرم عليه، ومن حقها أن تؤدي فيه شعائر دينها، وبهذا تصح حياته المنزلية خليطاً من إيمان وكفر، ثم من يدري ماذا تكون العاقبة؟ وما الذي تجر إليه المجاملة أو يدفع إليه سلطان المرأة .

«ثم تأتي كارثة الأولاد وتربيتهم، فهم في يدها عجينة لينة طيعة تغرس في نفوسهم منذ الطفولة الأولى ما تحب وتهوى، ويألفون من عاداتها وسيرتها ما يطغي على تعاليم دينهم ويطفىء نور الإيمان في قلوبهم .

هذا كله إذا استمك الأولاد من هذا الزواج المختلط بدين والدهم ، ولكن قد يحدث غير ذلك ، فلقد صدمت عندما دعيت لأول مرة لأؤم صلاة الجنائز في نيويورك على مسلم من أصل باكستاني ، وبعد أداء الصلاة وإلقاء كلمة مناسبة على المعزين وأسررة المتوفي قدم إثنان من أبناء المتوفي لتحيتي وشكري ، فإذا بأسم كل منهما غير إسلامي . وبالاستفسار قالاً إنهما يتبعان المذهب البابتي (المعمودي) الميحي ثم تكررت هذه المسألة بالأسف ، كما أنه كان يتردد على المركز الإسلامي في نيويورك بانتظام أيام العطلات الأسبوعية طبيب فاضل من أصل فلسطيني كان يرافق ولده الذي كان يواظب على حضور الدروس الدينية بالمركز ، وقد توطدت العلاقة بيننا وتبادلنا الزيارات ، فلما قدم إلى زوجته الأمريكية وكريمتهما وأظهرت تعجبي من أن ابنته لا تحضر الدروس الدينية بالمركز شرح لي في خجل أنه عند الزواج اتفق مع زوجته على أن يتبع الذكور من أولادهما دين أبيهم والبنات دين أمهن ، فبينت له في إشفاق وحرص كما صنعت مع غيره أن الطفل من أب مسلم أو أم مسلمة مسلم على حسب حكم الشريعة الإسلامية والرضوخ للظروف والرضا بتنشئة الطفل على دين غير الإسلام رضا بالكفر ، والرضا بالكفر كفر .

ونظراً لطبيعة تلك البلاد وعاداتها التي تسمح بالاختلاط الجنسي فكثيراً ما تتعرض العائلات المسلمة لخصومات ومنازعات وقلقل طويلة المدى مما يترك آثاراً غير حميدة على عقول الأطفال وسلوكهم ، كما يشغل وقت الداعية حيث يلجأ إليه للفصل في الخصومات فيحاول قدر جهده وأب الصدع والوصول إلى التصالح بدلاً من اللجوء إلى القضاء ، تغار الزوجية القادمة من بلد إسلامي لعلمها بأن زوجها الطبيب يختلط بحكم عمله بالمرضات ، كما أن الموظف أو صاحب الأعمال يتعامل مع زميلاته وسكرتيراته في مكتبه أو متجره أو مصنعه أو أسفاره ، فتلهب عواطف الزوجة فتتهم بعلمها بحق أو غير حق وتشتعل الخصومات وتشتد ويتهدد كيان الأسرة ، وأحياناً ينحرف أحد الزوجين ، وكان ذلك رد فعل لما يعانیه أحدهما في بيت الزوجية ، وقد يتخذ هذا الانحراف اتجاهاً متطرفاً والعياذ بالله كما حدث في حال رجل كبير معروف وقور ، صرخت زوجته على التلفون باكية بحرارة وعنف تشكوماً شاهده ، والإسلام في تلك البلاد غريب وفي مرحلة انتقالية محسوفة بالمتعارضات ، المتمك فيها بدينه كالثقبض على الجمرة حقاً .

تعارض الولاء للدين والبعولة

وقد يحدث في تلك البلاد أن يشرح الله تعالى للإسلام صدر سيدة بينما يبقى زوجها على دينه ، فهي بمجرد إشهار إسلامها فصمت عروة زواجها منه ، ولكن في أكثر هذه الأحوال تجد الزوجة صعوبة في هذا الفراق ، فقد تحبه ويعز عليها فراقه ، وقد يكون لها منه أولاد تحرص هي على أن يستمتعاً بحنان الوالدين معا وقد يكون لها مصالح أخرى مشتركة ، ثم أن الداعية لو أصر على فراقها لزوجها فوراً بشكل علني فإنه قد يسئ بذلك إلى سمعة الدين وتهمه أعداؤه بأنه دين يفرق بين المرء وزوجه فكنا ننصح مثل هذه السيدة - إذا عسر عليها فراق زوجها أن تتجنبه في الفراش تحبباً تاماً ولا تخلوبه وتواطب على موعظته ونصحه بأن يتبعها ويعتق دينها دين الإسلام الحنيف .

عدم توافر الموارد اللازمة :

ونقصد بذلك العجز المادي مما يتسبب في العجز عن تحقيق مشروعات هامة أو سوفها أو بيطها أو يجعلها تستغرق زمناً طويلاً ، وبالتالي تضع فرص ثمينة لخدمة الدعوة ، فكرنا مثلاً في تأسيس مكتب يشرف عليه علماء قديرون متفرغون لمتابعة الحملات الإعلامية ضد الإسلام بطريقة فعالة في أمريكا بحيث يزود المكتب بما يلزم من آلات وأدوات ويميزانية كافية للحصول على كل ما يحدث صوتياً أو مرئياً أو مكتوباً ثم يلخص كل ذلك ويرد عليه رداً ذكياً واضحاً موجزاً بحيث ينشر كل ذلك في دورية ترسل إلى ذوي النفوذ في الدولة ومحرمي الصحف والجامعات والمكتبات العامة وكبار الكتاب والزعماء والسياسيين .

ذلك المشروع يتكلف مبالغ طائلة ، فهناك عشرات القنوات التلفازية على المستويات الوطنية والمحلية ، ومئات محطات الإذاعة وآلاف الصحف والدوريات والمجلات الشعبية والمتخصصة ، ومنها ما يصدر عن مؤسسات دينية أو اجتماعية ، وهناك الأعداد الكبيرة من الكتب والموسوعات التي تصدر يومياً وأسبوعياً وشهرياً وحولياً وكلها تتعرض للإسلام بوجه أو بآخر ، وكثيراً ما تكون المعلومات مشوهة خاطئة عن عمد وعن غير عمد ، تصور أن يعرف الإسلام هناك استجابة لاستفسار بأنه يعني « الغدر » ، ويصدر كتاب في غلاف أخضر جميل

بعنوان «سيف الله» هو عبارة عن قصة خيالية عن حياة الرسول الكريم المنزه عن الدنايا
تصوره ظمأً ويغيا كربجل عرييد ينجون زوجته مع الغانيات ، استغفر الله ، وذلك عدا ما
يكتبه المبشرون وما يصدر عن المستشرقين ، فالمتابعة وحدها تكاليفها باهظة .

ثم إننا إذا أخذنا في الحسبان عدد العناوين التي توزع عليها النشرة ، وتواضعنا لعدد
خمسبن ألفاً ، وكانت النشرة محدودة وضئيلة بحيث لا تتكلف بالبريد أكثر من الحد الأدنى
ومو ٤٤ ستاً ، فيكون تكاليف التوزيع البريدي وحده في كل مرة أكثر من اثنين وعشرين
الفا من الدولارات ، هذا عدا تكاليف الطباعة والإدارة والمرتبات وغير ذلك فأدى العجز
إلى صرف النظر عن المشروع وترك المجال لأعداء الإسلام ومحاولات ضعيفة قليلة
الجدوى ،

كما أن ضيق ذات اليد يبطئ تنفيذ المشروعات ومثال ذلك مشروع بناء المركز الإسلامي
في واشنطن ، فمع أن الفكرة بدأت عام ١٩٤٤ م ، واشترت قطعة الأرض اللازمة في
أفضل مكان بالمدينة في العام التالي بفضل المساهمة التي بادرت بها حكومة مصر عن طريق
سفيرها في ذلك الوقت (محمود حسن باشا) الذي بدأ في التفكير في بناء هذا المركز ونجح في
جمع بعض التبرعات كذلك من الجاليات العربية بأمريكا (مسيحية ومسلمة) في نفس
العام ، فإن المشروع تسكن وكساد يرخى عليه ستار النسيان حتى نهض به خلفه
(المرحوم كامل عبدالرحيم) منذ عام ١٩٤٨ وكافح كفاحاً مريراً ، وقابل ملوك المسلمين
ورؤساءهم وكاتبهم وسائدهم ممثلو الدول الإسلامية في واشنطن الموجودون هناك في ذلك
الوقت ، ومع كل ذلك الكفاح لم يتم المشروع إلا عام ١٩٥٧ . أي استغرق ثلاثة عشر
عاماً ، أما مشروع المركز الإسلامي في مدينة نيويورك التي كان بها أكبر تجمع إسلامي فقد
تم شراء الأرض اللازمة له عام ١٩٦٩ م ، وحتى كتابة هذه السطور ، أي بعد أكثر من خمسة
عشر عاماً لا ندرى إذا كان قد بدأ العمل في بنائه بعد ، ومثل هذا يقال في مشروعات هامة
أخرى .

والجاليات الإسلامية المتفرقة في البلاد الواسعة محدودة الجهد وأكثر أعضائها حديثو
العهد بالبلاد ويكدحون ليعيشوا أو يعملوا أنفسهم وعائلاتهم ، ويندر من أسبغ الله عليه
النعمة بالكثرة والمزيد ، لذلك يتجهون دائماً للدول الإسلامية وحكوماتها وأهل الخير فيها ،

وفي الواقع ما قصرت هذه الحكومات، وجاد المحسنون بسخاء وتمّ بالفعل عدد لا بأس به من المشروعات، وهناك الآن الكثير من المساجد والمراكز والمؤسسات الإسلامية وأن تفاوتت قوة وضعفها، كما أن هذه الحكومات، أسهمت في الحركة الإسلامية بما هو أهم من المآل أعني بخدمات العلماء الذين أوفدتهم على حسابها الخاص ليقودوا الدعوة في تلك البلاد ويرعوها وينشروا بين المسلمين في تلك البلاد النائية العلم والنور والهدى والإيمان، ولكن لا تزال الحاجة ماسة لمزيد من الدعم لمشروعات حيوية تخدم الإسلام ودعوته وتدفعه إلى الأمام .

ظهور فرق دينية حديثة

وقصد بذلك الانقسامات، المذهبية الحديثة التي أدت إلى مزيد الفرقة واختلاف الكلمة بين المسلمين سواء نشأت هذه الحركات في ظل الاستعمار بالوطن الإسلامي وتشجيعه ثم امتدت إلى خارج الوطن الإسلامي، أو نشأت خارجه، فمن النوع الأول البهائية التي قامت في إيران والقاديانية أو الأحمدية التي نشأت في الهند وباكستان ثم امتدت هاتان الفئتان خارج الوطن الإسلامي وتشعبت فروعهما بين الجاليات الإسلامية هناك، وشيدت البهائية معابدها وبني القاديانيون مساجدهم، ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى التشويش على الدعوة وبليلة أفكار من تحدّثه نفسه من غير المسلمين من أبناء هذه البلدان بأعتناق الإسلام إذا صادفه داعية من إحدى تلك الفرق الملحدة وداعية من أهل السنة والجماعة .

ولعل أشهر فرقة منحرفة نشأت خارج العالم الإسلامي ترتدي برداء الإسلام وتسمى نفسها جماعة إسلامية تلك، التي نشأت في الثلاثينات من الأمريكيين من أصل إفريقي تحت زعامة «اليجه بول» الذي سمي نفسه «اليجة محمد» وزعم أنه رسول الله وأفضل الأنبياء وخاتمهم، كما زعم أن ما ورد في القرآن من أسم محمد: إشارة إليه هو، وأنه كان استحابة لدعوة إبراهيم وإسماعيل في قوله تعالى ﴿وَرَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ الآية، وليست الإشارة إلى محمد بن عبد الله المكّي الذي توفي منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً قال: إن الله تعالى قد أرسله إلى الأفارقة الأمريكيين المضطهدّين المظلومين المتروكين فريسة للجهل والحرق والفقر والعوز والمهانة والاحتقار والذل والاستعباد والعريضة والأفواحش وعدم عرفان

الأصول وبلا أمل ولا مصير، وذلك لينشلهم من الهاوية التي تركوا فيها بسبب ظلم الرجل الأبيض ومن الأوحال والأقذار والكفر إلى العزة والكرامة والمجد والسؤدد في هذه الأرض وإلى الإيمان بالله .

كان هناك في مدينة «دنبرديت» بولاية «متشجان» الأمريكية رجل يسمى «فرد محمد» كان بائعاً متجولاً يطوف بالذات على التجمعات من هؤلاء السود الأفارقة الأصل لبيع بضاعته منهم ، وكان يتودد إليهم ويذكرهم بأبناء عمومتهم في أفريقيا ويزعم أن بضاعته من لدنهم ، وكان يجالسهم ويسامرهم حتى أكتسب ثقتهم وأصبح كأب روعي لكثير منهم ، ثم أختفى فجأة عام ١٩٣٣ ولم يعثر له على أثر فزعم «البيج بول» وكان أحد أتباعه أنه هو الله (استغفر الله) وأنه هبط إلى الأرض ليلمه الرسالة الإلهية الأخيرة وأن أهم أهداف رسالته هو جمع كلمة السود الأمريكيين وإعادة مجدهم الذي فقدوه .

زعم أن اللون الأسود أجمل الألوان وأفضلها ، وأن البشر كلهم كانوا بهذا اللون حتى جاء رجل شيريري يسمى «يعقوب» من آلاف السنين مضت فأجرى تجارب ونتج عن ذلك الرجل الأبيض القوقازي فاسترق الرجل الأسود الرجل الأبيض واستعبده ، وبمرور السنين استكان الرجل الأسود إلى نعيم الحياة وفجر فسق فقوى الرجل الأبيض وسلطه الله على الرجل الأسود لينتقم منه ويستعده ويظلمه لفترة معينة وقد آن الأوان لنهاية هذه الفترة وعودة الرجل الأسود لمجده السالف وسيادته الأصيلة ، وأضاف أن الرجل الأسود أجمل من الأبيض وأطول وأقوى بدناً وأذكى عقلاً ، وأهم ما يحتاج إليه الرجل الأسود هو إعادة الثقة إلى نفسه .

سمى البيج محمد جماعته «أمة الإسلام» وكل واحد من أتباعه «مسلماً» وطالب بقطعة أرض واسعة من حكومة الولايات المتحدة لينشئ عليها دولة مستقلة لأمته ؛ وجاء ببرنامج عملي للحياة أقرب ما يكون إلى تعاليم الإسلام من الناحية الأخلاقية لا من ناحية العقيدة أو العبادات فأستخدم ترجمة القرآن لمحمد على لأنها تستعمل لفظ الجلالة العربي «الله» لا الملفظ الانجليزي المقابل لكلمة «الاله» وكان هو يؤثر الأولى ويستعملها ، دائماً وحرماً على أتباعه تحريماً باذا الزنا وشرب الخمر والسجائر والمكيفات ولحم الخنزير، وحضهم على

النظافة وفرض على الرجال حلق الرأس واللحية ولبس السترة السوداء وعتقها قميص أبيض
والزمن نساءهم صغاراً وكباراً بأرتداء زي كامل أبيض يغطي البدن كله ما عدا الوجه
واليدين ، وخصص للسيدات مقاعد خاصة منفصلة عن مقاعد الرجال في اجتماعاتهم
العامية ، وذلك قبل أن تنتشر هذه العادات بين المسلمين إثر الصحوة الإسلامية . كما أسس
لهم المدارس وسماها «جامعة الإسلام» وبدأ يعلمهم اللغة العربية ، ولكن كانت
اجتماعاتهم للعبادة عبارة عن خطب تذكرهم بظلم الرجل الأبيض وأنواع التعذيب التي
عاناها أسلافهم وكانوا يصومون شهر ديسمبر فيأكلون وجبة واحدة ويستعينون على الجوع
بشرب القهوة ، ولكنه مع ذلك أدى فريضة الحج .

كثرت اتباع «اليجه محمد» واشتد ساعدتهم وبلغوا مئات الآلاف كما بلغت فروع جماعته
أكثر من ثمانين فرعاً وتعددت وتنوعت مشاريعهم الاستثمارية التي أثرت الجراحة وسرت
الوظائف لأفرادها وكانت لهم جريدة أسبوعية «محمد يتكلم» توزع نحو نصف مليون
نسخة وكانت تؤيد القضية العربية وتجاهر بمعاداة الصهيونية .

وتوفي «اليجه محمد» في فبراير ١٩٧٥ بمدينة «شيكاغو» التي فيها معبدهم الرئيسي رقم
٢ ، وعند وفاته خلفه ابنه «وارث الدين محمد» الذي كان بضمير الإيثار الإسلامي
الصحيح على طريق السنة والجماعة ، فكافح بنجاح في إزالة التحريفات الاعتقادية لها ،
وحمل أعضاء الجماعة تدريجياً على الأخذ بأداب الإسلام من صلاة وصيام وأداء الزكاة
وفريضة الحج ، ويتبعه على ذلك أكثر الجماعة ، لكن انفصل عنه فريق بزعمه «فرقان» الذي
كان يرأس فرعهم بمدينة نيويورك قبل وفاة أبيه واستمك مع فريقه بأكثر أفكار اليجه
محمد .

المهم أن وجود هذه الجماعة وتسميتها «أمة الإسلام» وتكلمها بالقرآن مع التحكم في
تأويل بعض آياته ليناسب أفكارهم كان حتى وفاة زعيمها سبباً في البلبلة والشوش على
الإسلام الصحيح وإن كانت قربت للإسلام أعداداً كثيرة من بين هؤلاء وسرت بعد وفاته
اعتناق هذه الأعداد الكثيرة لدين الله السليم .

وقد ظهر في البحر الأمريكي في السنوات الأخيرة ما يشبه قيام فرقة إحادية جديدة وإن
كانت لازالت صغيرة ضئيلة على يد مهاجر مصري ذكي نشيط طلع على الناس وسط

السبعينات بما أسماه «المعجزة العددية للقرآن الكريم» وأحيانا أطلق عليها «معجزة القرن العشرين» حيث ذكر أنه اهتدى إليها عن طريق استعمال الحاسب الآلي واكتشف بها أسرار الحروف الواردة في فواتح بعض سور القرآن الكريم ، وهي تدور حول رقم ١٩ المنصوص عليه في سورة المدثر «عليها تسعة عشر» وزعم أنه إلى هذا العدد وظاهرته تشير الآية ﴿لَهَا لِأَحَدِي الْكِبْرُ﴾ وبالرغم من أخطاء حدثت في العذ ووجود بعض حالات التعارض فقد لقي إعلان هذا النبأ ترحيبا كثيرا من المسلمين بأمريكا وخارجها وبخاصة في بعض البلاد العربية والإسلامية وإن كان بعض العلماء الحذرين وجدوا في ذلك تأييدا مقنعا للبهائين الذين يقدرسون رقم ١٩ .

ومها يكن من أمر بشأن هذه المعجزة المزعومة فإن صاحبها ما أن أشتد عوده وذاع صيته حتى بدأ يفك عرى الإسلام واحدة بعد الأخرى ، فأصدر ترجمة إنجليزية للقرآن الكريم تباع فيها هواه وزعم أنها الترجمة الشرعية الوحيدة ، ثم نشر كتابا يهاجم فيه الحديث النبوي الشريف جملة وينكر حججه ويرفض أصالته ويعتبر الاعتماد على الحديث بأي وجه شركا وكفرا من زيغ الشيطان ، ثم أنكر صحة الآيتين الأخيرتين من سورة التوبة ، ثم زعم أن قول «محمد رسول الله» بعد شهادة أن «لا إله إلا الله» شرك وكفر بالله ، كما حترّف الأذان وزعم أن الصلاة على النبي غير مشروعة ، وزعم أن قوله تعالى «يأيها الذين آمنوا صلوا عليه» يعنى أيدوا دينه واتصروه كما زعم أن محمدا كان كاتبيا وكتب القرآن بخط يده ، ومن وقت لآخر يطلع على الناس بإحدى العجائب يذيعها في نشرته الدورية ، ومن المؤسف أنه رفض أن يصغى لما قدم له من نصح المخلصين .

وبالرغم من وضوح فساد هذه الأدعاءات وخطرها فإنه استطاع كما يبدو أن يجده أتباعا ومؤيدين داخل أمريكا وخارجها مما يشوش على البسطاء وخاصة من المسلمين الجدد .

التنافس على الزعامات الإسلامية :

إننا نعلم أن الجندي والقائد يستوي أجرهما عند الله إذا أبلى كل منهما بلاء حنا وأخلص وجهه لله تعالى في كفاحه وإيمانه ، ومع ذلك فأننا نتنافس على الزعامة والناس على جميع المستويات ، يحدث هذا بين الجنالية المسلمة في البلد الواحد ، كما يحدث على المستوى

الوطني ، ولاتكاد جماعة إسلامية مهما صغرت تسلم من هذا التنافس غير البريء ، ويؤدي ذلك إلى أحقاد واتهامات وينتج عنه أحيانا أعمال العنف والإرهاب وسفك الدماء .

واحتدم النزاع بصفة خاصة بين الجمعيات الإسلامية التي كونها المسلمون من العنصر الإفريقي الأمريكي ، فكان يحقد بعضهم على البعض الآخر ، وكانت خصومتهم جميعا لأمة الإسلام بزعمهم «البيج محمد» أشد وحقدهم عليها أكثر نظر القوتها المادية والعددية ، وحتى يميزوا أنفسهم عنها كانوا يسمون أنفسهم «المسلمون السنيين» ويخالفونهم في هجاء لفظ «مسلم» أي في حروفه، علته التي تقوم مقام الحركات ، وحيث إن جماعة «البيجة محمد» كانوا يستعملون لفظ «الجلالة» فكان بعض هؤلاء يؤثر اللفظ الإنجليزي وخاصة أن بعض الخبثاء هناك يزعمون أن كلمة لفظ «الجلالة» تعنى صننا كان بمكة مما دفع كاتب هذه السطور لاستعمال اللفظين معا احتياطيا في مكاتباته .

كما اشتد النزاع كذلك بين الجاليات المهاجرة من الخارج ، والهب ذلك طموح غير المؤهلين ورغبتهم في الرئاسة واتهم بعضهم البعض الآخر بالباطل وتعرض بعض المخلصين العاملين في حقل الدعوة لمآسى ومخاطر بسبب هذه الاتهامات التي ما أريد بها إلا خدمة أهواء شخصية على حساب هدم الآخرين وعلى أنقاضهم .

الحملات المعرصة ضد الإسلام في وسائل الإعلام الغربي

سبق أن تحدثنا عن ذلك في بعض الفقرات السابقة ، ونضيف هنا أن هذه الحملات لا تقتصر على الاتهامات الصريحة ولكنها كثيرا ما تنتهز طرقا خفية خبيثة قد تكون أضر وأفعال وخاصة الإشارات التي ترد في الكتب الدراسية بالمدارس ، ويحدث ذلك على المستويات الأولية والثانوية والعالية ، ويزور أطفال المدارس المتاحف ويشاهدون بعض المناظر التي تؤذي الإسلام ورسوله وبذلك يشبّون على كراهية هذا الدين البريء من دعاوهم الكاذبة .

ولقد حاول الاستعماريون منذ القرن الماضي بذور مذووم الفتنة والأحقاد في نفوس ما أسماه «الأقليات الدينية» وعملوا ما وسعهم لإثارتهم ضد الحكم العثماني وضد الإسلام ، واستغلوا ضعف الدولة العثمانية وأسسموا أرسالياتهم ومدارسهم التبشيرية ، وتم لهم ما

أرادوا فقامت مذابح بشرية في بعض تلك البلاد كما حدث في لبنان وامتطعوا أن يبنوا دولة لليهود على أرض فلسطين المسلمة ، كما حاولوا إثارة الأقباط في مصر ، ولما هاجر بعض أفراد هذه العناصر خارج الوطن الإسلامي هجروا منهج الصهاينة وتبعوا خطتهم في اتهام الإسلام ونبيه وكتابه بأسلوب بشع مخفوت .

وليت المسلمين يتضافرون لعمل إيجابي فعال لتلاقي هذه الأخطار، لا عن طريق نشر كتب ومقالات فلسفية فوق المستوى العادي أو الكتابة عن الإسلام بأسلوب ركيك عملي ، ولكن بمتابعة الاتهامات من مصادرها والرد عليها في نشرة تصل لأيدي المسؤولين وأصحاب الرأي وإلى الرجل العادي والعمل في جدد لتطهير الكتب على كل المستويات من هذه الاتهامات كما صنع غيرنا بنجاح .

كلمة ختامية

هذا ما فتح الله عليّ به فذكرته كمثكلات تعثور طريق الدعوة وتؤثر على مسيرتها ، ولا أدعي - كما ذكرت من قبل - أنني تعمدت الحصر والاستقراء فقد يكون غاب عني بعضها أو نسيت الذاكرة بعضها آخر ، وفي الختام هناك حقائق ثلاث ينبغي تأكيدها :

الحقيقة الأولى : أنه رغم هذه العوائق والصعوبات فإن الإسلام يشن طريقه إلى القلوب ، ويفتح العوائق والسدود يزيها بالإيمان بعد الكفر ، ويهذب النفوس بعد الجحود ويهدي إلى الرشيد بعد الضلال ، وإلى التقوى بعد الفسوق والفجور ، يزداد أتباعه كل يوم ، ويتشرون في الأفاق والأنحاء في أركان المعمورة كلها ، وذلك لما في الإسلام من قوة الدفع الذاتي والمذ الطبعي كما شرحنا من قبل .

فمن ذا الذي كان يدور بخاطره قبل أربعين عاماً أن يكون للإسلام جالية بالولايات المتحدة الأمريكية تربو على الملايين ؟ أو تكون له بها عشرات المساجد تحترق مآذنها الشاخنة سماء المسدّن ويحجب بانحائها صدى نداء الحق : «الله أكبر الله أكبر» ، حتى على الصلاة ، حتى على الفلاح ؟ ومن ذا الذي كان يتوقع له أن تنتشر مراكزه ومدارسه ومؤسّماته في بلاد أوروبا وأستراليا ونيوزلندة واليابات وكوريا والجزر النائية في الباسفيك وسائر أقطار الأمر يكتين ؟

من كان يظن أن يخرق الإسلام بهذه السرعة وبهذه القوة جدران السجون العتيدة الصماء فيجعل من المجرمين عبّادا صالحين، ومن الأجلاف الإرهابيين نماذج من الناسكين التائبين الراكعين الساجدين؟ من كان يتصوّر أن تتحوّل الزنزانات في تلك الفلوات الرهيبة إلى زوايا ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا؟

لن أنسى ما عشت زيارة قمت بها إلى أحد السجون الكبرى في ولاية نيويورك بدعوة من السيد المشرف على تلك الدار بناء على طلب المجموعة التي اسلمت داخل ذلك السجن، وكنت على صلة بهذه المجموعة عن طريق البريد وبأمثالها من المجموعات الأخرى بالسجون المنتشرة في شتى البلاد الأمريكية التي دخل أعضاؤها الإسلام أثناء تواجدهم بالسجون، كذلك كنا نردّ على أسئلتهم واستفساراتهم ونزودهم بالكتب والمواد الإسلامية، كما كنا نتوسط لصالحهم مع اللطات المشولة كي يعفوهم من الأعمال التي تلوّث الأيدي بنجاسة الخنزير وليقدموالهم وجبات خالية من كل طعام محظور، كما استطعنا إقناعهم بفضل الله أن يغيروا مواعيد طعامهم أثناء أيام رمضان ليتمكنوا من أداء فريضة الصيام والسماح لهم بالاجتماع في لياليه لتدارس القرآن وأداء صلاة القيام، وإعفائهم من العمل بضع ساعات وسط نهار أيام الجمعة على مدار السنة ليجتمعوا لسماع الخطبة والصلاة.

وبعد سفر طال ساعات بالسيارة تبتدى لنا مبنى مصلحة السجن الرهيب في الخلاء ضخماً منعزلاً مرتفع الجدران الحالية من النوافذ، قصدنا إلى المدخل ذي البوابة الغليظة الثقيلة، وتعرضت مع رفيقي إلى روتين دقيق من التفتيش استغرق وقتاً طويلاً، ثم قادنا بعض الحراس إلى مقر الاجتماع فرأيت من بعيد منظراً ذكرني بمدخل المساجد حيث شاهدت على عتبة الباب عدداً كبيراً من الأحذية، ثم سمعت إمامهم يلقي عليهم خطبة الجمعة في أسلوب قوي مؤثر، ولما وصلت إلى داخل مقر الاجتماع وجدت المصلين منصتين في خشوع وانتباه، فخفق قلبي وتأثرت مشاعري لهذا المنظر، صليت ركعتين خفيفتين وواصلت الإنصات إلى الخطيب البليغ ودارت عيناى حول الجدران وأعجبت بما علق عليها من آيات قرآنية كتبت بخط بديع، وبعد أداء الصلاة التفوا حولي لتناقش في بعض الموضوعات ودهشت لما لمست فيهم من هدوء نفسى وسموٌ ورحي ومعرفة واسعة، وعجبت

كيف أحدث الإسلام هذا التغيير الجذري في شخصياتهم وعقولهم وتصرفاتهم .
 وبما يذكر بهذا الصدد أنه عندما أديت صلاة عيد الفطر المبارك لأول مرة في مقر المركز
 الإسلامي بواشنطن وسط عام ١٩٥٢م أى منذ ما لا يزيد عن خمسة وثلاثين عاماً، بعث
 المرحوم السفير كامل عبد الرحيم إلى ملوك ورؤساء الدول الإسلامية بقرقيات تهنئة يبشرهم
 فيها بحرارة بأن عدد المصلين بلغ المائتين فهل كان يدور بخلد السفير ومن كان معه في ذلك
 الوقت إنه بعد عشر سنوات سيبلغ عدد المصلين ظهر كل يوم جمعة في نفس المكان أضعاف
 هذا العدد؛ أو أن عدد المصلين هناك في كل عيد سيبلغ الآلاف؟ هذا عدا الجماعات في
 الأماكن الأخرى بنفس المدينة، وعدا الجماعات المتعددة التي تعقد في عشرات المدن
 الكبرى مثل نيويورك وشيكاغو وفيلاديلفيا، وصدق الله تعالى حيث يقول : ﴿إنا نحن
 نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ويقول : ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق
 ليظهره على الدين كله﴾ .

الحقيقة الثانية : هي أنه وإن كان الإسلام ينساب بقوته الذاتية فإن ذلك لا يعنى أن
 نتركه وحده ونخذه ونخلّي بينه وبين أعدائه الذين يسجلون كل حين انتصارات عليه
 داخلها وخارجها، فإلى متى نتعاس عنه وقد ريض العدو على صدورنا وأسس له دولة
 عدوانية شرسة في عقر دارنا يعث بمقدساتنا ويقتل نساءنا وأبنائنا وشيوخنا ويستولي على
 أفغاننا بينما الانزال نحن متفرقين ضعفاء متخاذلين ومتقاتلين؟ لن نسود ولن نعيش في أمن
 وسلام حتى تغلب على العوامل التي تفرق بيننا وتبدّد وحدتنا، ولن يكون لنا ذلك حتى
 نتحد حول كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» إنها هويتنا الحقيقية الباقية عليها نموت
 وعليها نبعث يوم نلقى الله ، فلم لا نعيش عليها ونلتف حولها فتقوى جبهتنا وتعزّ كلمتنا؟
 لن يكون لنا ما نبغى من عزّ ونصر وسيادة حقيقية حتى تبعث فينا روح الجهاد والتضحية
 بالغالي والنفيس من أجل ديننا ومن أجل ربنا ومن أجل أجيالنا، فمناط نصرنا وعزة ديننا
 الاتحاد والاستعداد .

الحقيقة الأخيرة : هي أن طريق الدعوة لم يكن يوماً من الأيام مفروشا بالورود والزهور خالياً
 من الأشواك والعوائق والمتاعب فعلى من يتصدى للدعوة أن يوطد صلته بالله عز وجل،
 ويعدّ نفسه لمواجهة الصعاب في صبر وحزم وحلم وأناة ومثابرة، وعليه أن يتحلّى بالأدب

الرفيع والخلق الكريم والجود والشجاعة والنزاهة والعفة عما في أيدي الناس، وعليه أن يكون حسن المظهر والمخبر، معتدلاً في أموره وأحكامه، وعليه أن يحصن نفسه بالعلم ولا يتعجل بالإفتاء إلا عند التأكد من صحة مايدلي به، ولا يتردد أن يقول: «لا أدرى» عند عدم التأكد، ويعطي نفسه الفرصة للرجوع إلى المصادر الموثوق بها، ويحسن أن يفقه نفسه في عادات البلاد التي يعيش فيها وتاريخها، وأن يكون على علاقة طيبة مع رجال الأديان الأخرى بها، حتى يتعرف على أساليبهم فيكون أقدر على مخاطبة القوم عن دينه ورسالته، وعليه قبل ذلك أن يوثق علاقته بزملائه من الدعاة ويتعاون معهم ويشد كل منهم عضد أخيه، وعليه أن يتذكر أن كل ماقد. يصبه من أذى في سبيل الله فلن يضيع عند الله، فعاقبة الصبر الأجر، والله لا يضيع أجر المحننين .

وبالله التوفيق والهداية والحمد لله رب العالمين

عقبات في طريق الدعوة واقترحات للتغلب عليها

**الأستاذ الدكتور / محمد ابراهيم الجويش
عميد كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
أجمعين وبعد .

فإن العقبات التي تواجه الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج كثيرة ومتشعبة . وقد
يبدأ بعضها قبل سنى الدراسة وبعضها أثناء الدراسة نفسها وبعضها من المناهج
الدراسية التي يتربى عليها طالب الدعوة وبعضها من الأستاذة الذين وكل إليهم
إعداد الداعية وتوجيهه، وقد ينشأ بعضها من الوضع العام الذي يطلب إلى الداعية
أن يعمل من خلاله وأن يساير أوضاعه وأن يغمض العينين عما يقدم عليه رجل في
مواقع المسئولية من تصرفات تعارض القيم التي يحمل الداعية راية الدعوة إليها
وينصب نفسة حريصا عليها ويقع بين شقى الرحى حينما يوجه إليه سؤال أو يرى
وضعا معينا ينتظر منه جمهوره أن يكشف لهم عن وجه الحق فيه أو أن يجد بحكم
مسئوليته الدينية أن يبين عن مدى إتفاق هذا التصرف أو ذلك الوضع مع القيم التي
يدعو الناس إلى الأخذ بها والسير على منهاجها فإن أبدى وجهة نظر صادقة وإعابة أمينة
عرض نفسه لمؤخذات لا يدرى لها نهاية ووضع مستقبله ومستقبل بنيه في مهبط
الريح ، وأن أغمض الطرف عما في هذه الأوضاع من مخالفات، وعما بها من تعارض
مع القيم التي يقوم على الدعوة إليها وحث الناس على إتباعها فقد ثقة الناس فيه ولم
يجد لدعوته سمعا حين يدعو، وتلقى الناس ما يقوله بكثير من الإستهزاء والسخرية
وشر ما يصاب به الداعية في مجال عمله أن يجد نفسه في واد ومن يدعوهم في واد آخر،
وحيث أنك ينصرف الناس إلى الإستماع من غيره والإقبال على سواه ، وأخذ ما يقوله هذا
الأخر بعين القبول والإعتبار، وينشأ عن ذلك الأخذ بالأفكار غير الناضجة وقبول
الأراء غير المستقيمة لأنها جاءت من طرف آخر غير ذلك الطرف الذي فقدوا ثقتهم
فيه، وفي ذلك ما فيه من خطر على الدعوة وعلى الجمهور الذي تنجبه بالدعوة إليه .

وعلاج هذه الظاهرة أن نؤمن لهذا الداعى مستقبله ونحميه من التعرض له في
حريته أو رزقه أو مستقبل أولاده، فإن تحقق له ذلك إستطاع أن يجهر بالحق بدون

خوف وأن يواجه الخطأ فيدعو إلى إصلاحه على ضوء ما تدعو إليها حينذاك يتردد صاحب النفوذ والمسئولية قبل أن يقدم على تصرف ما لأنه يدرك أن هناك من يجرؤ على التنديد بما يقدم عليه من خطأ دون خوف أو وقوع تحت طائلة التهديد أو العقاب، وبذلك يستقيم قطاع كبير من المجتمع وتمضى الأمور في يسر وسهولة إلى جانب أن هذا النوع ممن يكون في أيديهم مقاليد الأمور يرون أن مكانتهم ستقوى ومراكزهم تثبت حينما يعرف عنهم الإلتزام بالحق والحرص على العدل وفي الوقت نفسة سيال الداعية ثقة المدعويين والجاهير التي يعمل بينها فتسمو مكانته وسمع له حينما يقول، ويطاع حينما يأمر ويؤخذ برأيه حينما تحتاج الأمور إلى مراجعة وبحث لأنه صار معروفاً أنه لا يخاف في الله لومة لائم والنتيجة الطبيعية لذلك أن يتوثق الصلات بين أفراد المجتمع حاكمين ومحكومين، وأن تستجيب النفوس للنصيحة لأنها صادرة عن حر الإرادة، يقول ما يعتقد دون التعرض لمصادرة أو مضايقة أو ما شاكل ذلك من الأساليب التي نعرفها جميعاً والتي تعج بها مجتمعاتنا الإسلامية .

وعند ذلك سنقطع الطريق على كل رأى منحرف، وفكر غير ناضج سواء كان رأياً يلبس لباس الدين، أو كان رأياً ينادى بأفكار تستهوى عقول بعض الناس، وربما ينزلقون إليها حينما لا يجدون الكلمة الحرة والرأى الواضح من الدعاة الذين يتولون هداية الناس وتوجيههم، أذن لتخطى هذه العقبة علينا أن نؤمن للداعية حياة رحية ومسكناً مريحاً، ومقدرة مالية تمكنه من التصرف بين الناس بما يصلح فسادهم ويرأب الصدع الذي وجد في علاقة الداعية بجمهوره نتيجة لضغوط أصحاب السلطة وقبيل كل ذلك، وبعده أن نؤمنه من التعرض لضغوط تقع عليه من هنا أو من هناك .

أما ما يبدأ قبل سنى الدراسة فإن الحالة التي يُرى عليها الداعية في المجتمع من وضع إجتماعى غير لائق، ومن ظروف مالية سيئة، ومن نظرة إلى الداعية في بعض البلاد لا تتم عن الإحترام ولا عن التقدير، ومن مظهر سىء ينشأ نتيجة هذه العوامل مجتمعة يجعل النظرة العامة للداعية نظرة إن خلت من السخرية فلا تخلو من لإشفاق والعطف الذين يحتاج إليهما رجل في وضع سىء إجتماعى وإقتصادى وكل ذلك، ينعكس على نفس من يقوم بالدعوة وبصيه بالإحباط. وينظر إلى عمله نظرة من

يتخذ وسيلة ليس أمامه سواها ليحصل على لقمة العيش، فيؤدى عمله إن أداه أليا لاروح فيه ولاحماس ولاحرارة عند ذلك تضع الفائزة المرجوة والنتيجة المنتظرة من الداعية، لأنه لن يستطيع التأثير الإيجابي فيمن حوله بل من المؤكد سيكون تأثيره سلبيا، وبذلك يفقد القدرة على الاتصال مع الناس، ويعيش بينهم على الهامش، فلا يشارك برأى ولا بتوجيه، ولا يتقرب منه الجمهور شيئا قبل ذلك، لأنه حكم عليه أن يعيش منزويا ضعيف الشخصية فاقد التأثير بسبب ما ينوء تحته من ضغوط تدفعه إلى هذا السلوك دفعا .

فإن رأى شبابنا هذه الصورة التي رسمناها لوضع الداعية في مجتمعه عزفوا عن الرغبة في العمل في هذا الميدان، وبحثوا عن مجال آخر يحقق لهم المكانة والطموح والقدرة على الإبداع والتأثير والإحترام بين الناس .

وهذه الظاهرة مرهونه بأسبابها ودواعيها فإذا أردنا أن نزيل هذه العقبة الكؤود من طريق الدعوة فعلينا أن نبحث عن علاج لإمتصال أسبابها، ويكون ذلك بحصة واحدة أن أردنا الإختصار هي أن نحقق للداعية «حياة كريمة» ويتحقق ذلك أولا : بأن نأخذ في اعتبارنا أن نجعل للداعية راتبا سخيا، ولئن حكمتنا في تقدير الرواتب للدعاة قانون الأجور العام للدولة فإننا نستطيع أن نضيف إلى ذلك ما يسمى ببديل تمثيل دعوى على غرار ما يتبع في إحتساب مرتبات الدبلوماسيين مثلا فإنه يضاف إلى أصل المرتب أضعاف كثيرة تجعله قادرا على الوفاء بالتزامات الحياة وأكثر بكثير إن فعلنا ذلك نكون قد حصنا الداعية من ذلة الحاجة والشعور بالنقص .

ثانيا : الداعية له دور فعال ومؤثر إن تحققت له شخصيته المستقلة الغنية صما في أيدى الناس، ولكن عليه بعد ذلك التزامات يتطلبها عمله بحكم صلاحته بالناس وإحتكاكه بهم والوقوف على مشاكلهم وإحتياجاتهم، وخلافاتهم وقد يحتاج ذلك إلى من يقول فيسمع له، ومن يقدر على أن يبع الجمع في مكان خاص به، ويقدم لهم ما يحتاجه هذا اللقاء من مكان صالح للإجتاع ومن نحية تقدم وفي بعض الظروف من طعام يجمعهم عليه ليناقتش معهم بعض القضايا أو المشكلات التي تواجههم

أو تواجه قطاعاتهم وبحثون لها عن حل، فإن استطاع الداعية أن يقوم بهذه الإلتزامات كان في مركز الدائرة بالنسبة للمجتمع الذى يعمل فيه وكان محط الأنظار تتجه إليه وتضع أمامه مشاكلها فتجد عنده الحل، وتلقى المكان الرحب واللقاء السح والقول الطيب والقدرة الصالحة، ولكن لا يستطيع أن يحقق ذلك الذى يطلبه منه إلا إذا يسرنا له الأدوات والإمكانات التى تمكنه من التصرف على النحو المشار إليه، وذلك بأن تضع فى حطنتنا لإعداد الدعاة أن يكون له مسكن مريح مؤثث وأن يلحق به ديوان، يلتقى فيه بأفراد الجمهور ويناقش معهم قضاياهم أو يعرض عليه بعض المشروعات التى يراها نافعة لهم، ولا شك أن وجود هذه الإمكانيات ستدفعه إلى العمل والسعى والبحث والعيش مع الناس فى أفراحهم، واتراحهم، ويشرح ذلك بأن تخصص له مبلغ مجز من المال يعينه على النهوض بتلك الأعباء مضافا إلى راتبه .

وأنى حينما أقترح أن تهباً للداعية هذه الظروف امتعرض فى مخيلتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يدعو بنى هاشم إلى الإسلام أعد لهم طعاما وجمعهم عليه مرة وثانية وثالثة حتى تمكن من إخبارهم بما جاء به، وهذا يعنى أن الدعوة إلى لقاء على طعام أو شراب حلال تناقش فيه بعض القضايا الهامة سنة إسلامية أرسى رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعدنا منذ فجر الدعوة .

وإذا ما كان للداعية هذه المكانة المرموقة فى مجتمعه والكلمة المسموعة بين الناس، والمشاركة الفعالة فى أمور الحياة إجتمعت حوله القلوب وإستطاع أن يعرف قدرات الناس من حوله، وأن يتوهم فى أعداد من الشباب والناشئة الإستعداد للعمل النافع الجاد والرغبة فى الخدمات العامة، فقام بتوجيههم وتقديمهم للجهات المعنية بإختيار العناصر الصالحة للعمل فى مجال الدعوة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن ما يتمتع به من وضع متميز قياديا وسلوكيا وخلقيا ودينيا وإجتاعيا واقتصاديا سيدفع الكثيرين ممن عندهم الإستعداد الصالح أن يرغبوا فى أن يتحقق لهم ما يتحقق له، وأن يسلكوا الطريق الذى سلكه، وبذلك تزول هذه العقبة الأولى من العقبات التى تعترض أمر الدعوة ثم تأتي العقبة الثانية، وهى العقبة التى تعترض الداعية أثناء سنى الدراسة، وهى عقبة ذات شعب .

الشعبة الأولى : الظروف التي تحيط بالطالب في مرحلة الدراسة وهذه الظروف تجعله في أغلب الأحيان ينصرف عن الدراسة إلى عمل ما يجلب عليه من المال ما يستطيع أن يواجه به متطلبات الحياة من حولة ثم يأتي أواخر العام فيبحث عن الكتب يعكف على قراءتها شهرا أو شهرين ثم يجلس إلى الإمتحان يهرغ في ورقته ما علق بذهنه وهكذا حتى ينتهى به المطاف إلى الحصول على الشهادة التي تضمن له عملا إى عمل يكون وسيلة لزيادة دخله يستعين به على مواجهة أعباء الحياة أما الدعوة والتزاماتها فهذه أمور هو مشغول عنها بمطالب الحياة الضرورية وحسبه أن يؤدي الجانب الشكلي منها حتى لا يحرم من عائدة المادى .

ولنزيل هذه العقبة نرى أن لطالب الدعوة حياة عملية جادة خلال النهار، وإقامة مهيأة بكل الوسائل التي تعينه على التحصيل ومكافأة مالية مجزية تجعله لا يفكر في وسائل يكتب منها بعض المال لأنه لم يعد في حاجة إليه، وفي أثناء هذه الإقامة تكون هناك مناهج متابعة للطالب ترعى سلوكه، وترقب إلتزامه بواجباته الدينية، وتهبى له فرصا منتظمة يلتقى فيها بأشهر الدعاة وأقدر الأساتذة يأخذ عنهم تجاربهم، ويتعرف إلى مناهجهم وأفكارهم، ثم يعقب ذلك حوار يعرض فيه ما يدور بذهنه ويتلقى عنه إجابات مقنعة وافية تفتح أمامه الآفاق، وتضع قدميه على أول الطريق، وبذلك نريه على إستقامة السلوك، والحفاظ على العقائد والعبادات والإلتزام بالقيم والأخلاق، وتكوين الشخصية القيادية المستقلة التي تسم بالقدرة على مواجهة ما يعرض من مشاكل في حكمة وروية وأناة .

والشعبة الثانية من هذه العقبة تحثل في المناهج الدراسية التي يتلقها، فإننا نلاحظ أن الطالب يخرج وليس لديه إلا معلومات غامضة عن كثير من الأمور التي يطلب إليه أن يعالجها ويقدم للناس الرأى الصحيح فيها، وقد تكون الصورة النظرية للمناهج مرضية ولكن التطبيق العملى لها لا يحقق الأمل المرجو منها، وقد يكون السبب الرئيسى في الهبوط بالمستوى إلى هذا الحد أن الإعتياد في التحصيل يقوم على إستيعاب ما يلقى المحاضرون بعد طبعه في مذكرات أو كتب وتنقطع الأسباب بين الطالب وبين الرجوع إلى المصادر الرئيسية التي تعالج هذه الأمور وبخاصة في مواد التفسير

والحديث والفتنة والعقائد والأصول ويمكن التغلب على هذا الجانب من هذه العقبة بأن نمد الطالب بالكتب الأمهات في المواد الإسلامية الأساسية ونطلب إلى الأستاذة أن يجعلوها الأساس في تدريبيهم ويكلف الطلاب بإعداد بحوث تتناول موضوعات هذه الكتب ومناهج مؤلفيها، ويكون لهذه البحوث، إعتبار عال في تقدير درجة النجاح لكل طالب في آخر العام .

هذا إلى جانب أن يزود الطالب في كل عام بعدد من الكتب الأمهات لتكون نواة لتكوين مكتبته، وتعد مسابقة سنوية للطلاب في بعض هذه الكتب ترصد لها مكافأة سخية يحصل عليها كل من إجتاز هذه المسابقة بنجاح حسب مستوى نجاحه وأعتقد أننا بذلك نكون قد ساعدنا مساعدة فعلية على تكوين طالب الداعية تكوننا علميا .

ومن الأسس الهامة التي يجب علينا أن نوليها إهتماما كبيرا في فترة إعداد الطالب أثناء الدراسة حفظ القرآن الذي يجب أن يلتزم الطالب، إزاه يحفظ ربع القرآن الكريم كل عام من سنوات الدراسة الأربع كما هو متبع الآن ولكنني أرجو أن يكون القدر الذي يلتزم الطالب بحفظه هو القدر الذي نقرره عليه في مادة التفسير لتاعد كل مادة الأخرى في درجة الإتقان .

أما الأسلوب الذي يعرض به الداعية أفكاره واللغة التي يستعملها، فيصاب كثير منا بالأسى والضيق حينما يستمع إلى بعض الدعاة وقد أفسد اللحن ما بينهم وبين مستمعيهم وحال ضعف المستوى التعبيري بين الفكرة وبين وصولها إلى المتلقين، ولهذا فأعتقد أننا جبرا لهذا النقص نضيف إلى مواد الدراسة مادة جديدة نطلق عليها «نصوص وأساليب» تقوم على إختيار طائفة من الأساليب والنصوص التي تمتاز بالوضوح والإشراق والقوة والجمال الأدبي والتنظيم الفكري، تدرس للطالب في هذه المرحلة باعتبارها نماذج تحتذى في طريقة العرض ووضوح الهدف وأدلة الإقناع وصحة التعبير وسداد الرأي، ويكلف الطالب، بإستظهارها ليكتسب مادة لغوية وتعبيرية تعينه على تحسين أدائه وتسعفه إن أراد الإقتباس، ولاننسى عند دراستها أن يتعرف الدارس من خلالها على صحة النطق نحويا ولغويا، بمعنى أن يتعرف على القواعد من خلال دراسة النص .

هناك ملاحظة أخيرة تلك أن مناهج الدراسة تشمل على محاضرتين في اللغات الأوربية كل أسبوع خلال سنى الدراسة فإذا أردت أن تتعرف على حصيلة هذه الدراسة بعد السنوات الأربع فترى ما يثير الأسى والجزع لضياح هذا الوقت، هدرًا، وغالباً ما يكون من العير على الطالب أن يستطيع النطق الصحيح بجملة واحدة في تلك اللغة علماً بأنه قضى قبل ذلك ست سنوات يدرس أثناءها هذه اللغة، ويمكن أن تتصور مدى الفشل الذى نشعر به حينها نجد الطالب، بعد دراسة لغة ما عشر سنوات وقد عجز عن النطق بجملة أو سطر صحيح منها، فما بالك بالقدرة على فهم ما يقرؤه علماً بأننا في حاجة ماسة إلى أن نعد من الدعاة من يكونون قادرين على التحدث ببعض اللغات الأوربية وفهمها فيها جيداً لسبب أولها يوجد من المسلمين في أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا من يتكلم هذه اللغات ولا يفهم سواها فلا بد أن يكون لدينا من الدعاة من يقدر على مباشرة الدعوة بها حديثاً وخطابة وكتابة ومناقشة، وقد ندرك مدى أهمية إتقان هذه اللغات حينما نعلم أن المسلمين الذين يتحدثون الإنجليزية مثلاً يفوق عدد المسلمين الذين يتحدثون اللغة العربية ولا بد أن نبلغ الدعوة لهؤلاء باللغة التى يفهمونها هذا أول السببين.

أما السبب الآخر فإنك تجد في هذه اللغات كتباً كثيرة تتحدث عن الإسلام وعن نبي الإسلام وعن القرآن والسنة والحضارة الإسلامية حديثاً فيه الكثير من التشويه والأخطاء وإذا لم نعرف اللغات التى ألفت بها هذه الكتب فنسقف عاجزين عن رد هذه المفتريات هذا من جانب، وسنترك الطريق مفتوحاً أمام الأخطاء التى تحفل بها هذه الكتب لتسرب إلى عقول وقلوب المسلمين الذين يقرؤون تلك اللغات، من جانب آخر اذن فلا بد لنا أن نولى دراسة هذه اللغات من الجدية والإهتمام ما ينهض بها إلى المستوى الذى نطلبه في رجل الدعوة وبخاصة الذى ينهض بأعباء الدعوة في بلد تتكلم إحدى تلك اللغات.

وأذكر أننا في السبعينات في إنجلترا اطلعنا في جريدة التايمز وهي أشهر الصحف الإنجليزية على الإطلاق على صورة لشخص يرتدى عمامة ومكتوب أسفل منها محمد يقول للجبل إذا لم تجيء إلى فسأنتقل إليك، وثلث عواطف المسلمين الذين اطلعوا

على هذه الصورة لإيهم أحسوا أن فيها تعريضا برسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبنا إلى رئيس التحرير خطاباً نعترض فيه على ما جاء في جريدته ونبين له مدى ما تركت من أثر سييء في نفوس المسلمين فرد الرجل بخطاب يعتذر فيه ، ويقول إنه لم يدر بخلده ولا بخلد أحد من هيئة التحرير أن في ذلك اساءة إلى قراء الجريدة من المسلمين ، ولهذا فهو يعتذر ويتعهد بأن لا يحدث ذلك مرة ثانية ، وهناك وقائع كثيرة مماثلة ليس هنا مجال لسردها .

والشعبة الثالثة : هو إختلاف أهداف مناهج كليات الدعوة المذهبية في العالم الإسلامي فإن هذا الإختلاف يشكل إنقساماً في طريقة الدعاة ، ويؤدي إلى صراع بينهم قد يأتي بأضرار لا حد لها مما نشهد آثاره في كثير من البلدان التي يتوجه إليها مبعوثون للدعوة من مؤسسات مختلفة ، فإنهم يدخلون في صراع يهدد أمن الأماكن وإستقرارها ، ومن أمثلة ذلك أن دارسين في معهد من المعاهد الإسلامية عادوا إلى بلادهم التي يسودها المذهب الشافعي ، ويرى الشافعية أن القنوت في صلاة الصبح سنة وأراد الدعاة الجدد أن يوقفوا القنوت في صلاة الصبح لأنهم درسوا أن رسول الله لم يفعله إلا عند النوازل ، وأخذوا يجادلون في ذلك ويصرون على أن يوقفوا الناس عن القنوت في الصباح حتى امتد الخلاف وهدد بها لا تحمد عقباه لولا أن تدخل شخص في موقع المسؤولية فأستدعى هؤلاء وأفهمهم أن هذا أمر خلافي بين المذاهب وليس من الحكمة إثارته وليس أمراً أساسياً في الدين ، ومثل هذا التصرف يحصل في كثير من الأماكن التي يذهب إليها المبعوثون للدعوة ، وحتى لانقع في آثار الفرقة التي تترتب على هذا النزاع يجدر بنا أن نزود الدعاة إلى بلد ما بما يلزمهم الوقوف عليه من حياة هذه المجتمعات وما يتبعه أهلها من مذاهب المسلمين حتى لا يكونوا دعاة قلق وشقاق ، وأذكر أنني مرة في لندن صليت بالناس التراويح في رمضان ثم جاءت صلاة الوتر ، فصليت ركعتي الشفع وسلمت ثم ركعة الوتر ، وأحسث أثر تملل بين بعض المصلين ثم عرفت أن جمهورهم أحناف يصلون الركعات الثلاث بتليمة واحدة مثل صلاة المغرب فشرحت لهم البب ولكنني بعد ذلك كنت أدعوا أحدهم ليؤمهم في صلاة الوتر حتى لا يثور خلاف على أمر لا يترتب على فعله أو تركه حرمة .

وأحيانا تكون العقبة ناشئة من الأساتذة الذين يتولون إعداد الدعاة، فإنهم ينسون أنهم قدوة وأنهم يعدون جيلا يحمل أمانة الدعوة ويلقن مبادئها إلى جيل يأتي من بعده، وهذا يقتضى أن يكون قدوة في رحابه الأفق ولين الجانب، والحلم والأناة، ومجاورة الآخرين بالحسنى

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . . . ﴾^(١)

ولاشك أن الرفق في الحوار يجعل الطرف الآخر يتخلى عن عناده، وأن العنف يدفعه إلى الشطط ونحن نقرأ جميعا ثناء الله على نبيه بالرحمة واللين وعدم الغلظة ولكننا ننسى ونحن نتحاور مع مخالفينا في الرأي أو العقيدة فنقسمو عليهم، وندفعهم إلى العناد، والله يقول لنبيه صلوات الله وسلامه عليه .

﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك، فأعف عنهم وأستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾^(٢) (٤٤:٤٠، ٤٤:٤٤)

والأستاذة مطالبون بأن يضربوا المثل لطلابهم حتى ينسجوا على متوالهم إذا ما ألقى به في خضم الحياة والتعامل مع أنماط متعددة من الناس ذوى نزعات وطبائع مختلفة بين سلس القيادة سهل الأقتناع وبين شمس جموح العاطفة لا يسر قياده إلا لمن يأخذه بالرفق واللين والحلم والأناة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم [إن الله رفيق يحب الرفق وفي الأمر كله^(٣)] «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على شيء سواه^(٤)» وهنا يحضرنى موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثمامة بن أثال الحنفي سيد أهل اليمامة قد كان أراد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعضمه الله منه، وأهدر رسول الله دمه، وحدث أن خرج من اليمامة معتمر فظفرت به خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنجد فجاءوا به أسيرا، وهم لا يعرفون من هو، فربطوه بإسطوانة عند باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قرأه مريضا فعرفه، وقال لهم : أتدرون من أخذتم؟ هذا ثمامة ابن أثال الحنفي، ثم أمرهم أن يحسنوا إسه، ورجع إلى أهله فأمرهم أن يعثوا إليه بما عندهم من طعام، وأمر بناقته أن

تذهب إليه في الصباح والمساء ليشرب من لبنها وكان يمر به ويعرض عليه الإسلام فيأبى ، وكلما سأله ما تقول يا ثيامة؟ أجاب : إن تسأل ما لا أعطه ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تُنعم تُنعم على شاكر ، وبعد أيام أمر رسول الله أصحابه أن يطلقوه ويفكوا إيساره فخرج الرجل إلى مكان تجتمع فيه المياه خارج المدينة فأغتسل ، ثم عاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد شهادة الحق ، ثم قال : يا رسول الله ، والله لقد قدعت عليك وما على وجه الأرض وجه أبغض إلى من وجهك ، ولا دين أبغض إلى من دينك ، ولا بلد أبغض إلى من بلدك ، وما أصبح على وجه الأرض وجه أحب إلى من وجهك ، ولا دين أحب إلى من دينك ، ولا بلد أحب إلى من بلدك .

وقال يارسول الله إن خيلك أخذتني ، وأنا أريد العمرة ، فمر من يسيرني إلى الطريق ، فأمر من يسيره ، فخرج حتى قدم مكة ، فلما سمع المشركون به جلاؤوه قائلين :

ياثيامة صبوت وتركت دين أبنتك . قال : لا أدري ما تقولون ، إلا أنني أقسمت برب هذه النية لا يصل إليكم من ثيامة شيء مما تستفون به حتى تبعوا محمد عن آخركم ، وكانت ميرة قريش ومنافعهم من الثيامة ، ولما عاد حبس عنهم ما كان يصلهم منها ، فلما أضرهم ما فعله ثيامة كتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستجدون به ويذكرونه بصلة الرحم بينه وبينهم قائلين : إن عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم وتحض عليها ، وإن ثيامة قطع عنا ميرثنا وأضرنا ، فإن رأيت أن نكتب إليه أن يخلى بيننا وبين ميرثنا ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن خلى بين قومي وبين ميرثهم وكان له موقف مشهود لما إرتد أهل الثيامة واتبعوا ميلم الكذاب ، فكان يتهاهم عن تصديق ميلم وأتباعه ، ويقول : إياكم وأمرًا مظلمًا لا نور فيه ، وأنه لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم ، وبلاء على من لم يأخذ به منكم يا بني حنيفة ، فلما عصوه ورأى أنهم قد مالوا إلى متابعة ميلم عزم على مفارقتهم ، ولما سمع بمرور العلاء بن الحضرمي قال لأصحابه من المسلمين : إني والله ما أرى أن أقيم مع هؤلاء مع ما قد أحدثوا ، وإن الله تعالى يضربهم ببليّة لا يقومون بها ولا يقعدون وما نرى أن نتخلف عن هؤلاء وهم مسلمون ، وقد عرفنا الذي يريدون

ولا أرى إلا الخروج إليهم، فمن أراد الخروج منكم فليخرج وإنضم هو وأصحابه من المسلمين إلى العلاء بن الحضرمي وكان لخروجه أثر شديد على معنويات أعدائهم، وكان يقول عن سبيلمة :

دعانا إلى ترك السديانة والهدى وسبيلمة الكذاب إذ جاء يسجع
فيا عجباً من معشر قد تتابعوا له في سبيل الغي والغى أشنع^(١)

وهكذا كانت هذه المواقف حماساً للإسلام ودفاعاً عنه وجهاداً في سبيله بعد ما رأى من صاحب الرسالة ما رأى من تسامح ورفق وحلم وأناة جعلته ينقلب من عدو محارب إلى مؤمن مستعد للتضحية بالنفس والمال، واقف بالمرصاد لكل خارج على الدين مضح في سبيله بكل ما يملك من قوة، وصدق الله العظيم حين يقول : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ولاستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذوا حظ عظيم ﴾^(٢)

وما أحوج الدعوة والقائمين على أمر الدعوة وإعداد رجالها في المعاهد والجامعات أن يأخذوا أنفسهم بهذا النموذج حتى نشق الدعوة طريقها في يسر وسهولة، هذا الذي تناولناه في الصفحات السابقة بعرض العقبات التي تعترض الدعوة والدعاة في مجتمعاتنا الإسلامية وفي معاهد إعداد الدعاة، فهاذا عن العقبات التي تواجه الدعاة في الخارج؟ إنها عقبات من نوع آخر سنحاول أن نستعرضها ونبحث عن علاج لها على ضوء ما اكتسبناه من تجارب خلال عملنا في هذه المجتمعات فترة من الزمن .

أول هذه العقبات تتمثل في عدم تأهيل الداعية التأهيل المناسب للجهة التي يعمل فيها إما علمياً وإما لغوياً، وتفصيل ذلك أننا لا نجد العدد الكافي من الدعاة المؤهلين علمياً والقادرين لغوياً على مخاطبة الجماعات التي يتوجهون إليها باللغة التي يفهمونها، ونشعر بكثير من الحرج حينما نتلقى رغبات الجاليات الإسلامية المعبرة عن حاجتها إلى من يبصرهم بأمور دينهم، فلا نستطيع أن نلبى هذه الرغبات لأننا لا نجد من يقدر على الحديث بلغة هؤلاء، وقد يكون أسامه العلمي صالحاً لأن يبدأ العمل

ويستكمل ما يشعر به حاجته إليه ولكن لا نصيب له من اللغة فيذهب ثم لا يستطيع أن ينهض بأعبائه فيعطى إنطباعاً سيئاً عن جدوى رجالنا في مجال الدعوة في الخارج، ومثل هذه الظروف وهي ظاهرة موجودة بكثرة في الغرب تعطى الفرصة لشخص ما متواجد هناك ليست لديه القدرة العلمية للتصدي للتوجيه ولكنه يستطيع أن يخاطب الناس بطلاقة باللغة التي يفهمونها فيتقدم للعمل في مجال الدعوة وقد يكون ضرره أكثر من نفعه وليست هذه النتيجة شاملة لكل من يتصدون للعمل في مجال الدعوة في الغرب، ولكنها غالبية إذ قد وجد من استطاع أن ينجح ويؤثر ولكن ذلك عدده قليل جداً بالنسبة للكثرة الغالبة التي اتخذت ذلك مصدراً للرزق والتكسب والوجهة بين الناس فإذا دعوا للحديث عن الإسلام أمام مؤسسات غير إسلامية - وكثيراً ما يحصل هذا - أساءوا إساءة فاحشة، وأجابوا حينها يسألون إجابات غير صحيحة فكان ضررهم أكبر من نفعهم، وقد تهيئت جامعة الأزهر لهذه الظاهرة منذ سنوات فأنشأت معهد الإعداد والتوجيه، ولكني لأدري ما مصيره الآن وسواء كان باقياً حتى الآن أو لا فإن أثره غير بين، وإني أقترح علاجاً لهذه الظاهرة أن نختر من طلبة كليتنا عندما ننوَسِم فيهم الإخلاص والإستقامة والإستعداد الطيب والرغبة في التزود بالمعرفة، ونبعث بهم في دورات تدريبية إلى المراكز الكبرى في تلك البلاد ليتدربوا على العمل فيها ويكتبوا اللغة باختلاطهم بالناس هناك وينموا مألديهم منها، فإذا تخرجوا كانت لديهم خبرة بالعمل في تلك المؤسسات، ثم نتبع ذلك بأن نبعث كل من تثبت صلاحيته للعمل في جهة ما إلى تلك الجهة مدة عام مثلاً يتفرع فيها لتحصيل اللغة ويخصص جانب من نشاطه الأسبوعي للتدريب على العمل في ذلك المركز أو تلك المؤسسة، بعد أن يتم اتفاق كامل بين المسؤولين عن البعثات عندنا وبين القائمين على تلك المؤسسات حتى لا يضيع وقت المبعوث في التردد على هذا أو ذاك، على أن يكون واضحاً منذ اللحظة الأولى أن للسئولة المالية تقع بكاملها على الجامعة المرسله حتى لا تعتذر المؤسسات هناك بعدم مقدرتها المالية على إستيعاب هذه الأعداد وأعتقد أننا بذلك نستطيع في مدى خمس سنوات أن نلبى أكثر حاجيات الجاليات والمؤسسات الإسلامية في بلاد الغرب، وسيكون ما أشرنا إليه من قبل عند مناقشتنا لدراسة

اللغات في جامعاتنا وما أقرحناه لتكون تلك الدراسة جادة ومجدية سيكون ذلك مرحلة أولى تسهل تحقيق ما نقترحه هنا .

هناك ظاهره أخرى في مجال العاملين في حقل الدعوة في الغرب يلتمس من قدر له أن يعمل هناك تتمثل تلك الظاهرة في أن كثير من إخواننا من البلاد الإسلامية الذين لهم جاليات في تلك البلاد يبحثون عن يومهم في الصلاة بعد أن يطول بهم الإنتظار في إرسال داعية متخصص إليهم - فإذا وجدوا من يحفظ بعض قصاص السور من القرآن استفدوه ليؤمهم في صلاتهم ولبلقن أطفالهم بعض ما يحفظه من السور، ومؤهلات هؤلاء لحي طوبلة كثة وأجسام ضخام، ومظهر أقرب إلى القبح منه إلى حسن السمات، وهم أشبه ببعض فئات في عدد من بلاد المسلمين يحفظون بعض سور القرآن يردونها عند المقابر ليحصلوا على بعض النقود بصورة لا تليق بكرامة القرآن ولا بمكانة حاملة على أن الخطر الأكبر الذي ينشأ عن هؤلاء المتصدرين للدعوة في بعض أماكن تجمعات المسلمين يحيى من تعرضهم لتحفيظ بعض الأطفال آيات أوسورا من القرآن بصورة منفرة حقا وفي ظروف تغرس في نفس الطفل الإحساس بأن الإسلام دين غير صالح للحياة الراقية، حينما يعود من مدرسته التي قضى فيها يوما كاملا في ظروف مرحة وفي بيئة نظيفة وفي أماكن فسيحة معدة بكل وسائل التشويق والترطيب ومع مدرسين أو مدرسات يعاملونه بلطف ورفق، ثم يأتي إلى ذلك الشيخ فيجلس أمامه في مكان ضيق ووضع سيء وعصا غليظة وتصرف جاف وطريقة سقيمة في التعليم تصرف الطفل وتنفره وتغرس في أعماقه الإحساس بعدم الرضا عن انتسابه إلى الإسلام، وهذا هو أخطر ما يترتب على هذه الأوضاع، وواجبنا أن نبحث عن وسيلة تمنع بها هذا التخريب الذي يصيب عقول وإحساس عدد كبير من أبناء المسلمين في بلاد الغرب نسهم نحن فيه بطريقة غير مباشر إذا لم نتخذ من الوسائل العاجلة ما يوقف هذه الآثار المدمرة، وقد بذلت محاولات عديدة غير أنها محدودة الإمكانيات ضعيفة التأثير لأنها لا تجد الوقت الكافي، ولا التمويل الذي يحقق المستوى المطلوب لتعليم أبناء المسلمين أصول دينهم بطريقة تبعث في نفوسهم الإعتراف بالانتساب لهذا الدين، وترغبهم في الإقبال عليه، ومن أهم واجبات الدعوة

الإسلامية في الغرب وأولاها بالرعاية الحفاظ على الشخصية المسلمة للأجيال الناشئة في تلك البلاد وتحصينهم ضد الضغوط التي يتعرضون لها في المدرسة وفي الشوارع وفي وسائل الإعلام التي تقدم لهم نماذج من السلوك والأخلاق والمعتقدات يخالف كل المخالفة ما نحاول غرسه في نفوس أبنائنا وقريبة أجيالنا على التمسك به والحفاظ عليه حتى نحفظ عليهم دينهم وشخصيتهم المسلمة، ولايتحدث ذلك إلا بتقديم نموذج تعليمي كامل يقدم للناس، المسلم المعارف العصرية التي يتلقاها لذاته في مدراس الدولة التي يعيش فيها يضاف إليها دراسة الإسلام عقائده وأخلاقه ومعاملته، وتعرفه بالقرآن وبمكائنه والسنة ومنزله، والنبي ورسالته وموقفه من النبوات والرسالات السابقة كل ذلك إلى جانب دراسته لحضارة الإسلام والعطاء السخي الذي قدمته الحضارة الإسلامية للبشرية والجهود التي بذها علماء المسلمين في سبيل تحقيق الرفق الإنساني سواء في ميدان التشريع أو الإقتصاد أو السياسة أو العلم التجريبية إلى جانب ما دعا إليه الإسلام من مبادئ إنسانية عليا تحفظ على الإنسان كرامته وحرية وقيمه كإنسان مع التركيز على قضايا العصر ويؤكد سبق الإسلام إلى تحقيقها من مثل :

حقوق الإنسان، والتسامح، وحرية الفكر ومخاربة التمييز العنصري، والتكافل الإجتماعي هذا إلى جانب دراسة اللغة العربية وآدابها حتى يتمكن من الاضطلاع باللغة العربية والتحدث بها وإنطلاقا من الإحساس بهذا الواقع الذي يتعرض له الناشئة من الأجيال المسلمة في الغرب تقدمت بالإقتراح التالي في ذي الحجة سنة ١٣٩٠هـ فبراير سنة ١٩٧١م إلى مجلس أمناء المركز الإسلامي المكون من سفراء الدول الإسلامية كى يسعوا لدى دولهم ليتعاونوا على تطبيقه في البلاد الغربية وفيها يلي نص لهذا المشروع لعل الأوان قد آن ليحقق هذا الحلم على يد هذا المؤتمر الموقر الذي ضم قادة التوجيه الإسلامي في الجامعات الإسلامية :

مشروع إنشاء مدرسة إسلامية

تمهيد : يعاني أبناء الجالية الإسلامية في إنجلترا من ضياع خطير يتهدد مستقبلهم، وبخاصة أبناء السلك السياسي، والقادمين في بعثات دراسية أو تدريبية تتراوح بين ثلاث سنوات أو خمس، وسبب ذلك أنهم لا يجتهدون المدرسة المناسبة التي يتلقى فيها أبناؤهم تعليماً متصلاً بالبيئات والثقافات في البلاد التي قدموا منها، والتي سيعودون إليها للعيش فيها مستقبلاً.

وقد حلت الجاليات الأجنبية في بلادنا العربية والإسلامية هذه المشكلات بالنسبة لأبنائهم من أول الأمر. فأقاموا المدارس الخاصة بهم يعلمون فيها أبناءهم بالطريقة التي يحبونها والبلاد الإسلامية خاصة بهذه المدارس التي ترتبط بإسم الجاليات التي تمثلها.

ويفتق أعضاء السلك الإسلامي والعربي كثيراً من الأموال لتعليم أبنائهم في المدارس الخاصة، ثم يشعرون آخراً بأن النتيجة التي وصل إليها الأبناء لم تكن هي الصورة المنتظرة ولا المرجوة، وكذلك الحال بالنسبة لأبناء الموسرين من أهل البلاد العربية والإسلامية الذين يعبثون بأبنائهم إلى هذه البلاد وسواها رغبة في الحصول على فرصة أحسن مما هو ميسر في بلادهم، أولاً لأن بلادهم ليس فيها من المؤسسات التعليمية ما يتمكن من الوفاء بتقديم القدر الثقافي المطلوب لتأهيل النشء إلى الإلتحاق بالجامعات، والتمكن من الإضطلاع على وسائل التربية الحديثة، أو لعدم توفر العناصر ذات الكفاءات التعليمية والتربوية التي تستطيع النهوض بمثل هذا الواجب.

وفي دور التعليم هنا من أبناء الدول الإسلامية والعربية وبخاصة دول الخليج المئات بل الألوف من الناشئة الصغار الذين يحتاجون إلى رعاية وتوجيه خاص، يتناسب مع عقائد بلادهم، وتقاليد بيوتاتهم، وهم هنا يتلقون توجيهات خاصة،

ويشبون على إنتهاج مثل معبته، ويأخذون بنماذج من السلوك والتربية والإخلاق تجعلهم يشعرون بالغربة والقلق حينما يعودون إلى بلادهم، ويقعون في مناقضات مع أهلهم وذويهم ومواطنيهم، ونشأ عن ذلك نوع من الصراع يؤدي إلى بعد الهوة بينهم وبين مواطني بلادهم، ويكون النتيجة أما أن يتركوا بلادهم ويهاجروا إلى بلاد أجنبية، أو يتحولوا إلى عناصر هدم تعود بالضرر الجسيم عليهم وعلى مواطنيهم، ويلاذهم هي الخسارة في كلتا الحالتين خسارة مزدوجة تتناول الأبناء والأموال اللذين هما زينة الحياة الدنيا، ومن أجل هذه الصورة التي رسمتها والتي أحتت بآثارها بحكم بقائى هنا سنوات إلى جانب ما أحسى به مما يعانيه الجيل الجديد من أبناء المسلمين المستقرين في هذه البلاد فإننى أتقدم بالمشروع التالى، راجيا أن ينال إهتمامكم الشخصى وإهتمام أعضاء المجلس جميعا، فيتعاون الجميع على عمل مشترك نؤمن به مستقبلا أبنائنا، ونساعدهم على خدمة بلادهم، والحفاظ على مقوماتهم الدينية، وشخصيتهم الإسلامية .

أولا : العمل على إقامة مدرسة إسلامية ذات مراحل أربع : روضة، ابتدائى، إعدادى، ثانوى . حتى يمكن إستيعاب كل الأعمار من الثالثة حتى السادسة عشرة .

ثانيا: أن يكون بالمدرسة قسم داخلى بكل إستعدادته يهيء للتلاميذ إقامة مضمومة، وبخاصة القادمين من البلاد العربية والإسلامية، وبعض أبناء الجالية الإسلامية بإنجلترا الذين يرغبون فى إلحاق أبنائهم بالمدرسة وليسوا مقيمين بلندن، أو يقيمون فى أماكن نائية عن المدرسة وتخضع تلك الإقامة لنظام دقيق وسليم بحيث يحقق للطالب كل ما تشهده التربية الحديثة فى حدود التقاليد الإسلامية ومبادئها .

ثالثا: أن تزود المدرسة بسيارات لإحضار التلاميذ من منازلهم وإعادتهم إليها بعد الدروس .

رابعا: أن يلحق بالمدرسة مسجد يباشر فيه التلاميذ الصلاة حتى ترتبط فى أذهانهم

منذ الصغر ارتباط الثقافة بالعقيدة، وتؤدي دروس الدين في المسجد ليطبق عمليا ما يقال نظريا .

خامسا: تزويد المدرسة كذلك بصالات للعرض المينيائي ونواد للألعاب الرياضية، وحمامات للسباحة، ومكتبة شاملة تغطي كل المستويات المطلوبة .

سادسا: نظام الدراسة يسير على النحو التالي :

١ - تقوم المدرسة بتدرج المنهج المتبع في مدارس الحكومة في إنجلترا الأنجليزي، في فرنسا الفرنسي في ألمانيا الألماني، في إيطاليا الإيطالي وهكذا كما هو بكل عواده وكما هو موجود في المدارس الحكومية، وبذلك يتحقق للتلميذ القدر الدراسي الذي يتلقاه زميله غير المسلم في مدارس الدولة .

٢ - يضاف إلى المنهج السابق مايلي :

(أ) دراسة الدين الإسلامي عقائده وعباداته وأخلاقه وآدابه وتشريعاته وبعاملاته .

(ب) دراسة التاريخ الإسلامي بعيدا عن الخلافات السياسية والمنهجية .

(ج) دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية ومكانتهما في الإسلام وما يدور حولهما من دراسات .

(د) دراسة الحضارة الإسلامية وما قدمته للإنسانية في تاريخها الطويل مع الإشارة إلى عدد من الذين أسهموا في البناء الحضاري الإسلامي بجوانبه المختلفة من علوم إنسانية إلى علوم تجريبية .

(هـ) دراسة اللغة العربية قواعدها وأدائها ليتمكن التلميذ من قراءة القرآن قراءة صحيحة ومتابعة الفكر الإسلامي في القديم والحديث .

ونتيجة الدراسة على هذا النحو أن يتخرج التلميذ وقد تهيأ للإلتحاق بأي جامعة يريد في الشرق أو في الغرب مع التزود بقدر كاف من الثقافة والمعارف الإسلامية تجعله

على بصيرة بأمور دينه إن اتجه إلى جامعات الغرب، وتسهل له الإنتظام مع زملائه في الجامعات الإسلامية إن رغب في ذلك بدون أن يشعر بأى نقص أو قصور، وفي الوقت نفسه تعطى فرصة نادرة ليتعرف جانب ضخم من أبناء العالم الإسلامي بعضهم إلى بعض .

سابعاً - تكون الدراسة بمصاريف بالنسبة للقادرين كما هو الحال بالنسبة لأى مدرسة خاصة أخرى ويعفى منها أو من بعضها غير القادرين إذا حققوا نتائج عالية في الإمتحانات .

ثامناً - يعين للمدرسة مدير مسلم ومدرسون أكفاء في موادهم، وإن وجد من الإنجليز مدرسون مسلمون يفضلون على غيرهم في حراسة المواد التى تدرس باللغة الإنجليزية وكذلك الحال بالنسبة للمدراس التى تقام في بلاد تتحدث الفرنسية أو الألمانية أو الإيطالية .

خاتمة إذ رأى السادة أعضاء المجلس أن يحثوا دوفهم على الإسهام فى تنفيذ هذا المشروع فسيؤدون ولاشك خدمة جليلة تذكر لهم ولا تنسى ، ويتم المشروع بعدة إقناع الحكومات الإسلامية به بأن تجمع المبالغ المطلوبة لإقامة البناء والإنفاق على المدرسة وما بها من مدير ومدرسين وموظفين وعمال وأجهزة صيانة وما إلى ذلك ويمكن الإهتمام فى عملية الإنفاق بما تتبعه المدارس الخاصة الأخرى هنا أو فى بلادنا .

هذا وأسأل الله التوفيق إلى خير العمل
كان هذا هو المشروع الذى قدم منذ ستة عشر عاما وقد أخذه كثير من المسؤولين وحولوه إلى حكوماتهم وحوله بعضهم إلى منظمة دول المؤتمر الإسلامى بجلنة .

ولازال هذا المشروع يحتاج إلى من يضعه موضع التنفيذ فى كل بلد فيه أقلية إسلامية، ولعل مؤتمركم الموقر يعطيه دفعة إلى الأمام فيتحقق الحلم الذى طال إنتظاره، ويكون قد خطا خطوة عملية فى وضع السياسة التى نجتمع من أجلها فى مؤتمرات أخرى مماثلة موضع التنفيذ .

ثاني هذه العقبات عدم توفر الإمكانيات المادية التي تساعد على قيام المؤسسات الدعوية في الغرب بواجباتها، وخضوع ما يتيسر من الإمكانيات لبعض الصلات الشخصية التي تترتب على لقاء بعض العاملين في حقل الدعوة هناك بمن عندهم مقدرة مالية يعرف منه عجزاً في ناحية ما فيقدم له من العون ما يسد ذلك النقص سدا مؤقتاً، ولكن لا يمثل إستمراراً لتحقيق سياسة طويلة الأمد في هذا المجال، ومرجع هذا النقص إلى عدم وجود خطة بعيدة المدى تلبي إحتياجات الدعوة من النشرات والكتب التي يحتاجها العمل في ذلك الميدان وأذكر أنني أثناء عملي في لندن كنت أتحول في بعض الأسواق العامة التي تنصب في أحياء مختلفة من لندن يوم السبت من كل أسبوع فلقت انتباهي منظر قسيس يدعو الناس إليه ويعرض عليهم بعض المطبوعات فدنيت منه أنا وصاحبي ومدعنا أيدينا إليه فأعطى كل واحد منا نسخة من الإنجيل مطبوعة طبعاً أنيقاً على ورق فاخر ومجلده تجليداً ممتازاً وتفهرس الرجل في وجوهنا فعرف أننا شرقيون فسألنا عن لغتنا فلما أخبرناه بأنها العربية مد يده إلى مستودع أمامه فأخرج نسختين من الإنجيل باللغة العربية ونسختين من أسطوانته عليها ترانيل باللغة العربية أيضاً وقال لنا إنه لا يريد منا سوى أن نزره في كنيسته وأنصرف وأنا مستغرق في تفكير عميق في كيفية استغلال هؤلاء لكل الظروف وتوافر الإمكانيات التي تيسر لهم العمل في خدمة أهدافهم وعجبت كيف يتيسر هذا القسيس في قلب لندن نمخ الإنجيل واسطوانات الترانيل باللغة العربية، والمركز الإسلامي قائم في قلب لندن منذ سنوات وليس لديه من ترجمات القرآن الكريم إلا نسخ معدودة في المكتبة لمن يتردد عليها للقراءة فيها . ولا يستطيع القائمون بالعمل في المركز أن يقدموا نسخاً من ترجمة القرآن لمن يطلبونها من أفراد وهيئات ومؤسسات وكشفت هذه المصادفة العابرة عن النقص الخطير الذي نواجهه فإذا طلبنا مطبوعات من بلد جاءتنا مطبوعات باللغة العربية أغلبها دعاية للحكام وأصحاب السلطان، وإن كنا قد استطعنا بعد ذلك أن نحصل على أعداد وفيرة من ترجمات القرآن الكريم بعث بها بعض المحسنين في العالم العربي لما بلغتهم قصة القسيس وما لديه من إمكانيات، ولكن ذلك يكشف عن أن تصرفاتنا في مجال الدعوة بعامه إنها هي رذود فعل لأحداث عارضة تثير الحمية والحماس ثم لا تلبث أن تقتر ويعود الأمر إلى ما كان

عليه، والذي ينبغي أن يكون أن ينطلق العمل الإسلامي بعامته والدعوى بصفة خاصة من خطة ثابتة طويلة الأمد يتتابع على تنفيذها كل من يعمل في تلك المجالات ويحكمها تنسيق عام بين المؤسسات العاملة في حقل الدعوة ونتيجة لإنعدام خطة ثابتة ينطلق منها العمل الإسلامي تجتهد الأماكن التي تتعرض لظروف غير عادية نتيجة لأحداث طبيعية كونيّة كالزلازل والبراكين أو لأحداث من صنع الإنسان كالحروب التي تنشأ بين بعض الدول وتعرض الكثيرون لأهوال الحرب وويلاتها فيفرون إلى أماكن يلجئون إليها يحتاجون فيها إلى رعاية صحية أو مساعدات في الطعام والإقامة والكساء في هذه الظروف تجتهد الذين يقدمون هذه المساعدات هم رجال المؤسسات الكنسية ونادراً ما تجتهد مؤسسة إسلامية يكون لها وجود وسبب ذلك أن الآخرين ينظفون حسب خطة مرسومة موضوعة تعطى الإنطباع بأنهم هم الذين يمولون هموم البشرية ويسعون للتخفيف عن ويلاتها، وليسوا أكثر من مالاً ولا عدداً، ولكنهم أحسن تنظيمًا وإعداداً تجتهد آثارهم في أفغانستان وبنجالدش والصومال وليتان وسواها من المناطق التي تتعرض لويلات الحرب والدمار وليس يخفى على أحد الإنطباع الذي يتركه هذا التصرف في نفوس الجياع والمرضى والذين فقدوا ديارهم وإستقرارهم وأعتقد أن بعضاً منكم قد تراسى إلى سمعه بعض أنباء هذه الصفة الغريبة التي تمت في الصومال عقب الحرب بينها وبين الحبشة والتي نتج عنها عدد كبير من اللاجئين إلى الصومال بعد أن اجتاحت الحبشة مناطق مكنهم، فقد تقدم قسيس بلجيكي إلى المسؤولين الصوماليين بأن يتولى رعاية عدد من أطفال اللاجئين وتمت الصفة بتسليمه أكثر من ثلاثين ألف طفل من أطفال المسلمين يرعاهم ويربهم ويعلمهم، فعلا سيربهم على تعاليم الإسلام أم تعاليم المسيحية؟ وماذا سيعلمهم القرآن أم الأنجيل أعتقد أن الإجابة معروفة للجميع، ولكن لا لوم عليه ولا غبار فهو رجل مخلص لدعوته يتنمها بكل الوسائل، ونحن مفرطون في واجباتنا مشغولون بأنفسنا وأجدادنا الفارغة، ينطبق علينا قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وهم عذاب أليم ﴾^(١) وقس على ما حصل في الصومال ما يحصل في بلدان كثيرة من بلاد المسلمين ونحن غافلون، والأمر جد سهل لو صدقت النوايا

وصحت العزائم ، فلوا انتهزنا فرصة هذا المؤتمر وأنشأنا المجلس العالمى للدعوة وسعينا إلى أن نجمع له من سرة المسلمين رأس مال يقدر بمليار دولار توظف فى إستثمار حلال وينفق من ريعه على إحتياجات الدعوة فى الشرق والغرب فإننا ستتمكن بعون الله من التواجد فى كل طرف من أطراف الأرض المسلمة نحمد الكل ونكسب المعدوم وتعين على نوابب الدهر، وتقدم الطعام للجائع والكساء للعارى والمأوى للطريد والأمن للخائف والعلاج للمريض والعامم للجاهل .

ولأقرب صورة التصرف للاخوة الفضلاء إننا إذا وفقنا إلى الحصول على هذا المال بإسم الهيئة المقترحة وأنشئ لها مجلس عن يقع الإختيار عليهم من العاملين المخلصين ووظف المال كما اقترحنا فإنه لن يأتى بعائد سنوى أقل من مائة مليون دولار نستطيع أن نقيم فى أفريقيا وآسيا مائة مؤسسة سنوية بها مدرسة ومستشفى ومجد ومجلات أخرى للعمل تنتج وتستوعب عددا من الأيدى المسلمة العاملة، وفى غضون عشر سنوات ستستطيع بعون الله أن تلبى الحاجات الملحة للمسلمين وتبدأ فقيم لهم المصانع والمؤسسات الإنتاجية بعد أن تحصنهم بالقيم الدينية فى المساجد، والمعرفة النافعة فى المدارس والسلامة الصحية، فى المستشفيات، ثم تنطلق بعد ذلك إلى دعوة غير المسلمين الذين سيرون الصورة الطيبة المشرقة التى أوجدها الإسلام، فهل يا ترى إلى هذا من سبيل، وما ذلك على الله بعزيز.

ثالث هذه العقبات : إنعدام التعاون بين المؤسسات الإسلامية التى تعمل فى حقل الدعوة وتمد نشاطها إلى العمل الخارجى ومرد ذلك فيما أعتقد هو حب الذات والرغبة فى الإشادة بالجهة التى تقدم المساعدة مما يفسد عليها عملها، وضيع ثمرته وقد يكون السبب المباشر فى ذلك إنعكاس الصراع السياسى بين الحكام على العمل الإسلامى، فىعى كل أن يكون له من يدين بالولاء له فى نظير أن يقدم له بعض العون المادى وقد عانى العمل الإسلامى كثيرا من هذه النزعة وأنفقت أموال على جهات ليس لها عمل إيجابى فى الحقل الإسلامى، وترتب على ذلك أن طغى على السطح أعداد كثيرة اتخذت من الإسلام سلما تصعد عليه إلى أغراضها الخاصة، وتأنخرت مشروعات كان وجودها مفيد أو نافعا للجاليات الإسلامية فى مواقعها،

ولاشك أن هناك مبالغاً لا بأس بها كانت تنفق سنوياً، ولكن جدواها لا يكاد يحس بها أحد لأنها لم تذهب إلى مصارفها الصحيحة وقد لمسنا ذلك أثناء العمل في لندن فاقترحنا أن تؤلف لجنة من ممثلين للدول التي تقدم تبرعات للماجد والمؤسسات الإسلامية في إنجلترا ومعهم ممثل للمركز الإسلامي في لندن توجه إليها الطلبات التي ترد إلى هذا الدول طالبة المساعدة المالية، وتبعث كذلك بما تريد أن تسهم به في العمل الإسلامي في هذا البلد إلى هذه اللجنة وتدرس اللجنة الطلبات المقدمة وتقدر لكل مشروع ما يحتاجه وتقدم ما تراه أولى بالبدء لمبررات تعرفها وتعرضها وبذلك نضمن توجيه المساعدات إلى متحقيها ونساعد على تنفيذ المشروعات الأكثر أهمية، ولكن للأسف لم يؤخذ بهذا الاقتراح ولا زالت الأمور تمشي حسب قناعة المسؤولين في مؤسسة من المؤسسات بحاجة هذا أو ذلك، ولست أعنى بذلك أن كل ما يبذل يمضى بلا فائدة، بل أن أموراً كثيرة تذهب إلى مصارفها الصحيحة وبخاصة بعد أن بدأ نوع من التعاون بين ممثلي السفارات والعاملين في المركز الإسلامي، ولكن الوضع الأمثل لتحقيق أكبر قدر من النفع أن يؤخذ بالاقتراح السابق، لنعم الفائدة ويقدم الأهم على المهم .

هذا هو ما بدا لي أن أعرضه على هذا المؤتمر الموقر وأسأل الله أن يسد خطانا إلى خير العمل فمنه العون وبه التوفيق والسداد .

الهوامش

- ١ - النحل ١٢٥
- ٢ - آل عمران ١٥٩ .
- ٣ - متفق عليه البخارى ١٠/٣٧٥، مسام (١٦٥)
- ٤ - رواء مسلم رقم (٢٥٩٢٣).
- ٥ - الإمتيعات لابن عبدالبريدzil الإصابه ج١ ص ٩٧ وما بعدها.
- ٦ - سورة فصلت ٣٣/٣٤/٣٥ .
- ٧ - آل عمران ١٨٨

المشكلات التي تواجه الدعوة الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه

**الأستاذ الدكتور / عبد الغفار عزيز
استاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة
بكلية أصول الدين القاهرة**

مقدمة وتمهيد :

الدعوة للإسلام دعوة حق ، والحق لا ينتشر بذاته ولا يقوم بنفسه وإنما لابد له من أدوات ووسائل تكفل له الذبوع والانتشار من قوة تقف وراءه ليستمر وسود - وإذا أريد له الرسوخ والثبات فلا بد من الدعم المتواصل وتنويع السبل والوسائل للاقتناع به وبما فيه . مع ضرورة التزام الداعي اليه بالعمل بما يقول . فالدعوة إلى الخير تربية . والتربية المفيدة إنما تكون بالعمل لأنها مبنية على القدوة الصالحة والأسوة الحسنة . وصدق الله القائل : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انن من المسلمين ﴾ .

وإذا كانت الدعوة للإسلام ضرورة في كل وقت ومتجددة بتجدد الزمان وتغير المكان . وتحتاج إلى تخطيط وتنظيم لنشرها والاعلام بها خاصة في هذا العصر الذي اصبح التخطيط فيه للمستقبل ضرورة تحميها الحياة وتفرضها تطلعات الأمم والشعوب - فإن الظروف التي تواجه مجتمعنا اليوم تضي على موضوع الدعوة وإعداد الدعاء وبمعرفة المشكلات والعوائق التي تتعرض لها الدعوة ودعائها . أهمية خاصة لأسباب كثيرة أهمها ما يتعرض له المجتمع الإسلامي من تيارات وأفكار متباينة بفتح الطريق أمامها وسائل الاتصال الحديثة . بالإضافة إلى عدم اهتمام كثير من الدول الإسلامية بما تؤدي إليه هذه التيارات من نتائج . ومع وجود تقصير واضح من بعض الأجهزة المعنية بنشر الدعوة وحمايتها . ورغم ما يبذله بعض الغيورين على الإسلام من داخل هذه المؤسسات وخارجها من جهود للمحافظة على التراث الإسلامي والوقوف في وجه هذه التيارات . فإن التيار الجارف لما تحمله وسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة بالإضافة إلى ما تحمله الأقبار الصناعية والكاسيت والفيديو من أفكار . أقوى من هذه الجهود لأنها جهود غير منظمة ولا تعتمد على الأسس والقواعد العلمية التي تدرس الأسباب والمسببات، ثم تقدم العلاج على أساسها - كذلك فإنه وإن كانت هناك توعية مستمرة عن طريق عدد من الدعاة المخلصين لمحاولة تحصين أبنائنا وبناتنا من الأفكار الهدامة والدخيلة على مجتمعات المسلمين . مع وجود بعض الجهود الفردية لمراقبة ما يدخل إلى البلاد من هذه التيارات والأفكار ومحاولة انتقاء ما يتفق منها مع

تقاليدنا وعباداتنا - فإننا برغم ذلك لازلنا في حاجة إلى جهود أخرى حتى نتمكن من تربية أبنائنا التربية الدينية السليمة وتعليمهم القيم الإسلامية الأصيلة . خاصة من هم في دور النشأة والتكوين . كذلك فإن استثناء بعض السلبيات في سلوكيات بعض فئات المجتمع ولا سيما تلك الفئات التي تتعامل مع جماهير الناس في العمل والتجارة والأسواق ولا نجد هذه السلبيات من الوازع الديني في كثير من الأحيان ما يكفي جماهيرنا يعتبر من مشكلات الدعوة في هذا العصر - ومن مشكلات الدعوة أيضا عدم فهم كثير من شبابنا لأحكام الدين وشريعته السمحاء وقد أدى ذلك إلى تشدد الكثير منهم وتعصب بعضهم تعصبا أعمى لبعض الأحكام التي لم تمكنهم عقولهم من استيعابها وتأثر بعضهم أيضا ببعض المذاهب الهدامة المستوردة - وجاء ذلك بسبب وجود فراغ ديني لم يجد من يسده ومن المشكلات أيضا ظهور بعض اتجاهات نشيطة مناوئة للإسلام في الخارج الأمر الذي يجتم ضرورة التصدي لهذه الاتجاهات بقدر ما تتيح إمكاناتنا ومحاولة تجلية أحكام الإسلام ومفاهيمه بالوسائل العلمية وبالخطيط العلمي . حيث ينقصنا للأسف أسلوب التخطيط والتنظيم الذي نبيغ فيه أعداء الإسلام وكادوا ويكيدون للإسلام عن طريقه - وقد أصبح التخطيط في هذا العصر - للحاضر والمستقبل - ضرورة تحتها الحياة وتفرضها تطلعات الأمم والشعوب - بل إن كتاب الفلاسفة المادية الملحدة لا يفتأون أيضا يرسمون ويخططون لتطلعاتهم اللاحادية بل يدرسون علاج مشكلات تطبيق نظرياتهم على مستوى عالمي . مما جعلني أحس في حالات كثيرة خاصة بعد قراءة بحث من أبحاثهم - بياس كبير وحنوط شديد - لأننا نحن دعاة الإسلام راغبون تماما عن المعركة الحاضرة نعم لا بد لدعاة الحق أن يبحثوا المشاكل التي تعترض طريق دعوتهم ويحاولوا وضع الحلول المناسبة لقضاياها حتى يسايروا عصرهم ويخططوا للمحق ودعوته - لا للمسلمين وحدهم وإنما للتصدير أيضا للعالمين فدعوتهم للعالمين - ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ .

نعم على دعاة الحق أن يحاولوا نشره في كل المجتمعات وجميع المناطق فقد نجح الباطل وللأسف في تصدير أفكاره لكل الناس - وكان العالم الإسلامي هدفا مقصودا من أهداف تصدير هذه الأفكار - وحفلت مجتمعاتنا الآن بكثير من الزيف والفساد واستطاع المخلصون للدعوات الباطلة أن يحولوا بين بعض الشباب وأفكاره الأصيلة وعقيدته

الطاهرة النظيفة وسرى حين تتعرض بالتفصيل لذكر بعض المشكلات التي تواجه الدعوة الإسلامية في هذا العصر أن العلاج يتطلب ضرورة اتخاذ أساليب ووسائل جديدة بالإضافة إلى بعض الوسائل المتعملة الآن . . . نعم لا بد من تغيير بعض الأساليب القديمة التي كانت تتعمل كوسائل قوية للدعوة إلى الإسلام أو الدفاع عنه - فمعظم المشكلات التي تواجه الإسلام الآن هي مشكلات علمية تحتاج الرد عليها وإبطالها إلى لغة العصر ومصطلحاته حيث المصطلحات العلمية والعقلية الحديثة التي يستخدمها المعارضون للمدين .

أما محاولات السابقين لاثبات وجود الله واثبات الرسالة وما يتصل بهما من حقائق ميتافيزيقية فقد وثقت عند جمهور علماء الكلام باستخدام الأجهزة المنطقية التي لم تعد لغتها مفهومة لشباب هذا العصر (مسلمين وغير مسلمين) والتي أصبح مجرد التحدث بها داعيا إلى الملل منها والسآمة من ذكرها . فاجدل الحديث مثلا لم يعد يستغ مناقشة الجوهر والعرض . أو القدم والحديث وإنما أصبح الآن يبحث عن شيء آخر مثل حصة المادة أو العلاقة بين المادة والحركة أو حتمية التطور أو التوقعات العامة لوجود عوالم أخرى غير عالمنا أو غير ذلك من أمور فرضها عليه العلم وأصبحت شغله الشاغل في هذه الحياة . وقد أصبح كل شيء عند كثير من شباب هذا العصر موضع شك وغطت القضايا القائمة على المسلمات المنطقية لأنه أصبح لكل مسلم منطقي نقيض يمكن أن يتحملة العقل .

ولو حاولنا حصر المشكلات التي تتعلق بالدعوة والدعاة في داخل العالم الإسلامي وخرجه لوجدنا أنها كثيرة ومتنوعة وتحتاج إلى مئات الصفحات ولذا غنني أرجو أن أوفق إلى عرض أهم هذه المشكلات ومحاولة تقديم وجهة نظري في حل هذه المشكلات وأسأل الله أن يوفقني لعرض هذا الموضوع العرض المناسب والملائم للإسلام والمسلمين .

د / عبد الغفار عسيز

أصل المشكلات وأساسها :

إذا أردنا أن نعرف حقيقة هذه المشكلات وأسبابها الرئيسية - حتى نتحكن من تقديم الحلول المناسبة لهذه المشكلات - فإنه يتحتم علينا أن نتحدث بصراحة ووضوح دون أن نجامل أو نناقق ولذا فإني أرجو ألا تكون هناك حساسيات عند البعض حين أذكر رأيي بصراحة شديدة في هذه المشكلات التي أعتقد أنه إذا وضعنا أيدينا عليها فإنه بالإمكان تقديم العلاج والوصول بهذا العلاج إلى النتائج المرجوة منه .

وأنا أعتقد أن أهم المشاكل التي تعترض الدعوة الإسلامية في هذا العصر وتعوق مسيرتها الصحيحة تلتخص في أمرين ثم يتفرع عنها بعد ذلك فروع كثيرة .

١ - الأمر الأول :-

جهل بعض حكامنا بأمور الدين وعدم اقتناعهم الاقناع الكامل بقدرة هذا الدين على اصلاح المجتمع .

٢ - وجود التعصبات المذهبية بين المسلمين وتعدد هذه المذاهب وتعصب أصحابها لها ولأقوال رؤسائهم وقادتهم إلى حد جعلهم يناصبون أتباع المذاهب الأخرى العداوة الشديدة ووصل الأمر إلى حد تفرغ بعضهم لنشر معتقداً انه والرد على فكر وأقوال الآخرين . فانشغلوا جميعاً بذلك عن نشر الإسلام والدعوة إليه واقناع غير المسلمين به بل أدت هذه التعصبات المذهبية إلى تشتت فكر الناس وتطرف بعض الشباب وضياع حقيقة الدين والابتعاد عن أصوله ومناهجه البسيطة السليمة - ولا أعنى بهذا مجرد الخلاف بين أهل الشيعة وأهل السنة - وإنما وصل الخلاف بين أبناء المذاهب من أهل السنة إلى حد أدى إلى تشتت المسلمين وتفرقهم وتأخرهم .

وبعض هذه الخلافات هي خلافات شكلية في حقيقتها لكنها عند بعضهم أصبحت من أصول الدين وقواعده - وقد نتج عن تمسك أصحاب هذه المذاهب والأفكار بمذاهبهم وآرائهم جمود في التفكير الإسلامي والثقافة الإسلامية فبرغم التطور الهائل الذي يعيشه العالم لازلتنا نجد بعض المسلمين يشكون بأمور تافهة تسبب عنها تشويه صورة الإسلام

ذاته عند المسلمين وعند أعدائهم واستغل هذا الأعداء الإسلام من غير المسلمين ومن يسير في فلكهم ممن يطلقون على أنفسهم اسم المثقفين من المسلمين ليثبتوا عدم صلاحية النظام الإسلامي للتطبيق في هذا العصر. ووجدنا بعضهم يتندربا اعتقده هؤلاء المسلمون وبما انشغل به بعضهم لنشره بين المسلمين، لاقتناع غيرهم به فقد تمسك بعض الأقدمين من المسلمين باطلاق كلمة [البدعة المحرمة] على كل ما لم يكن معروفا في أيام النبي صلى الله عليه وسلم حتى وصل الأمر إلى أن أفتوا بتحريم تعلم اللغات الأجنبية والأكل بالملعقة ولبس القبعة وغير ذلك من الأمور الدنيوية الفرعية - مع أننا لورجعنا إلى حقيقة الشرع الإسلامي لوجدنا أن تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم لا تنزح المسلمين باتباعها الا اذا كانت تتعلق بالدين والأخلاق وما يتفرع عن ذلك - أما ما يتعلق بأمور الحياة الأخرى ومعايش الدنيا الفرعية التي لم يردفها نقص في القرآن أو السنة أو في اجماع الصحابة فقد ترك للناس أن يتصرفوا فيها بما يتناسب مع ظروفهم وأحوالهم وأزمانهم .

أهم العوائق والمشكلات التي تعوق مسيرة الدعوة الإسلامية والبلوغ بها إلى أهدافها ومرايمها الحقيقية والتي تتفرع عن الأمرين السابقين :-

لقد كان من أسباب ازدياد وسائل الحضارة وتنوع أشكالها وسهولة محاكاتها اتجاه كثير من الشعوب للتكر نهائيا من ربة تقاليدها والتكر لعاداتها القديمة حتى وان كانت هذه العادات مما يدخل تحت اسم الدين والذي ينظر إليه بعض المثقفين الآن على أنه (موضة قديمة) - فقد وصل الأمر بأحد هؤلاء المثقفين وهو ممن يتمون للإسلام اسما وهو حاصل على درجة الدكتوراه من ألمانيا الشرقية الشيوعية . أن قال لأحد الصحفيين - المصريين الذي كان في زيارة لألمانيا سنة ١٩٦٧م قال له هذا المصري (المثقف) انه لن يعود من ألمانيا إلا عندما يتأكد عمليا أن المصريين سيؤدون التحية وقوفا وتعظيما أثناء مرور كتب ماركس - ولينين - ولما قال له الصحفي المصري (إن القرآن الكريم سيظل وحده الكتاب الذي يعظمه من في مصر أو خارج مصر في العالم الإسلامي) كان رد الدكتور المسلم (الشيوعي) (إن هذا القول دليل على التخلف ودليل على أنك ما زلت أسيرا لفكر الأخوان المسلمين والسلفيين - وأن هذا الفكر تجلوزه التاريخ وأن الدول التقدمية عندما تخلصت من هذه الغيبات بفضل الأحزاب الشيوعية انطلقت تبني الاشتراكية بنجاح ودون معوقات] - كما

أن الصحف والمجلات العربية (الإسلامية) تطالعنا كل يوم بمقالات لكتاب مسلمين
ومن شغل بعضهم مناصب كبيرة في القضاء والجامعة والصحافة وفي هذه المقالات يحاولون
البيات ضرورة انفصال الدين عن الدولة . وكيف أن الدين لم يعد صالحا لقيادة الناس في
هذا العصر ويدعون أن تطبيق الشريعة سيؤدي إلى كثير من المشاكل والخلافات خاصة بين
المسلمين والمسيحيين ولنا فهم يرون أن الأوفق والأصلح لهذا العصر هو جعل النظام
السياسي نظاما علمانيا . وإبعاد السياسة عن الدين إبعاده كاملا . وفي المقابل ترى ردة
الفاعل عند بعض المتشدد من المسلمين . فنراهم ينادون بها باسمونه (إقامة الحكم
الإسلامي الكامل) ونفاجأ بأن هذا النظام الذي يطالبون به نظام خيالي مثالي .

١ - مسؤولية الأجهزة التعليمية : -

الحقيقة التي يجب أن نقال أن المسؤولين عن التعليم والثقافة والاعلام في الدول
الإسلامية مسئولون مسئولية كاملة عن هذا الانحراف وعدم فهم الناس لحقيقة النظام
السياسي في الإسلام . فمدارس وجامعات معظم البلاد الإسلامية خاصة مصر تغفل
تماما تدريس النظام الإسلامي بجوانبه الثلاثة (العقدية والسياسية والاقتصادية) وقد
وضع الاستعمار مناهج التعليم في مصر والبلاد الإسلامية الأخرى التي استعمرها
ورويج لفكرة انفصال الدين عن الدولة وعمق هذا المفهوم في عقول الشباب والتعلمين
حتى اقتنع كثير من يطلق عليهم اسم (المثقفون) بأن الإسلام مجرد عبادة وقربى وفناء
في ذات الله وأنه لا صلة له بأمور الحياة الأخرى وأن سيطرة الدين على الدولة سيؤدي
الى التخلف والانحطاط والجمود وحاول الاستعمار أن يقارن بين حكم الإسلام
وحكم الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى . لاثبات ما ادعاه حتى وجدنا الآن
من يرفض النظام الإسلامي بحجة أنه نظام حكم المؤسسات الدينية التي تنزع من
الناس حقوقهم في اختيار الحاكم أو النواب تحت اسم الحق الإلهي الذي خونه لهم
الإسلام - وقد تصادف ظهور مثل هذا النظام في ايران فظهر من الكتاب عن عرفوا
باعتناقهم لافكار ومبادئ يسارية . من يحاول إفهام الناس بأن هذا هو النظام
الإسلامي الذي يطالب به دعاة تطبيق الشريعة الإسلامية مع أن نظام حكم
المؤسسات الدينية يرفضه الإسلام تماما ولا يمت إلى الإسلام بأية صلة .

وما يزيد في جهل العامة بالنظام الإسلامي الصحيح بالإضافة إلى عدم تدريسه في المدارس والجامعات سيطرة كثير من أصحاب المبادئ المناهضة للإسلام على وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة وتصوير النظام الإسلامي للناس تصويرا مخالفا لحقيقته بالإضافة إلى منع العلماء وأصحاب الفكر من الإسلاميين الحقيقيين من الكتابة في الصحف خاصة الصحف المنتشرة بين الناس والتي تسمى بالصحف القومية ومنعهم من شرح وجهة النظر الإسلامية الصحيحة بناء على تعليقات الرسميين الذين يرون لرواج هذا الفكر ضرورة تغيير كثير مما الفوه واعتادوا عليه - كما أن هؤلاء الرسميين يتصورون أن هذا النظام الإسلامي سيؤدي بالقطع إلى ابعادهم عن السلطة واخضاعتهم عن الأضواء هذا مع وجود القوانين التي تقف في وجه الدعاة وأئمة المساجد لتضمنهم من التعرض لذكر هذه الأمور التي يرون أنها تعرض النظام كله للخطر والانهيار.

أما علاج هذه المشكلة فيتلخص في ضرورة ضبط العملية التعليمية وجعل مادة الدين مادة أساسية في البلاد التي لا تفعل ذلك كمصر مع وضع المناهج المناسبة والملائمة لفكر وعقول الطلاب وتدريب مادة الفكر الإسلامي أو الثقافة الإسلامية بالجامعات . والاهتمام بالنظم الإسلامية على وجه الخصوص خاصة النظام السياسي والإداري . حتى يكون الناس على بينة من دينهم وحتى لا نجد هذا الخلاف والاختلاف بين الناس في هذا الموضوع الخبوي الكبير . والذي أدى عدم فهمه إلى وجود الرافضين له والمغالين فيه . واستكمالاً هذه الجزئية وتوضيحاً لما اختلف فيه الرافضون والمغالون - يجدر بنا أن نرد عليهم بوجهة النظر التي نعتقد أنها والتي نرى أنها لو سادت وانتشرت ودرست في المدارس والجامعات لقدمت حلاً لهذا الخلاف ودفعت عن النظام الإسلامي تهمة عدم صلاحيته للتطبيق في هذا العصر فلا بد من أن يعرف الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه أعطى حق التشريع وتقعيد القواعد والقوانين للدولة الإسلامية التي كان تأسيسها جزءاً من رسالته هذا الرسول وبرغم هذه الخصوصية التي أعطيت له إلا أنه صلى الله عليه وسلم لم يتعمل هذا الحق المطلق في سياسة الناس وقيادتهم وإنما جعل له المستشارين الذين يشيرهم

ويأخذ برأيهم في معضلات الأمور وبخاصة فيما لم ينزل فيه نص أو فوض من قبل السماء فكان يتشير أصحابه ويأخذ بأرائهم امثالاً لقول المولى سبحانه ﴿وشاورهم في الأمر﴾ .

وكان يقبل رأى الغالبية حتى وإن خالفت رأيه شخصياً وقد حدث ذلك قبل معركة أحد واضطر للخروج بناء على رأى الأغلبية رغم أنه كان يرى أن بقاء المسلمين في المدينة أفضل والتاريخ يروى لنا كثيراً من الحوادث التي يبين كيف كان النبي يتشير أصحابه فيها ويأخذ برأى أهل الخبرة والتجربة فيما لم يرد فيه نص - كما يحكى التاريخ أيضاً كثيراً من أمثال هذه المواقف، للخلفاء الراشدين الذين اعتمد حكمهم على الشورى وكانت كل تصرفاتهم محدودة بحدود الشريعة الإسلامية ومراقبة من نواب الأمة ممثلها المنتخبين من الأمة الإسلامية - والذين كانوا يعرفون في ذلك باسم أهل الحل والعقد وهم يمثلون الآن، في عصرنا الحاضر المجالس التي تشرع للأمة قوانينها وتراقب السلطة حين تنفيذ هذه القوانين لو كان النظام السياسى الإسلامى يدرس في مدارسنا وجامعاتنا لعرف الناس أن هذا النظام لم يحدد طريقة معينة ثابتة لحكم الناس وإنما وضع القواعد والأصول العامة التي تتسع لكثير من الأنظمة التي تصلح لكل العصور والأزمنة وراعى التشريع الإسلامى فيها حاجة الناس إلى التجديد والتغيير والابتكار كما راعى اختلاف ظروف الناس وبيئاتهم وأزمنتهم .

لو عرف الناس ذلك لما وجدنا هؤلاء الرافضين للشريعة الإسلامية وما وجدنا هؤلاء المغالين فيها المشوهين لصورتها الطاهرة النقية .

والحقيقة أن كثيراً من استدالات المغالين في النظام الإسلامى - استدالات خاطئة فعلاً - وأن تشددهم وتمسكهم بنظام محدد معين لا يتغير يخالف طبيعة الإسلام فعلاً ويتناقى مع صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان .

فالإسلام باختصار شديد له جوانب ثلاثة كبرى (الجانب العمدى - والجانب السياسى الاجتماعى - الجانب الاقتصادى) أما الجانب العمدى فهو الأصل والأساس وهو عبارة عن العبادات والفرائض التي لا خلاف فيها ولا اجتهاد في نصوصها لأنه

(لا اجتهاد مع النص) أما الجانب السياسى والجانب الاقتصادى فقد وضع الإسلام لهما قواعد عامة فقط طالب المسلم بتحقيقها الا أنه ترك لهم حرية التصرف في وسائل هذا التحقيق بما يتناسب مع الزمان والمكان والبيئات وبما يحقق مصالح الناس على ألا يخرجوا على القواعد العامة الموضوعة لأن ما يصلح لعصر قد لا يصلح لعصر آخر - وما يصلح لبلد قد لا يصلح لبلد آخر. ولذا كانت الحكمة من عدم تقييد الناس بنظام سياسى محدد أو معين، واكتفى بوضع القواعد العامة التى يتحتم تنفيذها كالشورى - والحرية والعدالة والمساواة - والحقوق - والواجبات - واختيار الحاكم عن حرية واختيار - وأما أساليب التطبيق فكما قلنا تترك لظروف الناس وتحقق المصلحة.

ولو جاء واحد من الناس ليقول ان الإسلام يمنع الانتخابات بصورتها المعروفة الآن لأنها لم تكن موجودة في عهد النبي ولا أصحابه - والقرآن يمنعها حيث يستدلون بقول الله تعالى : ﴿وان تطع اكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ . وعلى هذا فان حكم الغالبية من وجهة نظرهم مرفوض في الإسلام وهم يرون أنه لا بد من وجود ما يسمى بالامام أو الخليفة وأن طريقة اختياره لا يصح أن تكون عن طريق الانتخابات المعروفة حالياً لأن ذلك (كما يقولون) لم يحدث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه من الخلفاء الراشدين .

نقول لهم ونقول لهؤلاء الذين يستدلون بهذه الآية على تحريم الانتخابات بأن استدلالهم استدلال خاطيء وهو في غير محله فالآية تقرر بأن الرسول صلى الله عليه وسلم ان أطاع اكثر من في الأرض اضلوه عن سبيل الله وهذا صحيح فان أكثر من في الأرض هم الكفار - والكفار لا تعنيهم مصلحة الإسلام ولا المسلمين بل هم اعداؤهم ويسعون لاضلالهم وفساد احوالهم وشؤونهم - أما المسلمون فالمفروض فيهم أنهم أعوان لأنفسهم على الخير لا يشيرون الا بخير ولا يساعدون الا من أجل المصلحة العامة والخاصة فهم يتعاونون كما علمهم القرآن على البر والتقوى لأعلى الاضلال والفساد لأنهم بنص القرآن اخوة - والأخ لا يظلم أخاه - ولا يفسد عليه حاله ويرجوه كل خير.

ولو كانت هذه الآية قاعدة لكل الناس لفسدت الحياة وما استطاع الناس أن يقدموا خيرا ولا أن يتقدموا إلى الخير.

ثم ما هو البديل الذى يمكن أن يقدم لتحقيق مصالح المسلمين غير هذه الطريقة التى ثبت بالدليل العقلى والعمل أنها كانت أنجح الطرق لتحقيق مصالح الأمة ثم كيف نختار هذا الامام أو الخليفة؟ وهل نستطيع أن نقنع الناس جميعا بتليم انسان ما أيا كان هذا الانسان وأيا كانت قدراته إمامة هذه الأمة أو قيادتها باجتماع الأمة.

ان الله ذاته وهو خالق هذا الكون يكفريه كثير من الناس وأن المرسلين مع صدق دعواتهم وتفانيهم لتحقيق مصالح الناس لم يؤمن برسالاتهم الا القليل ممن أرسل اليهم وكان أكثر الناس رفضا اقرارهم وعليتهم فكيف نجد في هذا العصر المشابك المصالح المتغير الأحوال من يرضى ويقبل تولية واحد بعينه يتنازل الناس عن طيب نفس ودون مناقشة أو اعتراض ليتحدث باسمهم ويتولى أمورهم وشؤونهم ولا يفرض عليهم ما يراه هو بصرف النظر عن قبولهم أو رفضهم.

لا شك أن هذا أمر صحتيل .

فإذا اذن لو اختلف الناس فيمن يتولى أمرهم ويقوم على رعايتهم والعناية بشؤونهم؟ ماذا لو طالب عدد من كبار الزعماء أو العلماء بمنصب الامامة أو الرئاسة؟ وكل واحد منهم يرى أنه صاحب حق فيه وأولى من غيره فلنن نرضخ؟ وعلى أى أساس نقبل واحدا منهم؟ وبكى أسلوب نوصله للحكم ومع كل واحد اتباع وأعوان يرغبون في سيطرة زعيمهم أو رئيسهم؟ لا شك أننا لن نستطيع اجبار هذه الجماعات ولا رؤسائهم بالتنازل لأحدهم ومبايعته بالحكم لأن كل واحد منهم يرى أنه أقدر من غيره على خدمة الإسلام والمسلمين هذا اذا أبعدنا عنه شهوة السلطة التى يعتبرها علماء النفس غريزة متأصلة في كل الناس - ووحدة الأمة وعدم السماح بوجود أكثر من جماعة تحتم ضرورة فرض هذه الجماعة الواحدة والزعيم الواحد عن طريق القوة التى قد تكون ظالمة يقودها ظالم لا يراعى الله ولا مصلحة هذه الأمة . وفي هذه الحالة ستمود الديكتاتورية بدل الشورى ويحكم الناس عن طريق فرض رأى الواحد الذى

لا يسمح بالمشاورة ولا بقبول النصح أو النقد أو الاعتراض، وسيصبح الحاكم فرعوناً ويصبح المحكومون عبيداً للحاكم أذلاءً للسلطان - ثم من يضمن أن يكون هذا الحاكم ملتزماً بمبادئ الدين منفذاً لشرع الله وتعاليمه .

ولما كان اجتماع الناس على رجل واحد ليكون اماماً أو حاكماً لهم مما يصعب حدوثه وكان تنازل من يرغبون في هذه الامامة مما يصعب تحقيقه أيضاً لم يكن هناك بد من اختيار واحد من المتقدمين لتولى هذا المنصب الخطير عن طريق الانتخاب أو الاقتراح بين المرشحين ان كانوا اثنين أو عن طريق يرتضه الناس ويتفقوا عليه جمهورية أو رئاسة أو ملكية أو خلافة فالأسماء لا تهم .

وليس هذا الرأي جديداً على علماء المسلمين وقد قال برأى الترجيح بالكثرة الإمام الغزالي حيث قال : -

أنهم لو اختلفوا في مبدأ من الأمور وجب الترجيح بالكثرة وأوضح السبب في ذلك حين قال (الكثرة في الاتباع والاشباع وتناصر أهل الاتفاق والاجتماع أقوى مسلك من مسالك الترجيح) .

وهذا الكلام للغزالي يتضمن تقرير مبدأ عظيم وهو مبدأ الترجيح بالأكثرية وهو نفس مبدأ الأغلبية الذي تقوم عليه الديمقراطيات الحديثة . وهذا دليل قاطع على أن التفكير السياسي في الإسلام قد أدرك هذا المبدأ من قرون عديدة - ومبدأ الانتخاب أو الاختيار عن طريق الأغلبية لا يمنعه الإسلام بل أرى أنه أفضل طريق وأضمنه للاختيار والترجيح ويقول الإمام الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية) بمناسبة البحث عن الحكم عند اختلاف أهل المسجد حول اختيار الإمام في الصلاة يقول : -

(ويكون أهل المسجد أحق بالاختيار وإذا اختلف أهل المسجد في اختيار امام عمل على قول الأكثرين) .

ثم لماذا نذهب بعيداً ألم يوعى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يلتزموا الجماعة عند الفتنة ؟ والفتنة هي الاختلاف، والجماعة هي الأغلبية ؟ كما أن علماء الفقه

حين يتناولون كل مسألة من مسائله يقررون ما يرونه الأقوى والأرجح ويقولون هذا حق (رأى الجمهور) ويقولون (هنا هو المعتمد) ولا معنى للجمهور إلا أنه رأى الأغلبية من العلماء .

هذا ما يتعلق بعملية الاختيار للحاكم أو النائب أو الإمام ويرى علماء الإسلام أنه لا بأس من أخذ رأى فيها عن طريق الأصوات وهو ما يعرف في عصرنا الحاضر بالانتخاب - وعلى هذا فليس لواحد من الناس أن ينفى حق الناس جميعا في اختيار الحاكم أو من يمثلهم في المجالس التشريعية أو غيرها - وليس له أن يقول أن الإسلام لا يعترف الا بنظام البيعة التي بقصرها على أهل النظر والاجتهاد أو أهل الحل والعقد اعتادا على ذلك الذى كان يحدث في عهد الخلفاء الراشدين لأن ظروف المجتمع الإسلامى الأول هي التي فرضت ذلك .

وإذا كان مجلس شورى النبى صلى الله عليه وسلم لم يتم اختياره بطريق هذا العصر وأعضاؤه من السابقين الأولين للإسلام ومن المتحنين المجودين الذين نبغوا في جماعة المسلمين فيما بعد وحازوا بذلك ثقة النبى صلى الله عليه وسلم وثقة سائر المسلمين فاننا يمكن أن نقول إن انتخابهم قد تم بطريق فطرى حيث حازوا على ثقة القبائل المسلمة - ولوتقدموا هم أنفسهم بطرق هذا الزمان ما انتخب رجل من غيرهم أبدا .

لقد عرفت عن مجالس الشورى بعد ذلك في عهد الخلفاء وهم الذين كان يطلق عليها اسم (أهل الحل والعقد) أنها ضمت إلى جانب هؤلاء السابقين للإسلام عناصر جديدة من الذين قاموا بأعمال جليلة ومهيات عظيمة في المئون العسكرية والسياسية ودعوة الناس إلى الدين بالاضافة إلى عناصر أخرى ممن نالوا شهرة عظيمة بين الناس من حيث تعلم القرآن وفهمه والتفقه في الدين حتى أصبح عامة الناس يعتمدون عليهم في الدين أكثر من غيرهم بعد النبى صلى الله عليه وسلم .

وكانت مكانة هؤلاء الناس وشهرتهم هي السبب في عدم منافسة أحد المسلمين لهم في أى قطر من أقطار المسلمين واعتبروا متخين من الأمة بطريق فطرى ولو أنهم

أرادوا اعلان الانتخاب لم يرغب من الناس ورشحوا أنفسهم مع غيرهم ما اختارو الناس سواهم . وربما أراد الله سبحانه بذلك ترك المجال لأمة الإسلام أن تختار ما يناسبها من طرق اختيار أهل الشورى (النواب) بالطريق الذى يعجبهم فترك اختيار هؤلاء الممثلين فى عهد النبى وخلفائه يتم بالطريق الفطرى دون تحديد لنظام معين حتى لا يلزم المسلمون به - ولذلك لا يوجد نص فى القرآن أو فى السنة يحدد ذلك أو يوضحه وانما كما قلنا كانت هناك فقط القواعد العامة للنظام السياسى الذى طوّل المسلمون بها دون تحديد للتفاصيل وذلك لاثبات أن الإسلام صالح فعلا لكل زمان ومكان - ولهذا فان المدارسين للدولة الإسلامية الأولى (عصر الرسول والخلفاء) يلاحظون أن التعاليم الإسلامية المنظمة للمجتمع فى أوضاعه السياسية والاقتصادية والدولية قد جاءت فى صيغ كلية وتوجيهات عامة غير مفصلة - حتى لا تتفقد الأجيال المقبلة بهذه التفصيلات والتطبيقات - بل تركها حرة تقبّس ما يتلاءم مع حاجاتها زمانا أو مكانا . اءام يسود الوضع الذى اختارته هذه التعاليم الكلية بوجه عام وينبثق عن توجيهاتها .

ولابد أن نعرف أنه كان لابد من هذه المرونة لأن المجتمعات متغيرة متطورة ولكل جيل أن يتبين الهدف من التعاليم الإسلامية فى شئون الحكم وشئون الاقتصاد وأن يراعى المحيط الدولى الذى يعيش فيه وبعد العاءة لمواجهة اخطاره حتى لا يعيش المجتمع الإسلامى فى عزلة عن المجتمعات غير الإسلامية .

وإذا كان الإسلام قد جعل الشورى اساسا من أسس النظام الإسلامى اذ أنه لم يحدد نظاما معيناً لتطبيق هذا المبدأ . بل وجدنا الخلفاء الراشدين أنفسهم تختلف اساليبهم فى تطبيق الشورى التى جاء بها القرآن وجعلها اساسا من أسس نظام الحكم فى الإسلام وذلك لأنها جاءت فى صيغة كلية حيث قال القرآن الكريم (وأمرهم شورى بينهم) .

قد اختلفت اساليبهم فى تطبيق أخذ مقتضيات هذه الشورى فى أهم أمر من الأمور وهو اختيار رئيس الدولة بين تولية ابي بكر ثم تولية عمر ثم تولية عثمان ثم علي

ومع ذلك وبرغم هذا الاختلاف، فقد طبق نظام الثوري في اختيار رئيس الدولة .

وكان هذا الاختلاف في طريقة اختيار الحاكم وفي بداية التطبيق لنظام الحكم الإسلامي - تعليماً بل تشريعاً للناس - وفي فترة قصيرة لا تتجاوز الثلاثين عاماً ولقد اختلفت أساليبهم أيضاً في تأمين سلامة الدولة وتأمين الدعوة الإسلامية وفي حروبهم الداخلية وتأمين حدود الدولة واضطرارهم للدخول في حروب خارجية اضطرتهم إليها مقتضيات المحيط الدولي المعاصر - إلا أن الهدف من كل هذه الجهود كان واحداً وهو تأمين الدعوة والدولة وكل ذلك تنفيذاً لفريضة إسلامية هي فريضة الجهاد في سبيل الله .

وعلى ذلك فإنا نستطيع أن نقول بأن أي نظام يختاره الناس للدولة سواء صدق عليه ما يصدق على النظم الداعية المعروفة - أو كان نظاماً خاصاً مبتكراً لم تعرفه الشعوب سواء كان هناك وزارة برلمانية أو غير برلمانية وسواء كان هناك دستور مكتوب أو غير مكتوب وسواء كان نظاماً ملكياً أو جمهورياً رئاسياً أو غير رئاسي - فهو نظام يقبله الإسلام مادامت تطبق الأصول والتعاليم الكلية الإسلامية - وعلى المؤمنين بهذه التعاليم والتوجيهات أن تبادر إلى وضع النظم التنظيمية لها مهما كانت هذه النظم بالطريقة التي تعجبهم مادامت كفيلة بتنفيذ هذه التعليمات والتوجيهات في مجالات الحياة بما يتلائم مع احتياجات العصر ومع التقدم أو التخلف العمراني الذي وصل إليه وإلا صارت هذه التعاليم الكلية مجرد مواظب قد لا يعيرها الكثيرون اهتمامهم وتكون عرضة لعبث التفسير من الذين يسوؤهم تطبيقها الصحيح .

اشتمال كتب التاريخ على كثير من الأباطيل :

من العوائق والمشكلات التي تعوق مسيرة الدعوة الإسلامية اشتمال كتب التاريخ على كثير من الأباطيل - وتقصير المصلحين في تحقيق وقائع التاريخ الإسلامي . وعلم تنقية كتب التاريخ مما ملئت به من الأباطيل الأمر الذي أدى ببعض الحاقدين على الإسلام من أعدائه ومن بعض من يتبنون إليه من أصحاب الاتجاهات الفكرية

المنحرفة - إلى أن يصور الصحابة في صورة لا تتفق أبدا مع مكانتهم ومنزلتهم فأدى ذلك إلى تأثر كثير من الشباب بهذا الفكر المنحرف . وسقطت هبة هؤلاء الصحابة عندهم لأنهم صدقوا ما نقله هؤلاء من كتب التاريخ وما فيها من اتهام هؤلاء الاطهار في ذمهم وشرفهم - مع أن الناس يعتبرونه قديتهم ومثلهم الأعلى - تماما كما صنع اليهود مع أتباع موسى وعيسى حين نسبوا إلى كثير من أنبياء بنى اسرائيل ارتكابهم الكثير من الكبائر كالزنا وشرب الخمر والكذب والخداع وتقرب بعضهم للأوثان فأدى ذلك الى انتشار كثير من هذه الرذائل عند اليهود والنصارى وأصبحت شيئا عاديا عند العامة والخاصة بعد أن صدقوا ما نسب إلى أنبيائهم بعد أن ضمته دفتى كتابهم المقدس (العهد القديم) - ولعل كتاب (علي امام المتقين) للكاتب الماركسي عبدالرحمن الشرقاوى خير مثال على اتهام الصحابة بتهم كثيرة يصل بعضها إلى حد الكذب والتدليس والتفاهق وغش المسلمين .

ولهذا فإننى هنا أفرد فصلا للحديث عن هذا الموضوع وأثبت أن كثيرا من وقائع التاريخ لا يمكن الاعتماد عليها لأنها غير موثقة ولا ثابتة السند كاحاديث النبى الصحيحة . كما أن كثيرا من هذه الوقائع التاريخية يجب أن تمحص تماما وأن تخرج الأباطيل وتثبت زيفها خاصة بعد أن تبين في تشويه صورة الصحابة والفكر الإسلامى كله .

لماذا لا يجب الوثوق في كل مرويات التاريخ الإسلامى ؟

المعروف أن وقائع التاريخ الإسلامى دخلها كثير من الدس أو التحريف وقصد بها تشويه معالمه وكان ذلك لمحاولة هدمه من أصوله أما بالتزديد في القرآن أو الطعن في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بما لا يتفق مع صفات الرسالة وأما بإلصاق التهم المزرية بالشخصيات البارزة في الإسلام - ولقد أتاحت الفرصة للكاذبين في التاريخ الإسلامى وانفرج باب الدس والاختلاق فيه بسبب تأخير تدوينه لأن العرب لم يعرضوا لتاريخهم بالتدوين الا أيام الأمويين واقتصر التدوين في عهد الأمويين على تاريخ العرب الخاص وأخبار قبائلهم وشعرائهم في الجاهلية وبعد الإسلام - أما

التاريخ العام للعرب وغيرهم فلم يتوفر بحثه الا في أيام العباسيين وكان أول كتاب ظهر في عالم التدوين لمادة التاريخ الإسلامى هو كتاب سيرة الرسول لمحمد بن اسحاق المتوفى عام ١٥١هـ حيث كتبه للخليفة المنصور ثانى خلفاء العباسيين ثم ظهر بعد ذلك سيرة ابن هشام الذى توفى عام ٢١٣هـ ومن بعد ذلك كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد المتوفى عام ٢٩٠هـ وقد اعتمد بن سعد في طبقاته الكبرى على الواقدي في كتابه المغازى والسير. وقد توفى الواقدي عام ٢٠٧هـ ومعنى هذا أن تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدون الا بعد فترة طويلة من الزمان تزيد على سبعين عاما من وفاته كما لم يدون تاريخ الصحابة الا بعد أكثر من مائة وخمسين عاما من وفاة آخرهم وهو بن ابي طالب الذى توفى عام ٤٠هـ ومعنى هذا أيضا بعد المسافة الزمنية بين وقوع الأحداث وتدوينها مما يغير كثيرا من ملامح الحدث الذى يرويه الرواة - ومع أن المؤرخين العرب كانوا يعتمدون في مروياتهم على سلسلة الرواة الا أنهم كانوا لا يبحثون عن صحة الخبر وسلامته من الدس والتناقض - وقد يكون الراوى مخطئا بدليل تناقض اخباره بعضها مع بعض أو مخالفته لغيره من الرواه.

وقد انتهز عشاق الدس والتدليس تلك الفرص، ووضعوا في تاريخ المسلمين شتى الوان الكذب والافتراء. وقد اكتشف النقاد أن كثيرا من المؤرخين القدامى والذين تعتبر كتاباتهم من المراجع الهامة في التاريخ الإسلامى قد وقعوا في أخطاء، لا تفرهم الأمانة العلمية بأى حال من الأحوال. وهناك نماذج كثيرة من الخلط والكذب في التاريخ كان سببها إما الخسوع لأصحاب السلطان الذين أرادوا لونا معيناً من الكتابة وإما التأثر بمذهب دينى أو فكرة سياسية أو طمعا في عطاء أو ربح مادى وإما أبعد العهد بين وقوع الحوادث وتدوينها، فاختلط الأمر على الكتاب والمؤلفين.

وقد لوحظ أن المؤرخين القدامى للتاريخ الإسلامى كانوا مجرد نقله لما يسمعون من روايات، وكانوا لا يخضعون ما يسمعونه من روايات للعقل أو المنطق بالإضافة إلى جهل بعضهم بالقوانين التى تخضع لها الظواهر الطبيعية، وكذا جهلهم بالقوانين التى تخضع لها ظواهر المجتمع الانسانى، مع عدم مراعاة البيئة الزمنية والتطور في

الأشخاص والأوقات والأمصار. وهذه الأمور مع ما ذكرناه من خضوع كثير من المؤرخين لأصحاب السلطان وتأثرهم بمذاهب دينية أو أفكار سياسية هي أهم أسباب أخطاء المؤرخين.

كما ذكر ذلك ابن خلدون في مقدمته .

هل روايات التاريخ موثقة لروايات التفسير والحديث ؟

وإذا كان قد ثبت أن معظم كتب التفسير كما أثبت ذلك المحققون المحدثون، قد ملئت بكثير من الاسرائيليات، كما ملئت كتب السنة أيضا، بكثير من الروايات الاسرائيلية، ونقلها المفسرون وأصحاب كتب الحديث مع محاولة حرصهم على تنقية هذه الكتب مما يعيبها.

فإن كتب التاريخ التي لا تحتاج إلى هذا الاحتياط المطلوب في كتب التفسير والسنة قد ملئت كذلك الأمر الذي جعل كلية اصول الدين بالقاهرة تقرّر ضمن مواد الدراسة بقسمي التفسير والحديث مادة اسمها «الدخيل في كتب التفسير» ومادة باسم «الدخيل في السنة» وقد كتبت رسائل دكتوراه متعددة وسجلت رسائل أخرى عديدة في الاسرائيليات بجميع كتب التفسير.

وإذا كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وجد من يدافع عنه، ويرجئ من ينقيه من المدسوس عليه، والموضوع فيه حتى شاء الله أن يتفرغ جماعة من كبار علماء المسلمين القدامى الذين عرفوا بالحيدة والأمانة، واشتهروا بالتقوى والورع لدراسة حياة رواة الحديث الذين رروا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخضعوا هؤلاء الرجال لمقاييس خاصة تثبت أمانتهم، ونزاهتهم وعفتهم فظهر على أيديهم علم (الجرح والتعديل) وأصبح كل راو من رواة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم له سجل خاص به وبحياته.

وتترك روايته لجرد شبهة صغيرة فيه، كما تفرغ وتخصص علماء آخرون لدراسة متن الحديث وسنده، واتصال هذا السند أو انقطاعه، وصنفوا هذه الأحاديث إلى متواتر،

وصحيح وحسن وضعيف . . . الخ . وهو ما يعرف بعلم «مصطلح الحديث» وقد تخصص علماء آخرون في جمع هذه الأحاديث، فجمع بعضهم كل مرويات الحديث دون تنقيته وجمع بعضهم الصحيح منها فقط، والذي تأكدت صحته سنداً ومناً ورتبت هذه الكتب . واستخلص العلماء منها ستة كتب اعتبروها أهم كتب الحديث ثم انتقوا من هذه الكتب كتابين اعتبروهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، وهما «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» بعد أن تأكدوا كل التأكد من صحة السند والمتن وبعد الرواه عن أى مظنة أو شبهة . ورغم ما عرف عن تدقيق البخاري بنفسه في التأكد من صحة النقل حيث يسافر الشهر الكامل ليلتقى بأحد رواة النص الذي سمعه . ورغم ذلك ومع كل هذا الحرص والتدقيق بالنسبة لكتب السنة فإن علماء المسلمين لا يسلّمون مباشرة بصحة حديث دون البحث عن صحة السند والرواية الا اذا كان قد ثبتت روايته في البخاري أو مسلم أو فيهما معا . أما ما عدا ذلك من بقية الكتب الستة التي تعتبر من أكثر كتب الحديث صحة، فانهم لا يقرون حديثاً روى في أحد هذه الكتب الا بعد تحريجه والتأكد من صحة سنده وروايته وبعد اخضاعه للقواعد والشروط العلمية التي وضعها المتخصصون لذلك .

هل كل روايات الحديث صحيحة ؟

لا يمكن أن نعتبر كل ما نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ولو وجد في الكتب الستة المشهورة صحيحاً ما لم يثبت بالفعل صحته والتأكد من صدق روايته وسنده معا . وعلى هذا فان عشرات الآلاف من الأحاديث المنسوبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والتي ملئت بها كتب الحديث من أحاديث موضوعة مكذوبة، وبعض رواياتها لا يقبله العقل ولا المنطق، وان كان هناك من شاء الله أن يسخره لتوضيح الأحاديث الموضوعة والمكذوبة وتأليف الكتب التي جمعت الأحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ككتاب (السلألى، المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) . . . وكتاب (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة) للألبانى كما وجدت كتب التفسير من يبين ما دخلها من مدسوسات اسرائيليات ككتاب «التفسير والمفسرون» للشيخ محمد الذهبى . و«الاسرائيليات في التفسير» للمرحوم الدكتور

الذهبي أيضا بالاضافة إلى بعض الرسائل العلمية (ماجستير ودكتوراه) والتي قدمت لكلية أصول الدين في الاسرائيليات في كتب التفسير. وإذا كان الله قد سخر للتفسير والحديث هؤلاء فان روايات التاريخ الإسلامى لا تزال في حاجة إلى تمحيص وتنقية وإبعاد الدخيل عليها والمندسوس فيها، والذي لا يخضع للعقل، ولا يصدق المنطق وبخاصة ما يتعارض مع تعاليم الإسلام. أو لا يتفق مع سيرة الصحابة الكبار، ومركزهم الدينى، ولا يليق بصحبتهم لرسول الله، وما لهم من منزلة في نفوس وقلوب المسلمين.

وان كان هناك بعض من كتبوا عن بعض الوقائع التاريخية الشهيرة في تاريخ الإسلام والتي نسبت حوادث لبعض الصحابة تصورهم بصورة لا تليق مع مكانتهم وفضلهم وأثبتوا أنها أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ. فانها قليلة جدا وغير متشرة وقد ألف كتاب تحت هذا الاسم «أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ» للدكتور ابراهيم على شعوط الأستاذ السابق بجامعة الأزهر. وقد بين المؤلف في هذا الكتاب أسباب الخلط والدرس في التاريخ الإسلامى. ودلل بموضوعية واقتدار على بطلان بعض ما اشتهر من وقائع التاريخ وتناقله الناس جيلا بعد جيل كقصة الغرانيق، وزواج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش، واتهام خالد بن الوليد باتهامات باطلة. كقتله لمالك بن نويرة وزواجه من امرأته، وما روى حول ذلك من افتراءات وروايات لا يقبلها عقل سليم. وما قبل في خلاف عمر مع خالد، وأسباب عزل خالد. وكثير مما رواه التاريخ عن موقف الصحابة من بيعة عثمان وأسباب الفتنة وغير ذلك من عشرات الروايات التاريخية التي اشتهرت في التاريخ وأثبت هوزيفها وعدم صدقها. كما أثبت أن سياسة الهدم في التاريخ الإسلامى سياسة قديمة بدأت مع ظهور الإسلام وأن خصومه كثيرون وبدأ ظهورهم مع بداية الإسلام نفسه ودخل بعضهم في الدين ليشوه تعاليمه بما يدسه من سموم وأفكار، وبما يقوض دعائمه باسم العلم والبحث العلمى. وأنهم كانوا يلفقون في سير الأعلام البارزين ليغضوا من مقامهم وليفقدوهم المنزلة التي ينبغي أن تكون لهم في كل زمان ومكان ثم تلا ذلك الدخلاء على الإسلام من الديانات القديمة والذين بدأوا يظهرن في أوائل القرن

الثانى من الهجرة إثر دخول بعض اليهود والنصارى والمجوس والدهرية إلى الإسلام . وكان كثير منهم قد أسلم ورؤوسهم مملوءة بأديانهم القديمة ، فأناروا من حول الإسلام الشكوك والشبهات . وجاء الصليبيون بعد ذلك فعملوا على الهجوم على أصحاب هذا الدين وأخذوا ينشرون الأكاذيب عن الإسلام والمسلمين تقريبا للكنية وخلمة للمسيحيين . ثم جاء الاستعمار الأوربي بعد ذلك فجعل من أكبر أهدافه طمس معالم التاريخ الإسلامى وتشويه صفحاته ، ومحو الصورة الناصعة من أذهان المسلمين ، ثم انتقلت العدوى الفكرية إلى البلاد الإسلامية ذاتها عن طريق المبعوثين الشرقيين إلى جامعات أوروبا وصارت البرامج التعليمية وسيلة لابعاد الشباب الإسلامى عن تاريخه أو ماضيه . ولجأ العلماء المستشرقون إلى تحريف الحقائق، وتزييف الوقائع الإسلامية . وانتهزوا فرصة اقبال الشباب الإسلامى على مؤلفاتهم وجاهعاتهم فسمموا أفكارهم وهـونوا عليهم فى دينهم وطعنوا فى الإسلام ورجالته . ثم وجدنا بعد ذلك صنائع الاستعمار من المسلمين وغير المسلمين الذين تخرجوا فى مدارسهم وجامعاتهم ينشرون ويكتبون ما انطوت عليه صدورهم من الحقد على الإسلام وأهله حتى وجدنا جورجى زيدان يكتب سبع عشرة رواية عن أبطال المسلمين وكثير منهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جعل فى كل رواية من هذه الروايات بطلة نسائية تخلب لب البطل الإسلامى ، فيصبح جهاده وشجاعته من أجل اعجاب البطلة به لا من أجل دينه وحرصه على عقيدته . ولهذا فان على الجامعات الإسلامية ومراكز السنة والسيرة الموجودة فى بعض الدول الإسلامية أن تبدأ فوراً فى تصحيح هذا الوضع وتنقية التاريخ الإسلامى من الدخيل فيه والأباطيل التى يجب أن تمحى تماماً من الكتب والعقول معاً .

تشدد بعض الشباب بسبب الفهم الخاطيء للدين :-

ومن العواقب والمشكلات التى تعوق مسيرة الدعوة الإسلامية فى الداخل - تشدد بعض الشباب وفهمهم الخاطيء لمعنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - وهذا الفهم الخاطيء ولاشك ناشىء عن تقصير مزدوج من المسؤولين عن الإعلام والتعليم . ومن المسؤولين أيضاً عن التوعية الدينية كعلماء الأوقاف ورجال الوعظ بالاضافة إلى تقصير

المفكرين الإسلاميين في نشر الكتيبات والكتابة أو الحديث فيما يمكن أن يكتبوا فيه من صحف وتحديثها فيه من وسائل إعلام مرئية ومسموعة .

وقد ظهر في هذا العصر جماعات تدعو إلى تكفير المجتمعات الإسلامية القائمة في معظم الدول الإسلامية ويرون أن كل القوانين الموجودة في هذه المجتمعات سواء كانت سيامة أو اقتصادية غير إسلامية كما أن فتاوى علماء الأزهر غير شرعية وهم (أى العلماء) عندهم علماء سوء وضلال لا أمل فيهم ولا رجاء منهم وقد غضب الله عليهم كأجبار اليهود - كما أن بعضهم يحرم الجندية لأن الجيش لا يقاتل في سبيل الله - وبنه على هذه المعتقدات فإنه لا بد لهم أن يتصدوا للمكدرات والمفاسد الموجودة في المجتمع بهدف تغيير المنكر - ويرون أن تغيير المنكر واجب عليهم وجوبا عينيا على أساس أن أقوىاء الإيمان ويستطيعون التغيير باليد . ولا يصح الاقتصار على اللسان أو القلب باعتباره أضعف الإيمان .

والغريب أن كثيرين من هؤلاء الشباب يدعون أنهم استخلصوا هذه الأحكام من كتاب الفتاوى لابن تيمية - وقد أولوا كثيرا من النصوص في هذا الكتاب لتتفق مع فكرهم وفهموا نصوصا أخرى على ظاهرها . وأخرى على غير ما قيلت بسببها . مع أن للإمام ابن تيمية الذي يؤمن بفكره معظم الجماعات الإسلامية خاصة المتشددون منهم كلاما جميلا في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي القضية التي يدور حولها الخلاف ويستند عليها فكر هذه الجماعات والتي لم تتمكن من فهم كثير من النصوص التي ذكرها الإمام ابن تيمية الرجل المفترى عليه والذي اضطر كثير من الناس أن يلصقوا به تهمة التشدد وهو منها برىء بل استطاع بعض ذوى الميول والأهواء من الجماعات الإسلامية أن يغيروا في بعض ما قاله الرجل ليخلصوا من ذلك آراء وأفكار نسيبوا إلى الرجل المظلوم بعد أن أولوا بعضها إلى غير ما تحمله النصوص - هذا الإمام المظلوم والمفترى عليه في عصره وعصرنا يحتاج إلى بعض المنصفين لتوضيح حقيقة فكره للناس وإنصافه منهم بعد أن شوه الآخرون صورته - في كتابه (مجموع الفتاوى) وفي الجزء الخاص بالجهاد وهو الكتاب الذي اعتمد عليه المتشددون من الجماعات الإسلامية يقول الرجل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد أن

ذكر أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يندرج تحت هذا الأمر (أنه لا بد فيه من الرفق) ويستدل بحديث النبي صلى الله عليه وسلم (ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا كان العنف في شيء إلا شانته). وقوله صلى الله عليه وسلم أيضا (إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف). ولهذا قيل (ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر) ويوضح ابن تيمية بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان من أعظم الواجبات والمستحبات فإن الواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها واجحة على المفسدة ويعلل ذلك بأنه بهذه المصلحة بعثت الرسل وأنزلت الكتب (الله لا يحب الفساد) ويقول: فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به حتى وإن كان قد ترك واجباً أو فعل محرماً - ويقول (إن المؤمن عليه أن يتفق الله في عبادته وليس عليه هداهم).

ويرى الإمام ابن تيمية أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يتوافر فيه ثلاثة أشياء (العلم - الرفق - والصبر) العلم قبل الأمر والنهي والرفق معه والصبر بعده - واستدل على ذلك بما ذكره القاضي أبو يعلى في المعتمد حيث قال: (لا يأمر بالمعروف ونهي عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به فقيها فيما ينهى عنه رفيقاً فيما يأمر به رفيقاً فيما ينهى عنه حليماً فيما يأمر به حليماً فيما ينهى عنه).

ثم يتحدث الإمام ابن تيمية عما يقع فيه الناس من غلط وجعلهم فريقين - فريق يترك ما يجب من الأمر والنهي مطلقاً تأويلاً للآية الكريمة ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلُّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.

ويرى أنهم يقعون في غلط كبير لأن الاهتداء إنما يتم بإداء الواجب وعلى المسلم أن يقوم بما يجب لكن بالشروط المطلوبة وبالأسلوب الذي لا يؤدي إلى مفسدة أو ضرر بالآخرين فإذا قام بهذا الواجب لم يضره ضلال الضلال.

أما الفريق الثاني عند الإمام ابن تيمية فهو يرى أنهم أيضا يقعون في خطأ كبير وهو من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده من غير فقه وحكم وصبر ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح - وما يقدر عليه وما لا يقدر - ويقول الإمام عمن يصنع

هذا إنهم معتدون في حدود الله مع أنهم يأتون بالأمر والنهي معتقدين أنهم بذلك يطيعون الله ورسوله - وقد فعل ذلك كثير من أهل البدع والأهواء كالخوارج والمعتزلة والرافضة - ثم يتحدث الإمام عن ناس آخرين يقعون في الغلط حين يأمرون وينهون ويجاهدون على ذلك فيؤدى عملهم هذا إلى فساد مع أن المطلوب هو الإصلاح - ثم يبين أن هذا كان من أسباب أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على جور الأئمة والنهي عن قتالهم ماداموا يقيمون الصلاة وكيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الأئمة الجاهلين (أدوا إليهم حقوقهم وسلوا الله حقوقكم) وذلك لأن لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة أصل من أصول أهل السنة والجماعة - ويرى أن من يخالف هذا هم أهل الأهواء ثم يبين أن هناك قاعدة عامة يجب أن يلتزم المسلمون بها وهي أنه إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تراحت فإنه يجب ترجيح الراجح منها إذا تردمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد، ومعنى هذا باختصار شديد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان واجباً على كل مسلم حسب طاقته وقدرته فإنه مشروط بشرط الوصول إلى مصلحة وعدم حصول منكر بسبب إقامته - أما إذا تأكد وقوع ضرر كبير بمن يدعو - وتعرض من دعى لذلك إلى ضرر فليس من حق ولا سلطة المعاقبين أن يعاقبوه به - وقد سكت النبي صلى الله عليه وسلم عن عبدالله بن أبي وأمثاله من أئمة النفاق والفجور لما لهم من أعوان وحثية إغضاب قومه - وحتى لا يتسبب عقاب النبي لهم من نفور الناس إذا سمعوا أن محمداً يقتل أصحابه . والله لا يكلف نفساً إلا وسعها ولم يقل واحد من علماء المسلمين بأن تغيير المنكر باليد إنما هو من حق عوام المسلمين وإنما هو حق من استرعاه الله رعيته وجعله مسئولاً عنها بشرط ألا يؤدي ذلك إلى مفسدة أيضاً - كالرجل في أهل بيته - أو من يقود هيئة أو مصلحة ويملك حرية التصرف فيها وإصدار الأمر والنهي - وقد اتفق جماعة من الشباب في مصر على أن يتصدروا للمنكرات والمفاسد الموجودة في المجتمع بهدف تغييرها باليد والقوة واستدلوا على ضرورة ذلك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم «من رأى منكم منكراً . . الخ» . وفسروه على أن الاقتصار على اللسان أو القلب لا يجوز لغير القادر على التغيير باليد

لأن هذا هو أضعف الإيمان وهم يرون أن إيمانهم ليس ضعيفاً باعتبارهم من الشباب المؤمن القادر على التغيير باليد ولا شك أن هذا التفكير يتناقض تماماً مع ما إتفق عليه علماء الأمة من أنه لا يجوز التغيير باليد إلا لمن يملكه ويشترط ألا يؤدي إلى فسدة ومنكر آخر - وإذا كان ما ذكره التحقيق أيضاً مع هؤلاء الشباب من أن هؤلاء الناس يؤمنون باعتزال المجتمع لجاهليته ويكفرون الحاكم ويرون الخروج عليه لعدم تطبيق حكم وشرع الله ويرون في القوانين السياسية والاقتصادية في الدولة أنها قوانين غير إسلامية - فقد أخطأوا كثيراً في هذا الفهم وصور لهم فكرهم غير السوي من أنهم وحدهم مع قلة عددهم هم أهل الحق وغيرهم أهل الباطل مع أن الحديث الصحيح يؤكد أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة ولهذا كان اجتماع هذه الأمة حجة لأن الله تعالى أخبر أنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر - ولو انفقروا على إباحة حرم أو إسقاط واجب أو تحريم حلال أو اخبار عن الله تعالى أو خلقه بباطل لكانوا قد اتصفوا بالأمر بالمنكر والنهي عن معروف .

والآية الكريمة تقتضى أن ما لم تأمر به الأمة وليس من المعروف وما لم تنه عنه فليس من المنكر - إذا كانت أمية بكل معروف ناهية عن كل منكر فكيف يجوز أن تأمر كلها بمنكر أو تنهى كلها عن معروف والله تعالى كما أخبر يقول أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر حيث قال : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .

والواقع أن عدداً قليلاً من الناس هم أصحاب هذا الفكر وهم الذين يرون هذا الرأى ومخالفون لإجماع الأمة في عدم استعمال العنف لإزالة المنكر في أن الحاكم لا يخرج على ملة الإسلام لوجود بعض المخالفات للشريعة وفي أن المجتمع لا يزال على الإسلام حتى وإن كان هناك تقصير في إزالة المنكر . وهم بذلك على ضلال في فهمهم وبكفرهم للناس وغيرهم ولا شك ليسوا على باطل ماداموا لا يقرون المنكر ولا يصح أبداً أن يستدل هؤلاء أو غيرهم بمثل قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

لأن الناس هنا لا يقصد بهم المسلمون وإنما يقصد بهم كل الناس ومعظمهم ولا شك من غير المسلمين كذلك لا بد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون علماً بما يأمر

به وما ينكره وقد عرف عن معظم هؤلاء أنهم من عوام الناس ولم يصلوا إلى هذه المرتبة التى تؤهلهم أو تمكنهم من فهم الدين أو الاجتهاد فيه - وفي حديث لمعاذ بن جبل رضى الله عنه : «العلم إمام العمل والعمل تابعه» ومعنى هذا أن القصد والعمل ان لم يكن بعلم كان جهلا وضلالا واتباعا للهوى وهذا هو الفرق بين أهل الجاهلية وأهل الإسلام فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما - كذلك لا بد من العلم بحال المأمور به والمنهى عنه وهذا لا شك لا يتوفر في هؤلاء الذين حكموا على المجتمع بالكفر وخرجوا على الحاكم المسلم مع أنه يقيم الصلاة - ولا ينكر الحكم بما أنزل الله وأن تأخر التطبيق لأسباب يمكن أن تزول يوما ما . . . وإذا كنا قد اتفقنا على أن أمة الإسلام لا تتفق على ضلالة أى لا تتفق على اقرار المنكر وهذا والحمد لله لا يوجد في مصر ولا يمكن أن يوجد حيث لم تر حتى الآن حاكما أو عالما من علماء الدين يقر المنكر ويرى ألا حرمة فيه حتى وإن ارتكبه بعضهم وفرق كبير بين اقرار المنكر والعمل به وبين الوقوع فيه . وفي هذه الحالة فليس على المسلم الا أن يأمر وينهى حسب قدرته وطاقته بحيث لا يؤدي دفع المنكر إلى منكر كما قلنا - ولهذا شرط العلماء أن يكون استعمال اليد في تغيير المنكر لمن يملك هذا الحق وأيضا مع الالتزام بالشروط وإلا صارت الأمور فوضى حيث لا يعطى لعوام الناس الحق في تغيير منكرات الآخرين بأيديهم ولا في منع الفساد والمنكر عن طريق القوة التى لا يملكونها أو بالعنف الذى يؤدي إلى فساد كبير خاصة وأن طبيعة البشر تأبى النصيح والزجر ممن يقلون عنهم سنا أو مستوى أو حتى يتساوون معهم ومن هنا أعطى حق التعزير وإقامة الحدود لولى الأمر فقط وهو الذى يرضخ الناس رغما عنهم لحكمه وسلطانه والمسئول رسميا عن المحافظة على شريعة الله وإقامة حدوده أما أن يعطى كل الناس حق تغيير المنكر بأيديهم في غير ما يملكونه أو يملكون التحكم فيه والسيطرة عليه فهو ذاته منكر يجب أن يتوقف لأنه بالضرورة سيؤدي إلى منكر أكبر.

والإسلام نظام يخضع أتباعه من رعايا دولته إلى من يتولون أمورهم ويلزم هؤلاء الاتباع بتنفيذ أوامر الدولة الإسلامية والالتزام بتعليماتها وقوانينها ويعطى للحاكم

حق زجر ومعاقبة المخالفين بما يتناسب معهم وما يؤدي إلى زجر الآخرين ممن يفكرون في تقليدهم أو الوقوع مثلهم في الخطأ.

والانتظام في الجندية مع ضرورة الالتزام به قانون من قوانين الدولة التي تحتم على الناس أن يلتزموا به يعتبر الراضون له آثمين شرعا بل إن بعض العلماء اعتبر من يرفض المشاركة في الجهاد كمن يرفض ركنا من أركان الدين لأن الجهاد هو الركن السادس من أركان الإسلام - يقول الإمام ابن تيمية :-

(وأرى طائفة انتسبت إلى الإسلام وامتنعت عن بعض شرائعه الظاهرة المتواترة فإنه يجب جهادها باتفاق المسلمين حتى يكون الدين كله لله) كما قاتل أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) وسائر الصحابة (رضى الله عنهم) مانعي الزكاة وكان قد توقف في قتالهم بعض الصحابة ثم انفقوا).

وما دامت غالبية الناس قد رضخوا لحكم الدولة وسلموا بمعظم قوانينها فان على بقية الناس أن يقبلوا الأمر الواقع حتى وإن كان لهم رأى آخر مخالف وليس لهم الا أن ينصحوا ان كانوا يرون أن هناك مخالفة ويدعون باللسان والقلب أيضا بشروط الدعوة المعروفة والتي لا تؤدى إلى منكر بل يلتزمون في كلامهم ونصحهم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن - ولم يخل مجتمع من المجتمعات من لدن آدم إلى يومنا هذا من وجود منكرات ظاهرة وباطنة - ومن وجود دعاة يتحملون عبء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأثناء وجوده بين الناس - والدليل على ذلك اقامة كثير من الحدود في عهده صلى الله عليه وسلم مع أمره صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يدرأوا الحدود بالشبهات - ولم نسمع أبدا لا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولا في حياة خلفائه أو من جاء بعدهم من حكام المسلمين أنهم سمحوا لعوام الناس ممن لا يملكون سلطة الحسبة أو اقامة الحدود أن يغيروا المنكر بأيديهم ولو قيل بأن المجتمع الآن جاهل، وأن الحكام قصرُوا في اقامة الحدود وأنه لا يصح السكوت على المنكر مع تقصير هؤلاء الحكام لقلنا ان هذا أيضا لا يستند

إلى أى دليل فنحن مطالبون أولاً بتغيير الناس لنصل إلى الحكم الذى يطبق شرع الله ونترك بعد ذلك أصحاب الحق فى إزالة المنكر باليد، أن يزيلوه بأيديهم وسلطانهم وقوانين السماء التى يلتزمون بها - والله تبارك وتعالى يقول: -

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. وفى الأثر (كما تكونوا يولى عليكم)

وإذا قيل إن استعمال العنف والقوة فى إزالة المنكر كحرق أندية القيد ومخيمات الخمور أو دور السينما أو غيرها أنها هو وسيلة فقط لاسقاط نظام الحكم الذى لا يطبق شرع الله - نقول إن هذا أيضاً غير جائز فى شريعة الإسلام التى نريد تطبيقها فلم يقتل واحد أبداً من العلماء المحققين بجواز استعمال العنف لغير أصحاب السلطة من أجل تغيير المنكر حتى ولو كان هذا من أجل تغيير النظام - فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمنى ويتعجل إزالة السلطة القائمة فى مكة لإقامة دولة الإسلام وتطبيق شريعته ومع ذلك استمر ثلاثة عشر عاماً كاملة يتحمل المشاق والصعاب فى سبيل الدعوة للخير مع أنه كان بإمكانه أن يكون فرق قتل واحراق وأن يقصد مضاجع الحكام وأصحاب السلطان وهم يتعرضون لدعوته ومحاولون القضاء عليها بشتى الطرق بل إنه صلى الله عليه وسلم قد أمر ألا يكون ظفاً ولا غليظ القلب حتى لا ينفذ الناس من حوله والناس بطبيعتهم ينفرون من مثل هذه الأساليب أساليب العنف ولا يتفقون فى أصحابها بل يرون أنها دليل ضعف وليست دليل قوة فهى وسيلة انعاجز عن الإقناع باللسان القادر على تغيير الناس وإقناعهم بما يرى فيه المصلحة لهم ولدينهم ولم نسمع ونقرأ فى سيرة رسول أو مصلح اجتماعى أنه تولى نشر فكرة أو تغيير ما فى المجتمع بمثل هذه الأساليب التى يرفضها الإسلام رفضاً كاملاً - ويرى معاقبة ومحاسبة من يفعلها باعتباره مغالياً فى الدين، وهؤلاء ممن يدخلون تحت اسم الغش والتدليس فى الديانات، والتى تحدث عنهم ابن تيمية فى مجموع فتاواه فى الجزء الخاص بالجهاد.

ولو بحثنا فى تاريخ الدولة الإسلامية من يوم تأسيسها على يد محمد صلى الله عليه

وسلم إلى نهاية حكم الخلفاء الراشدين وهي الفترة الذهبية في تاريخ الإسلام والتي
 يجب على المسلمين ألا يخرجوا على ما وضعته من أصول وقواعد وقررت من مناهج
 حكم وأسلوب إدارة وسياسة باعتبار هذه الفترة هي فترة التشريع للنظام الإسلامي
 كله لم نجد عملاً أو قولاً يدعو عامة الناس إلى تغيير المنكر بقوة السلاح أو بترويع
 أصحابه حتى وإن كانوا من غير المسلمين بل إن هناك اتفاقاً على أن الأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر وبطرقه المختلفة يجب أن يكون ظاهراً معلوماً للناس يجبر به أصحابه
 ويقتنع المدعوون وغيرهم من الناس بصواب ما يفعلونه وصحة ما يدعون إليه .
 ومحاولة التفويض بحيث لا يؤدي إلى فساد أو خلل يؤثر على أمن المجتمع واستقراره .
 وهذا تركت عملية التغيير باليد لمن يملكها وهي بالنسبة للأمور العامة والظواهر
 السائدة في المجتمع من اختصاص السلطات الحكومية كل حسب ما وكل إليه من
 أعمال ولا يعرف في الإسلام تشكيل فرق خاصة من عامة الناس تتولى بنفسها بعيداً
 عن السلطة تغيير المنكر ومحاربة الفساد مهما كان حجم الفساد لأن ذلك سيؤدي
 ولاشك إلى فساد آخر بالإضافة إلى تعرض هؤلاء الناس للمحاسبة ووقوعهم رسمياً
 تحت طائلة القانون الأمر الذي سيؤدي ولاشك إلى ضرب أصحاب هذا الفكر ومحاولة
 القضاء عليهم بالطرق المشروعة وغير المشروعة وربما تكون هذه الجماعة وهي لا شك
 كذلك تبغى من وراء ذلك مصلحة الإسلام وتطبيق شريعة الله - لكنها بهذا الأسلوب
 غير الإسلامي ضيقت على نفسها فرصة مساندة الناس لها واقتناعهم بفكرها كما
 ضيقت على نفسها أيضاً فرصة وصولها إلى ما تبغيه من تغيير المجتمع الإسلامي فيؤدي
 هذا إلى خوف الناس من هذه الجماعة وهروبهم منها - بل سيؤدي ذلك إلى وقوفهم
 بجانب السلطة ومساندة هذه السلطة في محاربة هذا الفكر والقضاء على أصحابه
 وسيؤدي ذلك أيضاً إلى محاولة السلطة ضرب التيار الإسلامي كله ظناً منها أنهم جميعاً
 يؤمنون بهذا الأسلوب كما يخيف الناس كثيراً أن يحملهم أصحاب الفكر المتشدد حتى
 وإن رغبوا في إقامة شريعة الله لأنهم يرون في شريعة الله تسامحاً ورفقاً بالمدعوين على
 غير ما يرونه فيمن يقتلون ويحرقون ويستولون على أموال الناس بالقوة ويستحلونها تحت
 أي تأويلات - ونحن نقول هؤلاء أنكم من وجهة نظر غالبية الأمة مجتهدون فيما

تعتقدونه من مبادئ وأفكار ومنها تغيير المنكر باليد والعنف فهل يعطيكم اجتهادكم حق الاعتقاد في أنكم وحدكم على صواب وما عداكم على خطأ - أنتم قلة تؤمنون بهذا الأسلوب وبقية الناس وفيهم علماء الأمة ومفكروهم مع اعتقادهم بوجود فساد وانحراف وتقصير في حق شرع الله الا أنهم يرون أن هذا لا يخرج الناس عن الملة ماداموا لم يعتقدوه حتى وإن قصرُوا في تغييره - وكما قلنا قبل ذلك لا يمكن أن تجتمع الأمة على ضلالة وهذا أيضا لا يمنع من ضرورة التغيير ومحاولة الوصول إلى المجتمع الإسلامي المثالي - وأما فكرة اعتزال المجتمع بجاهليته فكرة تتناقض تماما مع مبادئ الإسلام وتعاليمه ولم يقل بها أحد من العلماء المنصفين - وقد كان أولى بهذا الاعتزال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه في بدء الدعوة الإسلامية بخاصة وأن النبي وأصحابه كانوا في مجتمع مكة ضعافا قليل العدد يتعرضون كثيراً للآذى والاضطهاد ولاشك أن اعتزالهم أو اعتزال أي مسلم عن مجتمع يرى فيه الفساد يعد هروبا من المسؤولية تتنافى مع أمر الله لهم بضرورة الدعوة للإسلام وتبليغه للناس بما حوى من عقيدة وشرعية وأخلاق - كما أن الدعوة للإسلام لا تتوقف على الأمر والنهي باللسان فقط وأن أكثر الوسائل تأثيراً فيها هو العمل المقرون بالقول مع الاعلان عما تنتمي إليه المبادئ التي تدعو بها وهذا هو ما يعنيه قول الله تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال اننى من المسلمين﴾ .

كما أن مجتمعا بصورته الحالية لا يضيق الخناق على من يدعو إلى الله مادام يلتزم الأمر الإلهي المتمثل في قوله سبحانه:

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ .

اذن فإن اعتزال المجتمع بدعوى جاهليته يتنافى مع الفكر الإسلامي الصحيح ويتعارض مع فريضة الدعوة بشرطها المقررة - ولا يمكن أبداً أن نعتبر مصر دار كفر لأن بعض أحكام الإسلام لا تطبق فيها - وإن كنا نؤمن بتقصير الحكام في عدم استكمال احكام الشريعة ولا نقرهم على ذلك . أما دعوى أنه لا توجد في المعمورة دار اسلام سوى ايران التي توالى الجماعات الإسلامية في كل مكان وتؤيد نشاطها في مصر كما يقولون فهي دعوى غير صحيحة . فالعلماء المنصفون يقررون بأن نظام الحكم في

ايران والذي ينبغي على اعطاء الحق الإلهي لآيات الله ورجال الدين عندهم لا يقره الإسلام ورفض هذا النظام لخروجه على مبدأ الشورى والذي هو من أهم أركان النظام الإسلامي بالإضافة الى ثبوت خروج حكام ايران على العقيدة الإسلامية الصحيحة فمذهبيهم الشيعي يؤمن بكفيراى بكر وعمر وعثمان بل أنهم يعتقدون بأن أهل بدر ومشايخ الإسلام وعبادهم من غير الشيعة كفار مرتدون بل هم أكثر من اليهود والنصارى لأنهم مرتدون عندهم والمرقد أشرف من الكافر الأصل بل أنهم يعتقدون أن من حرم زواج المنعة كافر ومن لم يؤمن بالمهدى المنتظر عندهم فهو كافر - الخ . ما ذكره العلماء المنصفون من اعتقاداتهم الشاذة المنكرة - والتعريب أننا لو دققنا النظر فيما نقله بعض الشباب عن ابن تيمية وكفروا به حكام المسلمين الآن هى بذاتها نفس النصوص التى ذكرها ابن تيمية وقصد بها هؤلاء الغلاة اسلاف السحيلي وطائفته وهم الذين اتفقوا مع التتار ضد المسلمين فى بلاد الشام وسحابوا فى صفوفهم بل ان ما حصلوا عليه من عز وسلطان إنما كان سب وقوف التتار بجانبهم وهم لا يتورعون عن معاونة اليهود والنصارى على قتال المسلمين لأنهم يرون ضرورة القضاء على أهل السنة لنشر مذهبهم الشيعي - ويقول عنهم ابن تيمية أنهم كانوا من أعظم الأسباب فى دخول التتار قبل اسلامهم إلى أرض المشرق بخراسان والعراق والشام وكانوا من اعظم الناس معاونة لهم على أخذهم لبلاد الإسلام وقتل المسلمين وسب نساءهم .

ونعل حروبهم الشرسة مع العراق ورفضهم التوقف عنها والتصالح مع جارهم المسلمة بالإضافة إلى استعانتهم بإسرائيل وأمريكا وتحالفهم مع كل القوى التى تكيد للإسلام دليل صدق على ما نقوله - ولو كان الإمام ابن تيمية يقصد بحكام المسلمين الذين تحدث عنهم فى فتواه وخطرها دون فهم أو تحييص بعض شبائنا التحمس للإسلام والحكام الذين لا يطبقون شريعة الإسلام كاملة أو تظهر فى بلادهم مفسد وانحرافات ما كان قد قال بعد ذلك مباشرة :

(أما الطائفة بالشام ومصر ونحوهما فى هذا الوقت المقاتلون على دين الإسلام وهم من أحق الناس دخولا فى الطائفة المنصورة التى ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم

بقوله في الأحاديث الصحيحة المستفيضة عنه (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يغيرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة) وفي رواية لمسلم (لا يزال أهل الغرب) - وبعض العلماء يرى أن أهل الغرب يقصد بهم أهل الشام ومصر.

وإذا استمر هؤلاء الشباب على هذه الصورة من العنف والتشدد فلا شك أن هذا سيضر بالإسلام كثيراً وسيعطى فرصة لأعداء الإسلام أن يشوهوا صورته وأن ينسبوا إليه التطرف والارهاب .

أما الذين يرفضون فتاوى العلماء ويعلنون عدم شرعية الأزهر ويرون أنهم وحدهم أهل الحق وهم (جماعة المسلمين) . ويشارنون بين هذا المجتمع . والمجتمع الجاهلي قبل الإسلام . انما يخطئون كثيراً ولا بد لهم من محاورات ومناظرات مع العلماء لمناقشتهم في هذا الفكر وتوضيح الإسلام الصحيح لهم - وأنا أعتقد أنهم مضللون خاصة الأتباع منهم - وعلى زعماء الجماعات أن تتحمل وزر مسئولية ما ارتكبه من أخطاء في حق الدين والمجتمع .

وقد كان هذا التشدد في الدين وسيظل سبباً من أسباب خوف الحكام من تطبيق الشريعة الإسلامية . ظنا منهم أن ما يدعوا إليه هذه الجماعات هو المقصود بالشريعة الإسلامية .

(٤) من المشكلات : قصور المناهج الدراسية بالمدارس والجامعات :

من العوائق والمشكلات التي تعوق مسيرة الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج نظام التعليم في كثير من البلاد الإسلامية وعدم توفر الوسائل والمناهج التي تخرج لنا الداعية الكفء مما تسبب عنه توقف عملية البناء والتكوين في داخل المجتمع الإسلامي ولم يعد هناك كما كان في الماضي - تخرج لأجيال وأفواج مؤمنة بصنعها القرآن الكريم ومدرسه النبوة حتى جمد الملمون على حال مريع من الجهل والضياع .

وإذا كنا لا نستطيع أن ننكر أن مدارسنا وجامعاتنا قد خرجت عدداً من العلماء

وأعوان الدعوة الإسلامية فإن أثرهم قد انحصر، كذلك انحصر نشاطهم بالإضافة إلى قلة عددهم بالنسبة إلى صحافة المؤتمرات واتساعها إضافة إلى ضيق الأفق في عالم تمتد واسع تشمله المؤتمرات - وليت هذا القصور في التعليم كان خاصاً بما يسمى بالتعليم العام (أى غير المتخصص في الدراسات الإسلامية) وإنما نستطيع أن نقول إن هذا القصور والتقصير العام - في المنهج التعليمي والديني معاً - قد أدى إلى تشويه صورة الإسلام عقيدة وتشريعاً ولغة فليس القصور العلمي مقصوراً على عدم الاهتمام بتدريس الدين ومناهج الثقافة الإسلامية. وإنما خطط لتدريس أفكار وآراء ومذاهب ونظريات علمية أقل ما يقال عنها إنها نظريات هدامة روج لها أعداء الإسلام وخاصة اليهود وفرضت على مناهج التعليم في بلادنا حتى أتت أكلها وأينعت ثمارها وقطفنا بالفعل الثمار وقد نفذ هذا المخطط بأساليب شتى واستخدمت في ذلك أبواب العلم الحديث كعلم النفس والاجتماع والتربية وغير ذلك من علوم ثبت أنها أسلحة فتاكة وجهت إلى قلوب وعقول المسلمين في كل رقعة من رقاع العالم الإسلامي - وقد سهل هذا اعتناق كثير من الملحنيين للفكر الغربي المادى ورفض كثير من فكرنا الإسلامى وراثنا الأصيل والمعروف أن الغرض الحقيقي من تأسيس المدارس والمعاهد العلمية ليس مجرد التعليم فقط وإنما هو مع العناية بشأن التعليم تربية العقول والنفوس وإيصالها إلى حد يمكن من نيل كمال السعادة أو معتقدها كما أن تربية العقول قصد بها إخراجها من حيز البساطة الصرفة والخلو من المعلومات إلى تصورات ومعلومات صحيحة تحدث لها ملكة التمييز بين الخير والشر والضار والنافع - وبذلك يكون النظر الصحيح هو - حجبها وبصيح عقله بعد ذلك قادراً على الفصل بين الطيب والحبيث - وأما تربية النفس فمقصود منها إيجاد الملكات والصفات الفاضلة في النفس وترويضها عليها وإبعادها عن الصفات الرذيلة حتى يكون المتحلل بها ناشئاً على ما يوافق قواعد الاجتماع البشرى^(١).

وقد لوحظ اشتغال الكتب التعليمية في معظم البلاد الإسلامية حتى الآن على نظريات علمية ثبت بالدليل القاطع أنه يتسبب عنها الشدة في الدين لأن نتائجها تتناقض مع معتقدات الناس - ووجدنا نظريات (دوركايم) اليهودى الذى أسموه

أستاذ علم الاجتماع والذي حاول أن يبطل آثار الأسرة في تطور الآداب والفضائل وأن يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة التي لا تقرها الأديان ووجدنا أيضا اشتها وانتشار اسم من أطلقوا عليه العالم النفساني (فرويد) الذي أرجع كل الميول والآداب الدينية واخلاقية والأسرية الى الغريزة الجنسية حتى يبطل قدامها ويحجل الانسان منها فيزهد فيها - وقد درس الشباب الرجولية ولا زالوا وللأسف يدرسونها في كثير من الجامعات الإسلامية واعتنق الكثير من هذا الشباب آراء سارتر الذي يقول أنا موجود - معناه أنا حر - وبمجرد قولي أنا حر معناه ان الله لم يعد موجوداً .

أما (نيتشه) الذي يدرس الشباب افكاره وآراءه فيكفي أن نعرف رأيه في الآله يقول نيتشه (اننا اخترعنا الله لكي نغطي مالدينا من ضعف ونفسر كل ما في تجربتنا من ثغرات) وراح نيتشه يمد النظريات الالحادية بوقود جديد، فيقول:

ان فكرة الله تسقط ظلال الخطيئة على براءة الأرض وانه لا بد للمؤمنين بالחס الأرضي من أن يهواوا بمعاولهم على تلك الفكرة).

أمثال هذه الأفكار وهذه المبادئ وهذا الإلحاد يدرسه أبناء المسلمين في دور العلم في بلادهم وهو من المواد الأساسية بالنسبة لطلاب القسم الأدبي في المدارس الثانوية في غالبية الدول العربية - أما الدين الصحيح والتعاليم الإسلامية الصحيحة والإله في نظر الإسلام فلا يعرفون عنه الا القليل المشوه والمشوش وذلك لأن هذه الأفكار ليست وللأسف من مواد أو مناهج دراستهم - ولقد تبعت لذلك أخيراً بعض الدول العربية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية صدرت أوامر ومراسيم ملكية بضرورة تدريس مادة الثقافة الإسلامية في الجامعات للتعريف بالإسلام وشرح أسسه وأهدافه والمقارنه بينه وبين المذاهب الوضعية المعاصرة لإثبات حقيقتها وزيفها لكن الذي يجب ان يعرف أن اليهود بالذات، هم الذين خططوا لنشر هذا الفكر والترويج له في كل بلاد الدنيا وأرادوا به محاربة الأديان خاصة الدين الإسلامي وتوهينه في قلوب وعقول الشباب بالذات .

ولعل هذه النصوص التي انقلها من بروتوكولات حكماء صهيون تثبت ما أقوله .

وتوضح الى اى مدى خطط اليهود للقضاء على الدين والسيطرة على عقول الشباب عن طريق اشاعة هذه الأفكار- واذا كانوا قد روجوا لنظريات علمية تؤدي إلى انهيار الأخلاق في العالم والتي ذكرنا بعضها فان الغرض من ذلك واضح وهو محاولة السيطرة على هذا العالم من خلال هذا الانهيار الأخلاقي - وفي ذلك يقولون في البروتوكولات (يجب ان نحمل لتناهار الأخلاق في كل مكان . وعندئذ تسهل سيطرتنا . ان فريده منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ويصبح همه الأكبر اراء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق).

كما انهم يقولون في هذه البروتوكولات التي هي عبارة عن ميثاق التزموا به ويتنفذه.

(لا تتصوروا ان تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولاحظوا هنا ان نجاح دارون وماركس ونيتشر قد رتبته من قبل . والآن غير الأخلاقي الذي تشنه علومهم في الفكر الأسمى (غير اليهودي) سيكون واضحا لنا بالتأكيد) ويقولون ايضا : (ان دارون ليس يهوديا ولكنا عرفنا كيف نروج آراءه على نطاق واسع ونحتلها في تحطيم الدين).

ولاشك أنه اذا كانت مناهج التعليم بهذا الشكل فانا لا نتظر من وراء هذا التعليم سوى فساد العقول والنفوس . وبالتالي فساد وانحراف المجتمع . وعليه فانه يتحتم تغيير مناهج التعليم في كل مراحلها على أن يراعى وضع المناهج التربوية المعتمدة على الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي الصحيح - كذلك فان التعليم في حاجة إلى معلمين جدد مدربين خاصة وان مهمة المدرسة هي مجرد اإصال أنواع المعرفة وأنواع المهارة الى أذهان التلاميذ وهذه المعلومات وتلك المهارات هي من صنع عقول الكبار الراشدين - وقد وضعت هذه المعلومات وفرضت على الطلاب فرضا فيما يسمى بالمناهج والمدرسة مضطرة لبذل كل جهد ممكن حتى تصل بهذه المهارات إلى الأذهان ولأن للمدرس أن يشرح ويبسط ويستعين بأساليب التشويق لتتساق المادة مع اللجوء إلى وسائل الإيضاح لاظهار ما غمض منها - وقد تخرج المعلم سواء كان

معلما للمرحلة الأولى أو للمراحل التالية على مثل هذا النظام الموجود الآن أو شبيهه به - وهو الذي لا يستطيع ان يعطى اكثر مما عرف ووجد عنده ولقد كان الإمام محمد عبده يدعو إلى اصلاح حال التعليم ويحاول ان يفتش عن العلاج الحاسم لتحقيق هذا الاصلاح وحدد الاصلاح بأنه (استعانة الروح الجماعية والروح القومية والروح الإسلامية والانسانية العامة وحدد العلاج تبعا لذلك بالتنشئة الدينية وقيام المرحلة الأولى من مراحل التعليم على التعاليم الإسلامية)^(١).

ويقول الدكتور/ محمد البهى (ولكنه مع ذلك لم يرد أن يقصر هذه المدرسة على هذه التعاليم . بل جعل هذه التعاليم أساسا رئيسيا في منهج المدرسة على ان تضاف إليه بقية العلوم والصناعات التي تنفع الناشئ في حياته وتجعله لا يقل عن الغربي في سيطرته على الحياة)^(٢).

ومن عيوب التعليم عندنا عدم اهتمام المسؤولين عن التعليم بعلوم المقاصد واهتمامهم بعلوم الوسائل اهتماما كبيرا بل ان بعض البلاد الإسلامية لا تهتم بعلوم المقاصد على الاطلاق مما ادى إلى إبتعاد معظم هذه المجتمعات عن شريعة الإسلام وقد رأينا كيف ان في بعض هذه العلوم ما يشكك في مبادئ الإسلام ويثير الشبهات حول كثير من احكامه وهي أسلحة فتاكة تفكك بكيان الأمة لأنها تركت وحدها في الميدان - وبعدم اهتمامنا بعلوم المقاصد أي (العلوم الدينية) سلطنا بذلك من المتعلمين المسلمين السلاح القوي الذي كان يجب أن يسلحوا به ضد الشرك والإلحاد - بل أصبح بعض هؤلاء رغم اسماهم الإسلامية حربا على الإسلام ومبادئه وشيروا بأنفسهم السلوك حول الإسلام وأحكامه . ولهذا فانه قد أصبح من المحتتم اصلاح هذا الخلل الكبير الذي قد يؤدي لو ترك فترة أخرى إلى خلخلة العقيدة في نفوس الجميع وذلك بتغيير مناهج التعليم في كثير من بلاد المسلمين بما يتناسب مع روح الإسلام وروح العصر معا - والغريب أننا رغم اهتمامنا بعلوم الوسائل أكثر من اهتمامنا بعلوم المقاصد الا أننا لازلنا متخلفين فيه عن الغرب ولازلنا نحبو حتى الآن - فضاعت منا وللأسف الدنيا والآخرة - وضاعت شخصيتنا الإسلامية ومختها رغبة التقليد الغبية التي حولت الطاووس إلى غراب .

(ضعف مستوى التعليم الديني) :

وإذا جاز أن نتحمل بعض التصور في التعليم العام فليس من المقبول ابداء أن يكون هناك أي قصور أو تقصير في التعليم الديني . هذا التعليم الذي يخرج لنا الدعاة المربين المجيدين لأسلوب نشر دعوة الله للعالمين . والذين بدوهم ينتهي الإسلام ويضيع ويؤدي عدم دخول الدعاة الكفاء إلى وجود كثير من الانحرافات والقوضى في المجتمع وإذا كنا قد قلنا في بداية هذا البحث ان مجتمعنا يتعرض اليوم لتيارات وافكار تتعارض في كثير مما تحمله مع قيمنا الدينية الأصيلة . وان بعض السليات قد انتشرت في سلوكيات بعض فئات المجتمع التي تتعامل مع جماهير الشعب في العمل والتجارة والأسواق .

وظهر تطرف من بعض فئات من الشباب فهموا دينهم فيها خاطئا وتعصب بعضهم لبعض القضايا التي لم تستوعبها عقولهم بسبب عدم وجود الدعاة الكفاء الذين يمكنهم توضيح احكام الدين والشريعة السمحة وكان هذا الضعف في التعليم الديني سببا في سيطرة بعض الأفكار المناوئة للإسلام فانه لا بد لنا أن نقدم العلاج لهذه المشكلة وقبل ذلك ستعرض لبعض أوجه القصور في هذا التعليم الذي يجب أن يكون مستوعبا لكل ما يؤدي إلى اسلوب التغيير الاجتماعي السليم ويعالج قضايا المجتمع ككل وتتوصل منهاهجه إلى تخريج الدعاة الكفاء الذين يتعاملون مع كل الناس في مجالات الحياة المختلفة . ويقدمون الحلول لكل مشكلات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . نعم اتنا في حاجة إلى دعاة يعالجون قضايا الاقتصاد لتوعية الجماهير على تحويل الأرض الموات إلى أرض حافلة بالخضرة وبإثارة الحماس في نفوس الشباب إلى العمل - واقناعهم بان طلب الرزق باب أساسي من أبواب التقوى والقربى من الله - دعاة يمكنهم أن يشرحوا للناس - كيف يعالجون مشكلة التضخم الاقتصادي من خلال اغلاق أبواب الرشوة والاسراف والتبذير وكثير السال دون تنمية ووضع حد متزن للانفاق في العمر والجر واحترام حرمة الحياة الشخصية . وتأكيد صيانة المال العام - لسنا في حاجة إلى دعاة يكتفون بمجرد تخويف الناس من النار والتركيز على قضايا العبادات فقط وانما نريدهم ان يعرفوا كيف تعالج

قضايا الأسرة التي يجب ان تقوم على أساس من الايمان بالله وحل مشكلات الأسرة اسرياً لا يتدخل في ذلك أحد الا في نهاية المطاف - كما نريد دعاة نندمجون مع مجتمعهم ويعرفون ما يدور في العالم وفي بلادهم . عندهم دراية كاملة بالمجال السياسي ويمكنهم ان يصبحوا لقيادات الدولة بما يرضى الله ويضمن صلاح المسلمين . هذا بالإضافة إلى معرفتهم المعرفة الكاملة بما يدور في المجال الاجتماعي فينبهون الناس والمسؤولين إلى رعاية القيم والأراجل وأصحاب الحاجة وتعبئة الجهود ضد المتغلبين ومحاربة الخارجين على القيم والأخلاق - ولا شك أن هذا كله يحتاج إلى نظام تعليمي خاص يخرج لنا هؤلاء الدعاة الكفاء الذين يجب ان يتصفوا بصفات خاصة وان يعدوا اعداداً خاصاً وان يراعى فيما يدرسونه ومحاضراته أن يكون موصولاً إلى الاستعداد الجيد محققاً لما يرجى من خير وفلاح .

وجتى نضع ايدينا على المشكلة لابد لنا أن نلظر إلى الواقع الذي يعيشه أبناؤنا الذين نعدهم لهذا العمل الخطير .

(٥) التعليم في الأزهر :

يعتبر الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التي تقوم على حفظ التراث الإسلامي ودراسته وتجليته ونشره . وهو يتحمل امانة الرسالة الإسلامية إلى كل شعوب الأرض وقد انشئت الكليات الأزهرية عام ١٩٣٠م (كلية أصول الدين وكلية الشريعة وكلية اللغة العربية) وذلك للعمل على تزويد العالم الإسلامي والوطن العربي بالمختصين واصحاب الرأي فيما يتصل بالشريعة الإسلامية والثقافية الدينية والعربية لغة القرآن ، كذلك لتخريج علماء عاملين متفهمين في الدين يجمعون إلى الايمان بالله والثقة بالنفس كفاية علمية وعملية ومعنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة . والربط بين العقيدة والسلوك .

ولم يكن هناك فرق بين تخريج هذه الكليات الثلاث وبخاصة فيما يتعلق بقيامهم جميعاً بواجب الدعوة إلى الله ، حيث كانت مناهج الدراسة في الكليات الثلاث وان اختلفت في بعض تفصيلاتها الا أنها جميعاً تعطى للدارس لها قدراً كبيراً من

المعلومات الدينية في الفقه والتفسير والحديث. وهي من موضوعات اصول الدعوة التي نبع الأزهريون فيها وملكوا زمام الريادة والتأثير في الناس بها، ولهذا فقد وجدنا كثيرين من خريجي كلية اللغة العربية يعملون في حقل الوعظ والإرشاد اما وعائظا في الأزهر أو ائمة بوزارة الأوقاف.

ولا يزال الكثيرون منهم يعملون في هذا الحقل حتى الان، وبعض هؤلاء الوعظ السابقين يتولون مناصب علمية وإدارية بكليات اللغة العربية بالجامعة - وقد عملت انا والدكتور احمد قاسم (عميد كلية اللغة العربية السابق بالزقازيق) في حقل الوعظ والإرشاد لفترة طويلة بمصر والخارج مع انه خريج كلية اللغة العربية وانا خريج تخصص الوعظ والإرشاد.

وهكذا لم تكن هناك فروق كبيرة بين خريجي الكليات الثلاث، وكان الخريجون من الكليات الثلاث ممن يعملون في حقل التدريس بالأزهر يقومون بتدريس أي مادة من مواد الدراسة بصرف النظر عن تخصصاتهم حيث كان خريج اللغة العربية يقوم بتدريس الفقه وخريج اصول الدين يقوم بتدريس البلاغة والأدب، كما يكلف خريج الشريعة احيانا بتدريس الفقه والحديث - ولا شك ان الظروف الاجتماعية في هذا الوقت كانت سببا من أسباب قوة مستوى التعليم بالاضافة إلى وجود علماء عاملين تفرغوا تماما للعلم ولم تشغلهم ماديات الحياة عن اداء واجبهم التعليمي لطلاب الأزهر وللناس جميعا - هذا بالاضافة إلى أن - معظم الذين كانوا يدخلون الأزهر في ذلك الوقت قد وهبوا انفسهم أو وهبهم اهلهم للعلم ودراسة الدين . وقد استمر هذا الوضع حتى صدر قانون تطوير الأزهر الذي قلب التعليم في الأزهر رأسا على عقب، حيث صدر في وقت كانت قد تغيرت فيه نظرة الناس للحياة عموما وإلى التعليم السديني على وجه الخصوص - فقد تطورت الحياة الاجتماعية واصبح التعليم مجرد شهادة يبحث عنها الناس ليتمكنوا عن طريقها من الحصول على وظيفة تمكنهم من الحصول على مصدر رزق لا غير.

وان كان قانون تطوير الأزهر قد أريد به كما قيل (اخراج خريجي الأزهر من عزنتهم

عن المجتمع الذى يعيشون فيه وتصغية رواسب الاستعمار التى تشكل خطرا على القيم الإسلامية نفسها وعلى تعاليم الإسلام - وهدم الخائط الذى يحول بين تفاعل الأزهر مع الحياة الإنسانية والمجتمع الذى يعيشون فيه) - فإن الظروف الاجتماعية والسياسية معا كانت سببا من أسباب ضعف المستوى العلمى لطلاب الأزهر ومعهم أيضا طلاب المدارس والجامعات الأخرى بعد أن فتح الباب على مصراعيه وأصبح التعليم مشاعرا لكل الناس كذلك بسبب توسع الدولة فى إنشاء الجامعات وفتح الباب أيضا أمام إنشاء الكليات الأزهرية - الدينية والعملية .

ولابد أن نعرف بان محاولة التنافس غير المتكافء بين جامعة الأزهر والجامعات الأخرى كانت سببا أيضا من أسباب هذا الضعف الموجود على المستوى الجامعى فى كل مصر .

ولا عيا فى قانون التطوير ذاته وإنما العيب فى أسلوب التنفيذ وطريقته فقط تطلب التوسع المتفاجئ فى افتتاح الكليات الأزهرية فتح الباب على مصراعيه أمام الطلاب الراسبين فى مدارس التعليم العام، أو الحاصلين على مجاميع ضعيفة لا تؤهلهم للدخول فى مدارس وزارة التربية للقبول بمعاهد الأزهر الكثيرة التى انتشرت فى معظم القرى والنجوع - هذا مع عدم توفر المدرسين الكفاء للتدريس بهذه المعاهد بالإضافة إلى رغبة المعاهد فى الاستمرار حتى لا تغلق أبوابها - وقد زاد ضعف الطلاب مع ضعفهم من الأساس . كثرة المواد التى تدرس لهم والتى فرضها قانون التطوير الجديد..

وقد تسبب عن هذا كله، وصول أعداد هائلة من الطلاب إلى كليات جامعة الأزهر القديمة والجديدة - كما تخرج منهم آلاف مؤلفة عملوا مرغمين فى حقل الدعوة أو التدريس فى الأزهر أو فى وزارة التربية والتعليم - وصاروا للأسف وصمة عار فى جبين الأزهر.

ومعنى هذا أن معظم مدرسى المعاهد الدينية وائمة الأوقاف والوعاظ وهم من

الشباب المتخرج في عهد التطوير ليسوا على المستوى المطلوب وبالتالي فإبتاؤهم الطلاب ليسوا على المستوى المطلوب أيضا.

وأنا اعرف كثيراً من هؤلاء الخريجين لا يستطيع بعضهم كتابة خطاب كما لا يستطيع كثير منهم ان يفرق بين بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

ولقد عجز أحد طلاب السنة الرابعة بقسم الدعوة بكلية اصول الدين في امتحان نهاية العام عن قراءة آية الكرسي كما عجز عن تسميع سورة البينة وقرأ الكلام هكذا: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين﴾ . بدلا من منفكين . .

والغريب أن هذا الطالب ذكر انه يعمل مقيم شعائر بوزارة الأوقاف، وقد اطلق لحيته واطالها - والمفروض أنه بعد نجاحه في هذا الامتحان سيكلف بالعمل في الوعظ أو يعمل اماما بوزارة الأوقاف .

وليس من العيب أن نعتز بان كثيرين ممن يعملون في هيئات التدريس بالأزهر وممن يحملون درجة الدكتوراه ويعملون في الجامعة يقل مستواهم العلمي كثيراً عن شئ قبل ويفشل بعضهم في تكملة محاضرة وتوصيل معلوماتها للطلاب . وكم شكى الطلاب من ضعف مستوى بعض أعضاء هيئة التدريس بالجامعة . كما اضطرت جامعات عربية كثيرة إلى الغاء عقود عدد كبير من هؤلاء المدرسين الشبان لضعف مستواهم العلمي .

والحقيقة ان مستوى التعليم في الأزهر والتعليم في جامعة الأزهر على وجه الخصوص يحتاج إلى اعادة نظر وإلى ضرورة الاسراع في تدارك الأمر قبل فوات الأوان .

ولعل من أسباب ضعف المستوى العلمي لجامعة الأزهر بالاضافة إلى ما قلناه نظام الاعازلت في الجامعة والذي يسمح باعارة * ٤٪ من أعضاء هيئة التدريس بصرف النظر عن عدد الأساتذة بالكلية - وقد يصل عدد المعارين استثناء إلى ٥٠٪ بحجة جبر الكسر لصالح عضو هيئة التدريس .

هل استفاد الأزهر من قانون التطوير الذى صدر عام ١٩٦٦م:

أنا شخصياً أرى أننا قد فشلنا فى تطبيق قانون التطوير وذلك للأسباب الآتية:

١ - بعض الأساتذة القدامى وهم قلة لم يعجبهم هذا التطوير وتصوروا ان ذلك هدم للأزهر وقضاء عليه وبالتالي قضاء على الدين فحاربوا التطوير ورفضوا تنفيذ ما وضع من مناهج دراسية كان من المفروض الالتزام بها وتنفيذ ما فيها ولعل بعضهم اقتنع داخلياً بهذا التطوير الا أنه كان قد تعود على طريقة يصعب عليه ان يغيرها خاصة وانه قد استمر على هذا الأسلوب فترة طويلة والتزم بها تعلمياً وتعليمياً - فيصعب عليه تغيير هذا الأسلوب وظل على ما هو عليه لم يغير فى الطريقة ولا فى التأليف اللهم الا تغيير اسم الكتاب وطبعه على ورق أبيض جديد والاكتفاء بمجرد التمهيش عليه أو التعليق على بعض ما فيه من الفاظ غامضة ولقد ماعد على ذلك عدم وجود هيئة علمية لكل كلية لفحصى انتاج الأساتذة والزامهم بما قرره المناهج الدراسية .

٢ - كان بعض الأساتذة على نقيض ذلك تماماً فتصوروا ان التطوير معناه الغاء القديم نهائياً والانيان بأى جديد بصرف النظر عن مطابقته للمنهج أو حتى حاجة الدراسة الجامعية إليه فالتقوا فى أى موضوعات والزموا بها الطلاب بصرف النظر عن أى اعتبارات أخرى وكاد الأزهر (المتطور) يضح بين هؤلاء وهؤلاء وهو وان ظل الأمر على ذلك سينتهى حتماً إلى الضياع .

٣ - بالنسبة للمعاهد الدينية اضيفت المواد الحديثة إلى مواد الدراسة بمعاهد الأزهر (الابتدائية والاعدادية والثانوية) وهى تقريبا كل المواد التى يدرسها طلاب مدارس التعليم العام - فتضاعفت المواد وكثرت إلى حد جعل الطالب يعجز عن تحصيلها بالقدر الكافى الأمر الذى جعل المسئولين عن التعليم فى المراحل (الابتدائية والاعدادية والثانوية) يتساهلون مع الطلاب فادى ذلك إلى تخرجهم دون المستوى التعليمي المطلوب .

والحقيقة ان الطلاب معذورون إلى حد كبير فهم مطالبون بدراسة جميع مواد الدراسة المقررة على طلاب مدارس وزارة التربية والتعليم بكل المراحل بالإضافة إلى

دراسة المواد الشرعية الأصلية وقد اضطر الأزهر إلى اختصار المواد الشرعية وتبسيطها حتى يتمكن الطلاب من استيعاب كل المواد المقررة - لكن أنى لهم ذلك والمواد لا تزال مضاعفة - فالطلاب لا يتمكنون من الاستيعاب بسبب صغر سنهم أو عدم قدرتهم على ذلك لأنه أكبر من قدراتهم . وقد اضطر الأساتذة إلى التساهل مع الطلاب حين وجدوا ان التشدد معهم معناه عجز الطلاب الكامل عن التحصيل وبالتالي عدم النجاح .

٤ - تسميت صعوبة المواد وكثرتها في هروب الطلاب من التعليم الديني وعدم اقبال الناس على ادخال ابنائهم الأزهر - فاضطر المسئولون بالأزهر إلى تخفيض من القبول بالمرحلة الابتدائية إلى خمس سنوات بدلاً من ست في مدارس التعليم العام واضطر الأزهر لقبول أعداد أخرى أقل من هذا السن حتى وصل الاستثناء في السن إلى أربع سنوات ونصف . كذلك سمح بقبول طلاب بالتعليم الاعدادي الأزهرى من المنقولين بمدارس التعليم العام إلى السنة السادسة الابتدائية أو الراسيين في الشهادة الابتدائية . وقبل ذلك قبل الأزهر أيضا أعدادا كبيرة من الراسيين في الشهادة الاعدادية بمدارس التعليم العام والحقوا بالمعاهد الأزهرية الثانوية . وكذا من حالت مجاميعهم الضعيفة من القبول بالثانوى العام - ولا شك أن هؤلاء التلاميذ من صغار السن أو الراسيين في التعليم العام أو اصحاب الجامعات الضعيفة يمكنهم تحصيل نفس علوم التعليم العام بالاضافة إلى تحصيلهم لعلوم الأزهر أيضا . وقد أدى ذلك على عمل امتحانات صورية للطلاب لقبول اعداد كبيرة منهم والحاقهم بالمعاهد الدينية لسد النقص الكبير في أعداد الطلاب واضطر الأساتذة إلى التساهل مع طلابهم حيث ان مستوياتهم العلمية أصلاً أقل من المستوى المطلوب ، كذلك فان كثرة المواد الدراسية وتنوعها تزيد في ضعف هذا المستوى .

وقد أدى كل ذلك إلى تخريج طلاب في مستوى علمى متدنئ - ورغم ذلك كله يكون نصيب الكليات النظرية في جامعة الأزهر أقل هؤلاء الضعاف مجموعا . واكثرهم ضعفا حتى أصبح معظم الخريجين في مستوى علمى يقل عن مستوى طلاب الابتدائى والثانوى القديم .

وقد نتج عن ذلك هروب الكثيرين من الخريجين من أعمال الأمانة والوعظ لأنهم لا يجدون في أنفسهم الكفاية العلمية التي تؤهلهم لذلك .

لقد كان المطلوب من التطوير ان يخرج الأزهر من عزله عن العالم وان يفتح به على آفاق متنوعة جديدة تتناسب مع ما يحتاج اليه العالم الإسلامي بالفعل بعد ان وضعت الظروف السياسية التي يمر بها في هذا العصر في موضع الاختيار حتى يستكمل بالإسلام وفكر الإسلام أسباب ثوره ونهضته والارتفاع بمستوى معيشتة ليستطيع بالفكر الإسلامي أن يقضى على الثقافة الاستعمارية التي استطاع الاستعمار في فترة استعماره للعالم الإسلامي أن يلون بها افكار أهله وعقائدهم ووضع بها في نفوسهم موازين جديدة وقيما جديدة حاول بها ان يباعد بينهم وبين الإسلام .

لم يكن المقصد من التطوير ابدا مجرد تطوير الكتب أو تغيير طريقة التدريس في تدريس أى كتب أو تدريسها بأى طريقة ولكن كان المطلوب من التطوير دراسة الإسلام وفلسفه واخلاقياته ونظرياته العلمية بطريقة جديدة تتناسب مع العصر وتطوره حتى نستطيع ان نقف فلسفة الإسلام واخلاقياته في وجه الفلسفات المادية المعاصرة وان تثبت بالأدلة العلمية والعملية حضارة الإسلام وتطوره وتميزه وضرورته واثبات انه دين الفطرة والسلام والأمان . وانه ملائم لكل زمان ومكان .

المفروض في التطوير ان ينقى العقيدة مما شابها من خرافات واضاليل وان يبعد المسلمين عن الاسرائيليات وان يعد العالم الدينى الفاهم المثقف الواعى الخبير في الدعوة أو التجارة أو الصناعة أو التعليم أو الصحة المتخصص في عمل من أعمال الخبرة أو الانتاج التي تحتاج اليها نهضة المسلمين في كل البلاد .

لكن ما هو العلاج :

حتى لا يضيع الأزهر بين الذين انكروا التطوير أساساً ورفضوه وبين الذين فهموه فيها خاطئاً فإنحرفوا به عن مساره وطريقته الصحيح أقدم بعض الإقتراحات لإمكان

النهوض بالأزهر وتطويره وتطويراً صحيحاً والإفادة من هذا التطوير الذي قصد به الإصلاح ولم يصل به بعد إلى هذا الإصلاح وكان العكس :

أولاً - بالنسبة لتعليم الإعدادى والثانوى يجب أن يتم تعديل مناهج الدراسة واختصار المواد إلى الحد الذى لا يرهق الطالب وأن توضع حوافز تشجيعية للطلاب للإقبال على هذا النوع من التعليم وأن يعاد افتتاح مكاتب تحفيظ القرآن الكريم والإهتمام بها وإمتحان الطلاب فى القرآن الكريم كله إمتحاناً حقيقياً .

ويمكن تقسيم حفظ القرآن على سنوات الدراسة الابتدائية وإمتحان الطلاب فى أجزاء منه كل عام فى الإعدادى والثانوى - وكما قلت : مع ضرورة وضع حوافز تشجيعية مالية وأدبية والتوسع فى إنشاء المعاهد الدينية الاعدادية والثانوية فى كل المحافظات .

ثانياً : بالنسبة للكليات يجب الإلتزام بالمناهج الموضوعية بكل فرقة دراسية وتكليف الأساتذة بتأليف الكتب طبقاً لهذه المناهج - على ألا يبدأ تدريسها إلا بعد عرضها على مجلس القسم ليقرر مدى مطابقتها للمنهج من عدمه - ويضع تقريراً بذلك يرفع إلى مجلس الكلية ليقر تدريس الكتاب أو عدم تدريسه .

- ولا يلزم من تدريس كتاب لا أحد الأستاذة بفرقة من الفرق ضرورة أن يكون هو القائم بتدريسه - وتكون الأسئلة التى يمتحن فيها طلاب الفرقة مرتبطة بالمنهج ارتباطاً وثيقاً .

ويمكن إختيار الكتاب المطلوب تدريسه ، بالمفاضلة بين كل ما ألف فى المادة لتقرير افضئها كل عام - ولا مانع من منع صاحب المؤلف المختار مكافأة حلقة - ويتم طبع وتوزيع هذا الكتاب عن طريق الجامعة منعاً للإستغلال .

ويجب ربط الطالب بالإستاذ طوال العام الدراسى - وذلك عن طريق تكليفه

بأبحاث شهرية يمنح عنها درجات أعمال السنة التي ينبغي أن تعود لتعود للكلية مكانتها بين طلابها .

كما يجب العناية بالتدريب في كل قسم من أقسام الكلية ويوزع هذا التدريب على مدار العام الدراسي ليكون رابطاً يربط الطلاب بالدراسة لتكون مادة التدريب إجبارية يتقرر على أساسها إنتقال الطالب أو رسوبه .

ويكون نوع التدريب في كل قسم حسب طبيعة الدراسة فيه فالتدريب يقسم الدعوة كما هو مقرر بمنهج التدريس، يكون بالمساجد وفي المنشآت الصحية ذات الحاجة إلى الدعوة الإسلامية .

ويمكن أن يتم تدريب طلاب الشعب الأخرى بالمساجد أيضاً وبالتدريس في المعاهد الدينية أو المدارس الإعدادية والثانوية .

هذا بخصوص المناهج والتدريس بالنسبة لكليات أصول الدين خاصة والكليات النظرية عموماً . وإن كنت أرى وضع حوافز مالية لطلاب كلية الدعوة لحفزهم على مواصلة الدراسة بها وعدم الهروب خوفاً من أن يتم تعيينهم أئمة بالمساجد .

لذلك ولما كان الأزهر قد أنشئ لتكون وظيفته الأساسية الدعوة إلى الله ونشر الثقافة الإسلامية في الداخل والخارج . كان لابد من تشجيع الإقبال على الكليات التي تخرج هؤلاء الدعاة والأهتنام بها - خصوصاً بعد أن أصبح من حق الطالب الأزهرى الحصول على الثانوية الأزهرية أن يلتحق بالكليات العلمية ليتخرج منها طبيباً أو مهندساً أو محاسباً ،

وإذا جاز لبعض المعاهد العلمية والكليات العسكرية أن تعطى حوافز مادية لتشجيع الطلاب على الالتحاق بهذه المعاهد وهذه الكليات لحاجة الدولة إليهم كما في المعاهد الفنية العسكرية والكلية الحربية وكلية الشرطة التي تتكفل بتعليم الطلاب مجاناً وإعظائهم مرتبات شهرية طيلة مدة الدراسة عدا الإنفاق عليهم من مأكلاً ومشرباً وخلقه وذلك لحاجة الدولة إلى هذه التخصصات وما تعطيه بعض الوظائف

لموظفيها من بدلات ومنح مالىة ووضعهم على درجات خاصة وسرعة ترقيتهم نظير مايندونه من جهد أو لإهمية هذه لوظائف في الدولة مثل القضاء والجيش والشرطة والجامعات وخلافه . فإنه أصبح من المحتم خصوصا في هذه الأيام التي طنت المادة فيها على كل شيء أن تتألف قلوب طلاب الأزهر بتشجيعهم على الإقبال على هذه الدراسة والعمل بوظيفة الإذاعة أو الوعظ التي يفرون ويعملون كل ما في وسعهم للهروب منها - حتى أصبحت كليات الأزهر الأصلية تكاد تكون مقصورة على ذوى العاهات ومن وقتت امامهم اللوائح والنظم فمنعتهم من الإلتحاق بغيرها - بل أصبح أساتذة هذه الكليات ينفرون من الخاق أبنائهم بها وفضلوا عليها الكليات الأخرى، العملية على اعتبار أن - المستقبل لها والأعمال منفتحة أمامها أو هكذا يقولون] .

ماذا لو يتكفل الأزهر بالإنتفاق على الطلاب الذين تعدهم الجامعة لوظائف الإمامة ؟

ويعيد لهم المساعدات المالىة الشهرية التي كانت تمنح لكل طلاب الأزهر في الماضى ؟

وماذا لو تكفلت الجامعة بصرف الكتب الدراسية لهم بالمجان ؟

أعتقد إنه لو تم ذلك فيكون هناك إقبال منقطع النظر على هذه الكليات وهذه الأقسام بالذات .

كما أرى أن يتم الإنتفاق مع وزارة المالىة على منح الأئمة والوعاظ مرتبات خاصة كمرتبات الشرطة والجيش ورجال الإعلام لتشجيع الإقبال على هذه الوظائف - حتى للإمام أن يعيش كريمة وأن يظهر بالظهور اللائق الذى يتناسب مع وظيفته .

وصل بل العالم الإسلامى كله فى حاجة ماسة خصوصا فى هذه الأيام التي غلبت فيها المادية وأنتشر فيها الإلحاد إلى التخصصين فى الدعوة الإسلامية وباعداد كبيرة .

كما أرى أن يتم الإنتفاق مع وزارة المالىة على منح الأئمة والوعاظ مرتبات خاصة كمرتبات الشرطة والجيش ورجال الإعلام لتشجيع الإقبال على هذه الوظائف - حتى

يمكن للإمام أن يعيش عيشة كريمة وأن يظهر بالمنظر اللائق به الذي يتناسب مع وظيفته .

ومصر بل العالم الإسلامي كله في حاجة ماسة خصوصاً في هذه الأيام التي غلبت فيها المادية وانتشر فيها الاتحاد إلى المتخصصين في الدعوة الإسلامية وابعاد كبيرة .

ضرورة الإبقاء على الشعب :

وإذا كانت الظروف الاجتماعية والسياسية قد فرضت على الأزهر هذا التطوير وفرض التطوير هذا التوسع في التعليم الديني الذي نتج عنه هذا الضعف، فإن الظروف الاجتماعية أيضاً قد فرضت وجود تخصصات كثيرة أصبحت ضرورة من ضرورات هذا التطوير - لاشك أن وجود هذه التخصصات في هذا العصر أصبح أيضاً ضرورة بسبب عدم إمكان وجود الإنسان - المتنوع لإكثر من تخصص كما كان في الماضي - ولتشعب هذه التخصصات وظهور تخصصات أخرى كثيرة ورضتها ظروف التوصى في التعليم وظهور علوم جديدة انفصلت عن علوم أخرى وصار لها استقلالها وتفرداها، بعد أن كانت مجرد جزئيات في علوم أخرى وظهرت علوم كثيرة انفصلت عن غيرها كعلم الإعلام الذي أصبح له أبناء كثيرون ينتسبون إليه بل لم يعد مجرد علم أوحى قسم وإنما صارت هناك كليات خاصة بالإعلام اشتملت على عدد من الأقسام وهناك علوم كثيرة تنتسب كلها لعلم واحد اسمه الإعلام - وما يصدق على علم الإعلام يصدق على علوم أخرى تفرع منها علوم جديدة كثيرة - كعلم الدعوة الذي انفصل عنه علوم - (فقه الدعوة - وتاريخ الدعوة - ومناهج الدعوة - وعلم الخطابة وفن الإلقاء) وغير ذلك من علوم إستحدثت صار لها كليات مستقلة اسمها كلية الدعوة التي أصبحت تعنى بتخريج الدعاة المتخصصين المدارس لعلم الدعوة نظرياً وعملياً ولم يعد مسلماً أن يقال أن كل خريج الأزهر دعاة وبخاصة بعد الذي عرف عن موقف الخريجين العاملين في مجال الدعوة من المتخرجين حديثاً .

وبعد الذي عرفناه عن مستواهم العلمي، فلو وضعوا للعمل في هذا المجال لكانت حجتهم دائماً أنهم لم يتخصصوا في علوم الدعوة .

إن الحاجة التي دعت في الأربعينات إلى إفتتاح قسم الوعظ والإرشاد بكلية أصول الدين هي نفسها التي دعت إلى إفتتاح قسم الدعوة والثقافة الإسلامية في الستينات وعنى نفسها التي دعت إلى أنشاء كليات الدعوة في السبعينات .

ولقد انفصل عن كلية البناء الإسلامية بجامعة الأزهر كليات أخرى كثيرة كالطب والتجارة والعلوم - والدراسات الإسلامية - والدراسات الإنسانية (الأداب) ثم بدأت تنفصل بعض الأقسام عن كلياتها لتصبح كليات مستقلة كالصيدلة وطب الإنسان إلى غير ذلك من كليات كانت مجرد أقسام في كليات أخرى .

وهكذا اقتضت ظروف العصر ظهور التخصص العلمي الدقيق حتى وجدنا الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تنشيء كلية القرآن وكلية للسنة بجانب كلية أصول الدين والدعوة ووجدنا هذه الجامعة تدرس مواد في التفسير والحديث هي في كليات أخرى مجرد موضوعات لعلوم أخرى .

ثم ها هي كليات جامعة الأزهر تنشأ بها بين الحين والحين أقسام جديدة وكليات جديدة كما هو الحال بالنسبة للجامعات الأخرى - وقد نسمع عن كلية للإقتصاد بجامعة الأزهر أو للإحصاء أو للإعلام كما حدث بالجامعات المدنية .

ولاشك أن الكلية أقدر على خدمة العلوم المنتسبة إليها تخصصياً أكثر من خدمة هذه العلوم ما لو كانت تحت إدارة قسم تابع لكلية .

بمعنى أن علوم الدعوة أو الاقتصاد أو غيرها ستلقى اهتماماً أكثر ما لو كانت هذه العلوم هي أساس إنشاء الكلية وإدارة الكلية وأساتذتها هم أهل التخصص - فالكل غير الجزء .

ومن هنا فإننى أرى أن إنشاء كليات مستقلة للدعوة في مصر من ضرورات هذا العصر كما أن التركيز على تخريج الدعاة المتخصصين في هذا العصر ضرورة أيضا - وبخاصة إن حاجة الدولة لائمة المساجد تضطر القوى العاملة إلى تكليف خريجي كلية أصول الدين جميعاً للعمل بوزارة الأوقاف برغم عدم كفايتهم لهذا العمل حيث أن أقسام العقيدة والتفسير والحديث بالكلية لا تدرس مواد الدعوة كما أنهم لم يدرسوا في أى عام من أعوام الدراسة المادة التى يجب على جميع الأئمة تعلمها وهى مادة الخطابة التى ألغيت من كلية أصول الدين بالقاهرة التى لا تدرس إلا لطلاب شعبة الدعوة (الثالثة والرابعة) وعندهم في عام ٨٣/٨٢ كان على مستوى الكلية كلها (سبعون طالبا) فقط معظمهم من الأجانب .

وهذا فإن نقص الدعاة وضعف مستواهم العلمى يحتم تدعيم كليات الدعوة وإنشاء كليات أخرى حيث أن الدول المتقدمة تعمل دائما على سد العجز والقصور في أى تخصص من التخصصات بالتوسع في الدراسات المتعلقة بهذا التخصص - كما إنها تغلق أحيانا الأقسام أو الكليات التى لم تعد للدولة في حاجة إليها ، ولا شك إن الدولة في حاجة إلى عدد كبير من الدعاة المتخصصين لسد الفراغ الدينى الموجود الآن في مصر والعالم الإسلامى ، وتلبية حاجة المساجد الكثيرة المنتشرة في جميع أنحاء البلاد .

ولذا فإننى أرى أن تكون كل الكليات التى يوافق على إنشائها بالأقاليم كليات للدعوة ولا داعى للإكثار من الكليات الأخرى التى لا تحتاجها البلاد في هذا الوقت .

وقد يقال أن كلية أصول الدين تكفى لتخريج الدعاة المطلوبين والجواب إلا أنه بالإضافة إلى ما ذكرناه من ضرورة الإهتمام بعلوم الدعوة والتخصص الدقيق في الدعوة والإرشاد لابد من أن نعرف أن أقسام كليات أصول الدين هى (العقيدة - التفسير - الحديث - والدعوة - والثقافة الإسلامية) .

أولا : بالنسبة لقسم الدعوة بكلية أصول الدين بالقاهرة يجب أن يضم لكلية الدعوة لأنه لا داعى لهذا الأزدواج .

ثانيا : أقسام التفسير والحديث والعقيدة بمناهجها المعمول بها الآن لا يمكن لها أن تخرج دعاة لأنها لا تدرس أى مادة من مواد الدعوة وفن الإلقاء ، كما أن طلاب هذه الأقسام لا يدرسون ولا يتدربون على الخطابة وهى أهم وسيلة من وسائل الدعوة - وبالتالي فهم لم يؤهلوا بطبيعتهم للقيام بوظيفة الواعظ أو الامام وبالتالي فهم لا يصلحون إلا للتدريس بالأزهر فى مواد تخصصهم أو مدرسون للتربية الدينية بوزارة التربية والتعليم .

ومعنى هذا أن كليات أصول الدين بوضعها الحالى ليست كليات تخريج الدعاة .

ثالثا - قد تضطر الدولة إلى تعيين خريجي أصول الدين وأحيانا كليات أخرى للعمل فى حقل الدعوة لثقله عدد الائمة لذا يتحتم تدريس مادة واحدة على الأقل فى جميع سنوات - الدراسة والكليات الدينية الثلاث (أصول الدين - اللغة العربية - الشريعة) وهى مادة التدريب على الخطابة على أن يدرّب الطلاب على الخطابة العملية وحتى إذا لم يعين خريجوا هذه الكليات رسميا فى الإمامة أو الوعظ فإنهم غالبا ما يقومون بالقاء خطبة الجمعة فى أماكن سكناتهم لما تطوعا أو بالأجر - ولذا فيجب على جميع خريجي الأزهر أن يكونوا مدربين على الخطابة دارسين لعلم الدعوة وأساليبها - بل إنى أرى أن تقرر مادة (الدعوة والخطابة) على طلاب الثانوى الأزهرى ليكون النفع أكبر وأكثر .

بالإضافة إلى أن دراسة النظم الإسلامية وتاريخ المجتمعات وعوامل التأثير فيها من أهم ما يحتاجه الدعاة .

وقد بدأت الدراسة بكليتى الدعوة بالقاهرة والمنوفية فى العام الجاهى ١٩٧٩/٧٨ بدأت فى القاهرة بـ ١٠١ طالب وفى المنوفية ٣٦ طالبا فقط وتم إختيارهم بعد إمتحان قبول لهم - وقد ثبت أن هذه الدفعة والتي تليها كانتا من أحسن مستويات الكليتين بل لا أبالغ حين أقول أنهم كانوا من أحسن مستويات جميع الكليات النظرية والدليل على ذلك ما قاموا به من نشاط كبير فى التوعية عن طريق القوافل التي جابوا فيها أكثر

أنحاء الجمهورية اثناء نتيجة إمتحانهم في السنة النهائية والتي زادت على ٩٠ ، ٩٤٪ وقد تبين بعد الممارسة العملية للتدريس في الكلية فإنه في الإمكان الإكتفاء بضمين فقط من الأقسام الثلاثة وهما قسم (الإعلام الإسلامي وقسم الأديان) حيث تبين أنه لا يمكن وضع حد فاصل لما يسمى قسم الثقافة الإسلامية وبخاصة في الدراسات العليا التي يجب أن تكون مواد كل قسم من أقسامه محدد ولا يخرج عن التخصص الدقيق الذي تبين عدم إمكان تحديده بالنسبة للثقافة الإسلامية بالذات .

قسم علم النفس والاجتماع :

أرى ضرورة إنشاء قسم آخر لعلم النفس والاجتماع الإسلامي وهو القسم الذي لا يوجد بأى كلية من كليات الجامعة والذي أرى أنه الصق بكلية الدعوة وغيرها من الكليات - حيث أرى أن الدعوة للإسلام يجب ألا تقتصر على الأئمة والوعاظ ، وإنما تكون الدعوة للإسلام عن طريق الإشراف الإجتماعي في دور التعليم والمنتديات والوحدات الإجتماعية المنتشرة في جميع أنحاء البلاد كما أن مواد علم النفس والاجتماع هي من المواد الضرورية للداعية التي يجب أن يدرسها حتى يعرف نفسيات الناس وأنماط حياتهم ليعرف أسلوب الدعوة الذي يتناسب معهم .

كليات الدعوة الحديثه :

تصوري الحثالي لما يجب أن تكون عليه كلية الدعوة لازلت أعتقد ضرورة وجود أقسام بكل الكليات نظرا لعدم إمكان توفر الخريج المستوعب لأكثر من تخصص ولأن الجامعات الأجنبية تشترط تخصصات معينة محددة لخريجي كلياتنا ولأعضاء هيئة التدريس في هذه الكليات، وبالنسبة للأقسام التي أرى ضرورة وجودها بكلية الدعوة فهي كما يلي :

١ - قسم الوعظ والإرشاد : وذلك لتخريج الوعظ وأئمة المساجد .

٢ - قسم الإعلام الإسلامي : وذلك لتخريج الدعاة الإعلاميين الذين يقودون

وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة وتلفاز إلى بث دعوة الإسلام عن طريق هذه الوسائل المهمة والمؤثرة أكثر من غيرها .

٣ - قسم علم النفس والإجتماع الإسلامى : وذلك لتخريج الاخصائى الاجتماعى والرائد المسلم لطلاب المدارس والجامعات والوحدات الاجتماعية بالمدن والقرى الدارس لعلوم الدعوة والمؤهل لهذا العمل الإسلامى عن طريق دراسته للدين وعلم النفس والإجتماع الإسلامى (وقد اخترت موضوعين فى علم النفس الإسلامى لاثنين من المعيدى بكلية الدعوة توطئة لتخريج المتخصص فى علم النفس وعلم الإجتماع الإسلامى . وقد نوقشت الرسالة الأولى أول أكتوبر ١٩٨٣ م وشاركت فى مناقشتها) كما نوقشت رسالتان اخريان عام ٨٦ ، ٨٧ م

ويمكن البدء بالتخصص من السنة الأولى لكل قسم من هذه الأقسام بعد عمل مناهج خاصة لكل قسم على أن تكون العلوم الإسلامية الاصلية (علوم المقاصد) كالتفسير والحديث والفقه والتاريخ الإسلامى هى القاسم المشترك بين جميع الاقسام - ويجب أن يتم التوفيق عند إختيار طلاب هذه الكلية وضرورة عمل إختيار شخصى لطلابها لأنها كلية ذات اعتبارات خاصة - كما أن تتوفر فى طلابها قدرات خاصة وشروط معينة أسوة بما يتبع مع طلاب الكليات العسكرية وبعض الكليات التى تتطلب مهارات معينة كمعاهد التمثيل والكليات الرياضية وكليات الفنون وغيرها .

كما يجب وضع حوافز نظير ذلك لطلاب هذه الكلية - وبراعى وضع حوافز أكبر لطلاب قسم الوعظ والارشاد بالذات مع ضرورة حفظ طلاب هذا القسم للقرآن الكريم كله .

هذا بالنسبة لأقسام الكلية كما أتصورها :

وأما بالنسبة للمناهج فيجب إشراك عدد من المتخصصين فى هذه العلوم من خارج الجامعة بالإضافة إلى المتخصصين فيها لوضع مناهج هذه الأقسام بما يتناسب مع المتطلبات الحقيقية من هذه الكلية .

وبالنسبة للأساتذة :- فيجب أن يراعى مايلي :-

أولاً : بتعيين العدد الكافي فيها من أعضاء هيئة التدريس والتدقيق كثيراً عند اختيارهم والذين يجب أن يكونوا قسوة في العلم والعمل والسلوك

ثانياً : يجب ضم جميع أعضاء هيئة التدريس بقسم الدعوة بكلية أصول الدين بالقاهرة لكلية الدعوة بعد ضم قسم الدعوة إليها وإلغائه من أصول الدين ويمكن الإبقاء على القسم كما هو لمدة سنتين حتى يتم تخرج طلابه . مع رفض قبول طلاب جدد فيه . وذلك لإختلاف مناهج القسم عن مناهج الكلية .

بالنسبة للكتب :

يجب تشكيل لجان لتأليف الكتب بالكلية أو لجمع مؤلفات الأساتذة وطبع الكتب الدراسية المشتركة منها الملائمة للمناهج والموضوعات المقررة ومنع عمل المذكرات الخاصة وقد جربت ذلك أثناء توليتي عمادة الكلية وأشركت جميع أساتذة قسم الدعوة بكلية أصول الدين مع أساتذة كلية الدعوة في التأليف والتدريس بالقسم والكلية معاً وقد نجحت هذه الفكرة نجاحاً كبيراً وظهرت كتب علمية ممتازة تتناسب مع المقررات الدراسية وعند ساعات الدراسة .

كما يجب أن تقوم الجامعة بتزويد طلاب كلية الدعوة بأمهات الكتب وأن تهيب مكتبات خاصة بهم تحوّلها الجامعة بالإشتراك مع وزارة الأوقاف أو المجلس الأعلى للثقون الإسلامية وكذا مجمع البحوث الإسلامية .

ونظراً لضرورة تواجد الطلاب يومياً بالكلية لممارسة التدريب العملي وتشجيعاً أيضاً على الإلتحاق بهذه الكلية التي تحتاج إلى تدريبات عملية مستمرة فإنني أرى أن تخصص الجامعة لهم نسبة كبيرة من الإسكان الجامعي ليكون ذلك من بين الحوافز التي تحفزهم للإلتحاق بهذه الكلية .

وبالنسبة للدراسات العليا :

يجب ان تفتح الدراسات العليا فوراً للراغبين فيها من خريجي كلية الدعوة وفي التخصصات الثلاثة التي اقترحتها - أو التي تراه اللجنة التي يمكن أن تشكل لهذا الغرض .

الدراسات الحرة :

ولا يفوتني ذكر القسم الحر للدعوة الإسلامية هذا القسم الذي أصبح من ضرورات هذا العصر . حيث تجرأ العوام وغير المتخصصين على اعتلاء المنابر والقاء الدروس والمحاضرات في المساجد ، ظناً منهم أن هذا العمل غير مقصور على أحد ، وأن في إمكان كل الناس أن يتعرضوا للدعوة وأن يتصدوا للافتاء والوعظ ، ونقدت عن ذلك ظهور أفكار خارجة على تعاليم الإسلام وإنحراف كثير من الشباب نتيجة تأثرهم بهؤلاء الدعاة المدسوسين على الدعوة ولهذا فإنه من الواجب منع أمثال هؤلاء من ممارسة الخطابة أو الوعظ - أو القاء الدروس قبل حصولهم على شهادة صلاحية لهذا العمل يستطيعون الحصول عليها بعد دراسة تخصصية مستوعبة عن طريق قسم الوعظ والارشاد الحر الذي يمكن ان تشرف عليه كلية الدعوة إشرافاً كاملاً ، ويقوم أعضاء هيئة التدريس بالكلية بالتدريس فيه بعد وضع المناهج المناسبة والملائمة لهم ، على أن يكون طلاب هذا القسم الحر ممن يحفظون قدرًا كبيراً من القرآن الكريم . ويمكن وضع شرط للراغبين في الالتحاق بهذا القسم وهو الحصول على شهادة الثانوية أو مايعادها على الأقل وتكون الدراسة بهذا القسم مماثلية ولدة عامين على الأقل يحصل بعدها الطالب على شهادة تؤهله لممارسة الدعوة رسمياً في المساجد والأماكن العامة .

وإذا تم ذلك فإنه في الإمكان منع غير الحاصلين على هذه الشهادة من الدعوة والافتاء :-

هذا ويمكن افتتاح قسم عال (دراسات عليا) فى الدعوة والإرشاد لجميع الحاصلين على مؤهلات عليا جامعية وبشرط حفظهم لعدد معين من أجزاء القرآن الكريم بعد عمل اختبار خاص بهم - ومعرفة إمكاناتهم العلمية وتوفير الشروط التى تؤهلهم للقبول بهذا القسم وتوضع لهم مناهج خاصة بهم يركز فيها على (التفسير والحديث والفقه والسيرة والأديان والأخلاق وعلوم الدعوة وتكون الدراسة بهذا المعهد لمدة ثلاث سنوات يسمح بعدها للحاصلين على تقدير جيد أو جيد جداً بتسجيل رسائل ماجستير فى علوم الدعوة - ويمنح غير الحاصلين على هذا التقدير درجة الدبلوم فقط - وقد نجحت هذه الطريقة بالمعهد العالى للدعوة الإسلامية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض الذى تحول بعد ذلك إلى كلية الدعوة وقد تبين لى بعد ممارسة العمل بهذا المعهد أن عدداً لا بأس به من طلابه حصلوا على تقدير ممتاز . ثم كانت المفاجأة حين تبين أن معظم المتفوقين من الأطباء والمهندسين وخريجي الكليات غير الدينية وأنهم تفوقوا على خريجي الكليات الدينية الذين التحقوا معهم بالمعهد . وقد كان من بين طلاب هذا المعهد (أستاذ مساعد بكلية العلوم بمصر) وكان معارفاً بجامعة الرياض - ودكتور مهندس حاصل على شهادتى دكتوراه واحدة من مصر والأخرى من ألمانيا - بالإضافة إل عدد من الأطباء والمهندسين والمحاسبين وكنتم أعرف كثيراً من هؤلاء الطلاب كبار السن الذين التحقوا بهذه الدراسة عن رغبة قوية وتصميم أكيد - وكانوا يدرسون العلوم الدينية عن عقيدة واقتناع - وكنتم أقوم بتدريبهم على الخطابة فى أحد مساجد مدينة الرياض فكانوا يتبارون جميعاً فى القاء الخطبة - وقد حصل الكثيرون منهم على درجة الماجستير من هذا المعهد الذى أنشئ عام ١٩٧٦م وتقدم بعضهم لجامعة الأزهر لمحاولة التسجيل للدكتوراه ولازال موضوعهم قيد البحث فى لجنة المعادلات .

هذا وفى مصر وغيرها من البلاد العربية والإسلامية الكثير ممن يتمنون الالتحاق بالكليات الدينية لدراسة الإسلام بعد أن فرضت عليهم نظم تعليمية أخرى وجهوا إليها مرغمين أو تحت تأثير أفكار معينة وكانوا لا يزالون فى سن المراهقة والشباب وهم

الآن يرغبون في التوجه العلمى السليم للدراسة وفهم الإسلام - وقد التقيت بكثير من هؤلاء في أماكن كثيرة في الداخل والخارج وهم ينتظرون من جامعة الأزهر فتح الباب أمامهم للدراسة الإسلام ولو لم يحصلوا على مؤهلات علمية .

ويكفى أن نعرف أن عشرات الخريجين من الجامعات المدنية يترددون على كلية الدعوة وكلية أصول الدين للسؤال عن إمكان إلحاقهم بالسنة الأولى بالكلية إلا أن اللوائح تمنع قبول غير الحاصلين على الثانوية الأزهرية .

كما أن إلحاق عدد من خريجي الكليات، الأزهرية بالسنة الأولى بكلية الدعوة بالقاهرة وبعضهم من أطباء مستشفى الحسين الجامعى دليل على رغبة الكثيرين فى الإلتحاق بالكلية لدراسة الإسلام على وجهه الصحيح ولتعلم أساليب ووسائل الدعوة التى تهتم بها الكلية اهتماماً كبيراً .

أهمية بقاء أسم كلية الدعوة :

لقد أصبحت كليات الدعوة الإسلامية برغم حداثةها هى أمل جماهير المسلمين فى تخريج الدعاة المتخصصين المثقفين بالثقافة العصرية الحديثة : الدارسين لوسائل الدعوة الصحيحة وأساليبها المتعددة - وذلك بعد ثبوت العجز والقصور فى خريجي الكليات الأخرى المعينين بالإمامة خلال العشر سنوات الماضية .

هذا وأن إسم الدعوة الإسلامية إسم حبيب إلى نفوس المسلمين الذين يأملون فى سيطرة الإسلام ودعوته على المجتمع كله - ولا شك أنه الأصل وهو الأولى بالبقاء من غيره من أسماء وهو إسم جامع لكل مسميات كلياتنا الدينية .

ولعل هذا هو السبب فى إنتشار هذا الإسم بسرعة فى كثير من البلاد الإسلامية فقد أفتتحت كليات للدعوة الإسلامية بكثير من الدول الإسلامية خاصة المملكة العربية السعودية - كما أنشئت أقسام للدعوة بجامعات الكويت وإبوظبى والجزائر والمغرب .

وتنتشر كليات الدعوة وأقسام الدعوة في جميع أنحاء البلاد الإسلامية لإحساس هذه البلاد بالحاجة الماسة للدعاة المتخصصين الدارسين لعلوم الدعوة وفنونها .

ولاشك أننا أولى الناس بالمحافظة على هذا الأسم والعمل على الأكتار من هذه الكليات المتخصصة التي يجب أن توفر لها معامل الصوتيات - والأجهزة اللازمة للتدريب العملي على فن الإلقاء وتوصيل المعلومات عن طريق أجهزة الإرسال المختلفة مع الاستعانة بالخبراء والمتخصصين في هذه المجالات .

موقف الإستعمار الإنجليزي من الأزهر والتخطيط للقضاء عليه :

الحقيقة أن التاريخ لا ينسى موقف الأزهر الوطني في سنة ١٩١٩ ومناهضته للإستعمار الإنجليزي ووقوفه في وجه هذا الإستعمار وقفات نابغة عن العقيدة الدينية التي كان لها أثرها في إشتعال الوعي الديني والوطني ومن هذا التاريخ تأمر الإستعمار على الأزهر وفكر المستعمرون في إضعاف سلطته وتغيير وضعه، حتى تستقر اقدامهم في مصر خصوصاً وقد استقر في نفوسهم أن قوة الأزهريين مستعدة من عقيدتهم الدينية ولذلك بدأ الإستعمار بوضع العقبات التي تعوق الأزهر عن أداء واجبه ولذلك رأينا أحد ساسة الإنجليز قول (إن قدم لا تستقر في مصر مادام الأزهر يدرس هذا الكتاب) يعنى : (القرآن الكريم^(١)) .

ومن هذا التاريخ أيقن الإنجليز أن العقيدة الدينية هي مصدر تعبههم وهي أقوى العوامل لمقاومة الإستعمار لهذا عنوا بدارسة نظم الأزهر - ووضع الخطط التي تغير من نظامه حتى يخضعوه .

وقد ربط اللورد كرومر في كتابه (مصر الحديثة) الإحتلال وتنفيذ سياسة الإستعمار بإضعاف الأزهر وتغيير نظامه حتى يطغى عليه منهج التعليم المدني - وينصرف عنه الناس بحجة توحيد التعليم - وأهدف من هذا أن يقع الأزهر تحت سيطرة إحدى الوزارات فيتمكن المستشار الإنجليزي (دانلوب) الذي كان يسيطر على التعليم المدني من إضعاف الأزهر بواسطة الحكومات السابقة الضعيفة - وقد رسم

المستعمرون لذلك سياسة لحمل الأزهر على الإندماج في وزارة المعارف - (ويقول اللورد كرومر في كتابه مصر الحديثة^(١) .

إذا تعذر إندماج الأزهرى في الوزارة فلا بد من رعاية أمور ثلاثة في معاملة الأزهريين :

١ - حرمان الأزهريين من وظائف الدولة الكبرى مخافة إستغلال عقيدتهم في مجال وظيفتهم .

٢ - عدم تسوية المؤهلات الأزهرية بالمؤهلات المدنية في القيم المادية حتى ينصرف الناس عن الأزهر .

٣ - إضعاف السلطة التى تربط بين التعليم الدينى والتعليم المدنى - وقد كان من أثر ذلك إلغاء التعليم الدينى بالمدارس الإلزامية حينذاك - ولما قام الحبرون من أهل الغيرة بإنشاء جمعيات لتحفيظ القرآن - سلطوا عليها وزارة الصحة لتغلغها بحجة أن امكتها غير صحية .

ولا أقول ذلك لأنى أرى أن التطوير الحالى هو تنفيذ لسياسة الإستعمار أو قصد به أساسا إلغاء الأزهر .

ولكنى أرى فيما اطالب به أدخل المواد الدينية بالمدارس والإهتمام بها مع ضرورة الإهتمام بمكاتب تحفيظ القرآن ورعايتها والتوسع في إنشاء المعاهد الدينية في جميع المحافظات مع الإهتمام بتحفيظ القرآن على أساس منح حوافز مادية وأدبية والتقليل من عدد المواد التى يدرسها طلاب المعاهد الأزهرية وصولا إلى ما نبغيه من نهضة الأزهر وصلاحه وتطوره تطورا حقيقيا لمصلحة الإسلام والمسلمين خصوصا إذا أضيف إلى ذلك ما اقترحت من التزام المناهج وتدريبها والتشجيع على التأليف بالنسبة للأساتذة وربط الطلاب بالدراسة وتشجيع الإقبال على الكليات التى تخرج الأئمة والوعاظ وغير ذلك من مقترحات ضمنتها الفصل السابق .

وإلا فنحن بهذا التطوير نكون قد نفذنا فعلا خطة دانلوب وتخطيط كرومر وتنفيد

سياسة الإستعمار بإضعاف الأزهر وتغيير نظامه حتى ينصرف الناس عنه .

يقول الدكتور محمد البهى⁽³⁾ :

الأزهر فى رأى هو قمة المؤسسات الإسلامية فى العالم الإسلامى التى كانت تستطيع مواجهة الصليبية الإستعمارية والاركسية الألفادىة وكانت تستطيع أيضا أن تقدم للحياة الإسلامية فى مصر ووراء مصر أكبر العون فى حل المشكلات التى تبدو فى حياة الأسرة الإسلامية والإقتصاد الإسلامى والتوجيه الإسلامى - ولذلك كان يمكن أن تكون هناك قوة فكرية روحية ثالثة فى الشعوب الإسلامية تواجه القوتين العالميتين الرئوسيتين اليوم الصليبية الغربية والشوعية الدولية - ولا عورس عن الأزهر وكل يوم يمر عليه فى أزعمته يزيد فى ضعف قيمته ويقلل من الإنتفاع به فى تكوين تلك القوة الثالثة التى كان يجب أن يكون لها شأن اليوم .

ويقول الدكتور البهى⁽⁴⁾ :

إصلاح الأزهر ليس رفع مراتب ولا إعادة طبع الكتب المتأخرة ولا اقتباس نظام وزارة التربية والتعليم - ولا ملاحقة هذه الوزارة بطلب مشروعتها والإفادة من خبرة رجالها ولا زيادة كم العلماء والطلاب .

إصلاح الأزهر فكرة وتنفيذ رسالة - هى فهم الإسلام وحسن عرضه .
أيضا هذه الجمعاعات الكثيرة التى زاد عددها عن ثلاثين جماعة فى مصر وكل جماعة فى مصر منها تتخيل إنها وحدها الجماعة المسلمة التى قبضها الله لإعادة مجتمعهم الكافر إلى الإسلام ولو أدى ذلك إلى استعمال القوة وحمل السلاح - وفى المقابل كنا سنرى مجتمعا مسلما معتدلا لا نرى فيه غلوا ولا تفصييرا - والغريب أن معظم حكام البلاد الإسلامية يجهلون حقيقة هذا النظام - وقد تعلموا ودرسوا الفكر الغربى الذى يدعو لفصل الدين عن السياسة ويؤكد فكرة التخلف والجمود لمن لا يحاول الفصل بين الدين والسياسة ومعظم الحكام المسلمين مبهورون بحضارة الغرب المادية ويحاولون محاكاتها والوصول إليها ويظنون إنهم لن يلحقوا بها إذا ما عسكروا بالأفكار

الرجعية المختلفة التي يرونها وللأسف، من هيمنة الدين على النظام السياسى وترك قوانين الغرب المتطورة - من وجهة نظرهم - إلى قوانين الإسلام التي يظنونها متحجرة - والغريب أن هؤلاء الحكام ومعهم معظم المعلمين والمتقنين بهذه الثقافة الغربية المادية لا يعرفون من تطبيق الشريعة الإسلامية إلا أنها تقطع يد السارق وترجم أو تجلد الزانى وتحكم بإعدام القاتل عمدا ولذا فإنهم يحاولون ما أمكنهم أن يقفوا في وجه هذا التطبيق لأن بعضهم سيكون أول من يطبق عليه هذه الحدود وبخاصة بعد أن تفشى الفساد في مجتمعات المسلمين وانتشرت الأثرة والأنانية بين الحكام والمحكومين وتعالوا بنا مناقش المتشددين من المسلمين المغالين في فهم النظام الإسلامى الذى ساعدوا الرافضين لهذا النظام المناوئين له في محاولة إثبات عدم صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان وإثبات عدم قدرة الشريعة على إستيعاب كل حاجيات وتطلبات الانسان في هذا العصر المتشابك المصالح والأعراض .

لقد أعطى هؤلاء المغالون المتشددون الفرصة للرافضين أن يشبوا للآخرين أن النظام الإسلامى الذى يطالب به المتشددون إنما هو نظام هلامى خيالى لا يمكن تحقيقه فى الواقع وإن ما يقال عن ضرورة إقامة الخلافة الإسلامية لا يمكن تحقيقه فى الواقع كما كان رفض هؤلاء المتشددين لنظام الإنتخابات أو نظام الاحزاب باستدلالات خاطئة وتفسيرات غير مقبولة مع أن الإسلام كما قلنا لم يحدد نظاما ثابتا لإسلوب الحكم وكان ذلك من المتشددين ورقة رابحة استغلها الرافضون للنظام والملافاة به لما يواجه المسلم من مشاكل - وهى - رسالة فريدة لا يمكن لمؤسسة تعليمية أخرى أن، تنهض بها، ولذلك لا تجدى مشورة وزارة التربية والتعليم فى شأنها .

والحقيقة أن الإسلام فى يومه وغده بتأثيره قوه إلى حد ما بقوة الأزهر والجامعات الإسلامية وضعفها اليوم وبعد اليوم .

ولذا فإن الأزهر ومعها كل الجامعات الإسلامية الآن مسئولون عن ركود الفكر الإسلامى وعدم قيامه بالدور الأساسى فى الحياه المعاصره، مما يسبب ظهور الفكر

الغربي والإستشراقى والمادى الماركسى وإنتشارهما - فأعطى بذلك فرصة للكثيرين من المثقفين أن يقبلوا هذا الفكر المادى الالحادى - دون أن يجدوا فى ثقافتهم التى يحملونها وفى أنفسهم ما يناقش هذا الفكر حتى يكون قبولها نتيجة إقتناع وتأمل .

لقد إستطاع الإستعمار أن يعزل الإسلام عن الثقافة عزلا تاما إذ إستطاع أن يعزل الأزهر عن الحياة الجارية وأثر ذلك فى الجامعات الإسلامية الأخرى وأصبح العالم كله اليوم فى حاجة ملحة وسريعة إلى الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامى - حتى يقوم بالدور الإيجابى فى الحياة المعاصرة وحلاء هذا الفراغ الموجود بالإصلاح الدينى حتى يظل الوعى الإسلامى والفكر الإسلامى مجرد شعار يحمله المسلم فقط ، لا يدرك من إسلامه إلا أنه ينتسب إلى الجماعة الإسلامية فحسب .

إن الجماهير الإسلامية فى كل مكان فى بقاع الأرض ، عمالا وفلاحين ومثقفين فى حاجة إلى حل مشاكلهم عن طريق التوجيه الإسلامى حيث أن هذه المشاكل ترتبط ارتباطا كبيرا وتشترك جذورها اشتباكا قويا مع نوع الإيمان الذى يكمن فى نفوس هذه الجماهير التى ثبت أن الإتجاهات الحديثة والإدارات الجديدة التى انشئت لحل مشاكلهم خصوصا ما يتعلق منها بحياة الفلاح والعامل وحياة الجماهير على العموم - الارشاد الإجتماعى أو الخدمة الإجتماعية أو التوجيه الريفى أو مشاكل ذلك من تنظيمات قد أثبتت عدم فاعليتها وحدها دون مساعدة العامل الدينى والتوعية الدينية التى يقوم بتحمل مسئوليتها الأزهر والفكر الإسلامى الصحيح الذى يحميه الأزهر ويدافع عنه .

١ - وهناك مشكلات تتعلق بالدعاة العاملين فى ميدان الدعوة فى مصر برغم ما ذكرناه من ضعف مستوى التعليم فى الأزهر الذى يترتب عليه تخريج أعداد كبيرة لا تصلح لهذا العمل إلا إننا نلاحظ أن حاجة المساجد إلى أئمة وخلو وظائف الوعظ فى الأزهر يفرض تعيين أئمة ووعاظ لهذه الأماكن وليت الأمر يتم

عن طريق إختبارات تعقد لهم ليختار من بين هؤلاء - وهم دون المستوى كما قلنا - أفضل العناصر الصالحة لهذا العمل - وإنما يتم تعيين الخريجين بالإجبار عن طريق القوى العاملة (وزارة القوى العاملة) التي تفرض عليهم أن يكونوا وعاظاً وأئمة ويفرضون على الناس والكثير منهم لا يملك الإستعداد ولا الرغبة مع أنهما جوهر الدعوة .

٢ - ومن المشكلات التي تتعلق بالدعاة أيضاً عدم وجود مساكن للأئمة والوعاظ مما يجد من إتصالاتهم .

٣ - عدم وجود مقدار مناسبة للدعاة في كثير من المحافظات والمراكز .

٤ - صعوبة المواصلات للإنتقال إلى الأماكن النائية والقرى البعيدة .

٥ - عدم توفر المكتبات الدينية والثقافية التي يمكن أن يرجع إليها الدعاة .

٦ - سوء الحالة المادية للوعاظ والأئمة وهذا من أهم الأسباب التي جعلت الطلاب لا يقبلون على الإلتحاق بكلية الدعوة أو أقسامها بكلية أصول الدين .

٧ - توجس الكثيرين من الوعاظ والأئمة من بعض النظم الرقابية والأجهزة الأمنية المفروضة عليهم مما يجعل الكثيرين يجمون عن التقدم إلى هذه الوظيفة إشاراً للسلام - وفي بعض البلاد توجد قوانين تعاقب بمقتضاها أو يعاقب بمقتضاها بالسجن أو الحبس كل من يتعرض بالنقد أو التجريح لقرار إداري أو قانون من قوانين الدولة ولو كان من رجال الدين على سبيل النصيحة الدينية^(١) .

٨ - عدم الإهتمام بإقامة دورات تدريبية للوعاظ والأئمة وبخاصة الذين يتم تعيينهم حديثاً .

ومن هنا فإنه يتحتم علاج هذه المشكلات حتى يتمكن الدعاة من أداء رسالتهم كما ينبغي - فبتم اختبارهم قبل التخرج وبعده ومن يملكون الإستعداد والرغبة في هذا العمل لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

كذلك فإن على الدولة أن ترعاهم الرعاية الكاملة إجتماعيا وصحيا وأديبا - فتقديم لهم المقار المناسبة كالتنواذى الإجتماعية والإستراحات ، الخاصة بهم على غرار المعمول به بالنسبة للهيئات الأخرى مع تهيئة مساكن ملائمة لهم فى مقار أعمالهم وقد أحسنت وزارة الأوقاف حين أصدر وزيرها السابق الدكتور الأحدى أبوالنور قرار بعدم ضم أى مسجد أهلى للوزارة إلا بعد بناء المسكن الخاص بالإمام أو تسليم الوزارة شقة خاصة بنفس البلده التى يوجد بها المسجد - إلا أن على وزارة الأوقاف أن تقوم بحل مشكلات - الأعداد الكبريه من الأئمة القدامى والذين لا تتوفر لهم المساكن الملائمة القرية من مقار أعمالهم ويمكن التفاهم فى هذا الأمر مع المحافظات والمجالس المحليه أو بناء مساكن خاصة بهم من أموال الوزارة - كما يتحتم منح جميع الأئمة الوعاظ مكتبات تضم أهم الكتب التى يحتاج إليها الدعاه ويمكن أن تصرف هذه الكتب موزعة على عدد من الأعوان حتى لا ترهق ميزانية الوزارة بالإضافة إلى أن هذه الكتب لن تكلف ميزانية الوزارة كثيراً من الأموال وعندها من ربح الأوقاف وأمواله ما يعطى مثل هذه النفقات ويزيد - أما سوء الحاله المادية فكما ذكرت قبل ذلك فإن على الأزهر والأوقاف أن يعملوا لإقرار نظام خاص بالدعاة يناسب مع ما يقدمونه من خدمات وتناسب مع مكانتهم الأدبية التى لا تسمح لهم بممارسة أى أعمال أخرى مثلما يحدث بالنسبة لغير العاملين فى حقل الدعوة - كما أن أئمة المساجد على وجه الخصوص يتفرغون تماما لهذا العمل وليس عندهم وقت فراغ كاف لممارسة أعمال أخرى حيث إنهم يطالبون بإقامة شعائر الصلوات الخمس - هذا إذا إفترضنا إنه مسمح لهم بممارسة عمل آخر .

أما خوف الكثيرين من الدعاه من رقابة بعض الأجهزة وإمكان تعرض بعضهم للسجن أو الحبس أو الإتهام فى قضايا تخريب أو خلافه فإن ذلك يحتم ضرورة تمتع الداعية بشىء من الحصانة ويجب أن إلا يحاكم جنائياً أو يقبض عليه إلا بعد رفع الحصانة عنه عن طريق إدارة عليا للدعوه والدعاة يرأسها دعاه مثلهم أو عن طريق رياستهم المباشره وأعتقد أنه لو ووفق للدعاه على إنشاء نقابة عامة هم تتولى رعايتهم والدفاع عنهم مثلما هو حادث بالنسبة لمعظم المهنيين كنقابة الأطباء والمهندسين

والمحامين والتعليم وغير ذلك من نقابات تستوعب غالباً كل أبناء المهنة الواحدة إلى حد أنها تغطي تقريباً كل الهيئات حتى القراء والمؤذنين والمؤسقين والسينمائيين وغيرهم .

والمعروف أن قوانين هذه النقابات، التي يوافق عليها مجلس الشعب تنص على الرجوع إلى هذه النقابات عند القبض على أحد المنتسبين إليها والمشاركين في عضويتها وتقوم النيابة نيابة عنه بالدفاع وتحمل جميع النفقات والإعتراض على إجراءات القبض التي تكون مخالفة للقانون .

ضرورة إلزام الدعاة بالأساليب المشروعة :

وإذا كنا نطالب بإعطاء الدعاة حصانة تمكنهم من أداء عملهم ونطلب بعدم القبض عليهم أو التعرض لهم بسبب أعمالهم إلا بعد الرجوع لرئاستهم أو الهيئة التي يمكن أن تنشأ لهذا الغرض .

فإننا نود أن نلفت النظر أيضاً إلى ضرورة التزام الدعاة باستعمال الأساليب المشروعة للدعوة إلى الله - فإذا كان الدعاة مطالبين باستعمال كل الوسائل الممكنة للمشروعة والمتاحة للدعوة إلى الله فإننا حدد الله تعالى أسلوب التعامل مع المدعويين بقوله سبحانه :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾

فدعوة الإمام [الداعية] ليست مقصودة على مجرد الكلام فقط، وإنما يدخل فيها عملية القدوة التي تؤثر في الناس أكثر مما يؤثر الكلام وذلك بقول المولى سبحانه

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾

ومعنى هذا ضرورة التزام الداعية بهذه القواعد وعدم الخروج عليها حتى يؤثر في جمهوره الذي ينظر إليه نظرة تقدير وإحترام على أساس أنه المثال لما يدعوا إليه من مكارم الأخلاق . فإذا خرج على هذه القواعد سقط . من أعين الناس وزالت هيئته في

نظرهم . خاصة إذا وصل الأمر إلى حد قذف الآخرين أو شتمهم أو توجيه التهم إليهم وقد روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) إنه قال (إني لم أبعث سبياً ولا شتاً) كما إنه لم يثبت عن النبي ولا عن خلفائه الراشدين إنهم تعرضوا بالتجريح أو النقد لأشخاص بعينهم . وإنما كان النبي يعمم ويتحدث بالتورية على سبيل النصيحة . ومن غير أن يذكر الأسياء حتى لا يخرج شعور الآخرين مع خطئهم ووقوعهم في المخالفات فكان يقول (صلى الله عليه وسلم) «ما بال أقوام يفعلون كذا الخ» .

وقد ثبت أن نقد الحكام والتشهير بهم من فوق المنابر مع ذكر اسمائهم والتعرض لإشخاصهم ونصرفاتهم الشخصية يؤدي إلى نتائج عكسية ويتسبب في إلحاق الأذى والضرر بالدعاة وبالتالي تتأثر الدعوة بذلك - ومع أن مهمة الدعاة هي الإصلاح وتغيير الخطأ والمنكر ، فليس من حقهم أن يقولوا ما يشاءون مما يؤدي إلى الأضرار بالدعوة وأصحابها .

لا توجد حرية مطلقة في الإسلام :

والإسلام لا يعرف ما يسمى بالحرية المطلقة وكل أمر من أمور الحياة جعل له الإسلام حدوداً بحيث لا يخرج عنها أو يتعداها وإلا كان في ذلك خروج على حدود الشريعة نفسها وهذا هو ما يعرف بمفهوم العصر الحديث بإسم القانون . ولولا ذلك لصارت الحياة فوضى لا التزام فيها ولا حرية لأحد أيا كان .

وقد يتعمل بعض أئمة المساجد منابر مساجدهم لأغراض شخصية وهذا مما لا يقبله الإسلام . ولا يوجد في أى بلاد من بلاد الدنيا إنسان فوق القانون ، أو إنسان لا يحاسب على ما يقوله - وإذا كان قد إشتهر عند الناس مقولة أن أعضاء البرلمان لا يحاسبون على ما يقولونه داخل البرلمان . فيجب أن نعرف أن هذا مقصور على ما يدونه من وجهات نظر فقط - وهو يحاسب أن خرج عن الحدود التي تقررها اللائحة وفي حالة خروجه يحال إلى لجنة خاصة تحاكمه وتعلقه أن ثبت تخالفته - وتصل العقوبة أحيانا إلى حد فصله وإلغاء عضويته - وينطبق ذلك على جميع الناس بجميع

فئاتهم ومهما كانت مكانتهم - والإسلام يعطى الحق لكل مسلم أن يقاضى كل من يتعرض إليه بضرر مادي أو معنوي بغض النظر عن منصبه ومركزه الإجتماعي وعلى هذا فإنني أرى أن الإمام يمكن الرجوع عليه ومقاضاته أن تعرض للسب أو القذف لأي مواطن ولا يعطيه المسجد حصانه تمنع محاسبته على ما يقوله من التعرض والسب والقذف للآخرين .

أو إذا كان بعض الناس يرى أنه يجوز نقد الشخصية العامة فيما يتعلق بعملها على أساس أن هذا من حق المجتمع فأنا شخصياً أرى ضرورة أن يلبس هذا النقد ثوب النصح ودون حله حتى لا يؤدي ذلك إلى ردود فعل عكسية أما بعدم الإستماع إلى هذا النقد أو بالحقاق الأذى والضرر بالداعية فيؤثر ذلك على الدعوة ذاتها - وقد قيل [أن النصيحة على الملأ فضيحة] ولا أعتقد أن إنساناً وإيا كان منصبه لا يقبل النصح والإرشاد ما دام ملتزماً بحدود ما أثبتت عليه الآية الكريمة من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن - ولا بأس من أن يستعمل الداعية أسلوب التلميح أن وجد في التصريح ما يؤدي إلى الحاق به أذى يدعو إليه .

أما نقد الدعاة للجزء الخاص من الشخصية فيعتبر من قبيل الغيبة المحرمة ، فالأشخاص سلوكهم الخاص ، داخل الأسرة وهذا جزء مصون لا ينبغي لأحد أن يقتحمه ولا أن يتبعه لقول الرسول صلى الله عليه وسلم «من تتبع عورة امرئ عتبه مسلم تتبع الله عورته حتى يفضحه في عقر داره» .

ومن الأخطاء الفاحشة التي يترورط في مثلها بعض الدعاة حكمهم على بعض المسلمين غير الملتزمين بالإسلام (في ظاهر أعمالهم) بأنهم من أهل النار أو أنهم كفروا خارجون عن الإسلام فليس من حق الداعية أن يصدر أحكاماً على فلان من الناس بالكفر وإلا تحول الدعاه إلى (كنسائسيين) يعطون صكوك الغفران لمن شاءوا ويصدرون قرار الحرمان من رحمة الله لمن أرادوا .

ويقول المستشار حسن الهضيبي المرشد الأسبق لجماعة الإخوان المسلمين في

كتابه : (دعاه لاقضاء) [ليس من حقنا أن نقرر أن فلاناً بعينه من أهل النار ولو كان من غير المسلمين فربما صبقت رحمه الله فأسلم وحسن إسلامه] .

ولاشك أن الدعاء هم أطباء المجتمع، أطباء القلوب والنفوس، ولذا فإن عليهم أن يدخلوا على الناس من باب الحب والرغبة الشديدة في أن يلتقى جميعاً على الصراط المستقيم ومعروف أن الدعاه لودخلوا مع الناس في عداة لحصرت الدعوة أكثر مما تتفقد .

لك ذلك فإنا أقترح تشكيل لجنة من الدعاه لوضع ميثاق إسلامي على غرار ميثاق المجلس الأعلى للهيئات القضائية أو المجلس الأعلى للصحافة . وتوكل إليهما مهمة من يخالف هذا الميثاق والخصامة المطلوبة للدعاه تكون حامية لهم من المساءلة فقط إذا قالوا رأي الدين في مسألة مطروحة تختلف عليها الآراء ووجهات النظر، وبلطع فإن رأي الدين لايد أن يؤخذ به مهما تكون هناك آراء أخرى تخالفه .

المشكلات التي تعترض الدعوة الإسلامية في الخارج وتعوق مسيرتها :-

المشكلات التي تعترض طريق الدعوة الإسلامية في الخارج وتعوق مسيرتها كثيرة ومتعددة وقد شاء الله أن أسافر إلى كثير من دول أوروبا وأمريكا خلال السنوات الخمس الماضية وأشاهد بنفسى كثيراً من هذه المشكلات التي تحتاج إلى علاج وتضافر قوى المسلمين في كل بقاع الأرض بإعتبارهم مسئولون مسئولية كاملة ومباشرة عن عدم قيامهم بواجب الدعوة إلى الله ونشر دينه بين العالمين خاصة وأن هذا العصر هو أنسب العصور للدعوة للإسلام بخارج العالم الإسلامي وبخاصة في أوروبا وأمريكا حيث تكفل القوانين الخاصة بهذه البلاد حرية ممارسة الشعائر وإستعمال كل الأساليب الممكنة والنتيجة لنشر العقائد والأديان .

وإن كانت هناك محاولات لوقف المد الإسلامي وبحلوله عرقلة مسيرته بطرق ووسائل علمية وتخطيط مدروس فإنه يكفينا أن النظم السياسية في هذه البلاد وأجهزة الرقابة والأمن هناك ليست هي التي تتدخل لعرقلة هذه المسيرة بل إنه من

التأحية الرسمية يمكن أن تساعد وتساهم في حماية الدعاة وعدم التعرض لهم عن طريق منعهم أو إبعادهم من البلاد أو التحفظ عليهم كما يحدث أحياناً وللأسف في كثير من البلاد الإسلامية نفسها والتي قد تتعرض أحياناً لدعاة الإسلام وهودين الدولة الرسمي وتمنعهم من أن يقولوا كلمة الحق أو توجههم إلى مايقولونه حتى ولو أدى ذلك إلى تشويه صورة الإسلام ذاته .

إن في أوروبا الآن حرية شخصية للناس جميعاً فلهم حق الكلام والنشر والإعلان والدعاية حتى في وسائل الإعلام الرسمية لأن الرسميين في هذه البلاد لا يعملون لدين معين ولا يمتنعون فكراً أو عقيدة من النشر أو الدعوة إليه وليس عيباً الآن بإسم هذه الحرية أن يعتنق أفراد الأسرة الواحدة والبيت الواحد أكثر من دين - بل نرى أحياناً عدداً من الأخوة بعضهم مسيحي متحصب والآخر يهودي . والثالث مسلم والرابع لادين له وأحياناً نجد الكثيرين منهم قد إندفعوا هرباً من المادية والإنحلال إلى إعتناق البوذية أو أديان روحية أخرى بدأت تظهر وتنتشر في هذه المجتمعات .

ولسنا نرى أن المسلمين أئتمون أشد الإثم حين يتركون هذه الفرصة ولا يتحركون بسرعة ويخططون لنشر الإسلام بين هؤلاء الناس الذين هم في حاجة إلى من ينقذهم من هذا الفساد والضلال ويخرجهم من حماة الرذيلة إلى قمة الفضيلة دون جهد كبير .

ومع ذلك ورغم قصور الوسائل التي يستعملها المسلمون وتقصير الرسميين البلاد الإسلامية لنشر دعوة الإسلام - فإن أعداد كبيرة من الغربيين تدخل في الإسلام عن طواعية لمجرد معرفتهم بهذا الدين ورغم أن كثيرين منهم يعتنقون هذا الدين وهم يجهلون كثيراً من أحكامه وتشوه لهم صورته عن طريق التخطيط المدروس الذي سنتبين أن وراء القوى الخفية أو [الماسونية العالمية] والتي تحارب الأديان عموماً والإسلام على وجه الخصوص بكل الأساليب الممكنة والمتاحة والتي تتغير من عصر إلى عصر ومن مكان إلى مكان وتأخذ أشكالاً مختلفة ومسميات مختلفة حتى لا يعرف الناس حقيقتها فيحتاطون منها أو يرفضونها ويقولون أصحابها كما حدث في أوروبا يوم

أن طبع كتاب [بروتوكولات حكماء صهيون] وانتشر بين الأوربيين فهاجت الشعوب الأوربية على اليهود وقتلوا منهم أعداداً كبيرة في روسيا وإنجلترا ثم حرق منهم هتلر عدداً كبيراً في ألمانيا - وإن كانوا قد تمكنوا أخيراً وللأسف من الوصول إلى أغراضهم وأهدافهم التي خططوا لها وذكرتها البروتوكولات . والتي تظهر آثارها واضحة جلية في سيطرة اليهود على مقدرات العالم وشعوبه وأصبح كل حكام الدنيا يحكمهم اليهود [القوى الخفية] ويستغلون بعض حكام الدول الكبرى بعد أن سيطروا على إقتصاديات كل دول العالم تقريباً .

وتعتبر الماسونية^(١) أخطر وأهم المشكلات التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية في العالم الآن فعن طريقها كانت مشكلات وعقبات أخرى في داخل وخارج العالم الإسلامي : يقول اليهود في بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٥٥ .

[وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة سنحاول أن ننشئ ونضع خلايا الماسونية الأحرار في جميع أنحاء العالم وسنجدب إليها كل من يصير أو يكون معروفاً بأنه ذو روح عامة هذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل منها على ما نريد وستكون أفضل مراكز للدعاية وسوف نركز هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا - وستتألف هذه القيادة من علمائنا وسيكون لهذه الخلايا ممثلوها الخصوصيون كي نحجب المكان الذي نقيم فيه قيادتنا الحقيقة وسيكون لهذه القيادة وحدها الحق في تعيين من يتكلم في رسم نظام اليوم - وفي هذه الخلايا سنضع الجبال والمسايد لكل الإشتراكيين وكل طبقات المجتمع الثورية إن معظم الخطط السياسية معروفة لنا وإن الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني هي [الحرية - المساواة - الإخاء] وسوف لا نبدل كلمات شعارنا بل نصوغها معبرة ببساطة عن فكرة وسوف نقول : - [حق الحرية - وواجب المساواة - وفكرة الإخاء - وبها سنمسك الثور من قرنيه] .

وأما الدليل على أنهم يحاربون العقائد ويركزون الآن على الإسلام بالذات خاصة بعد الصحوة الإسلامية المنتشرة الآن في العالم فهو هذا النص من البروتوكولات [ويجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيثار - وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي ثمار

ملحدين - حتى نمكن لأنفسنا السيادة على الأرض ومن أجل هذا لن نبیح قيام أى دين غير ديننا أى الدين المعترف بوحدة إله الله^(١١) .

والغريب أن الماسونية الآن تسيطر على عقول كثير من المسلمين وقد استطاعت أن تضمهم إلى محافلها المنتشرة في كل أنحاء العالم وإن كانت بعض هذه المحافل قد غيرت أسماءها تحت مسميات أخرى خصوصاً في البلاد التي منعت نشاط الماسونية الرسمي التي إنتشرت فيها المحافل الماسونية تحت اسم نوادى [الروتارى والليونز] وغيرها ويقول هيرتزل أحد حكماء صهيون [إن المحافل الماسونية المنتشرة في كل أنحاء العالم تعمل في غفلة كقناعات لإغراضنا وإن النصارى المنحطين ليساعدوننا على استقلالنا وكلائنا من غير اليهود، ولا يحققون لنا كثيراً من السعادة^(١٢) .

ويقول أيضاً : [الماسونية لا يفهمها أولئك الخنازير الماسون غير اليهود ولذلك لا يرتابون في مقاصدنا وقد أوقعناهم في محافلنا كى تدر الرماد في عيونهم]^(١٣) .

ولنا هنا في معرض الحديث عن تفصيل أهداف الماسونية البعيدة وتوسلها بالجنس والنساء واختصر والحفلات المسجحة للأيقاع - بالاشخاص واجتذابهم إلى صفوفها . فالماسونية تحتاج إلى كثير من الأبحاث .

تورط بعض المسئولين في الحكومات العربية :

ولكننا هنا فقط نود أن ننبه إلى وقوع كثير من قيادات المسلمين والمسئولين في حكومات العالم العربى والإسلامى في حياثل هذه الماسونية من خلال نوادى الروتارى التي إنتشرت في أكثر من ١٥١ دولة وبلغ عددها أكثر ٧٠٠ ، ١٦ نادٍ^(١٤) تضم آلاف الأعضاء واعتقد أن هذه النوادى التي ينتسب إليها عدد من الوزراء والمسئولين في بعض الدول العربية وراء منع تطبيق الشريعة الإسلامية في بلادنا حتى الآن - وإن كنت أعتقد أن بعضاً من هؤلاء المسئولين قد لا يكونون على علم تام بحقيقة هذه النوادى حيث أن طبيعتهم تعتمد على السلبية وأحياناً لا يعرفها المتمون إليها قبل أن

تورطهم قيادة الماسون تررباً رسمياً - ولعلنا رأينا ما قاله [هرتزول] من أن غير اليهود لا يرتلون في مقاصد الماسونية وأن اليهود قد أوقعوهم في هذه المحافل .

والغريب أنني حين أقرأ نصوص بروتوكولات حكماء صهيون أقف كثيراً أمام هذه النصوص التي تتحدث عن مخططاتهم للسيطرة على العالم من خلال الحكام الذين يمكنون السيطرة على شعوبهم عن طريق الإستبداد وخضوع الحكومة لشخص واحد مسئول بخص لكل واحد من أتباعه ووزرائه الدور الملائم له لتسيير الأداة الحكومية - كما أقف متعجباً أمام مخططاتهم في تعليم الحكام خطط البطش والنفاق حرصاً على المصالح التي يمكن تحقيقها مع إطلاق شعار الحرية والمساواة والأخاء - وأما توريط الشعوب إقتصادياً فيتحدث عن [البروتوكول الثاني] حديثاً يؤكد كيف أن ما يعانيه العالم كله الآن من مشاكل اقتصادية هم وراءها وهم الذين خططوا لها - بل تعجب أخى القارىء حين نقرأ هذا النص .

وعلينا أن نختار من بين أفراد الشعب رجالاً للإدارة من الأتلاء الذين لم يكتبوا خبرة في شؤون الحكم وسيكون من السهل علينا أن نجعلهم كقطع الشطرنج يحركها علمائنا ومستشارونا الحكماء الذين حينئذ من المهد ليحكموا العالم^(١١) .

وأما الصحافة وتوجيهها كما يريدون والتحريض على تطاحن الأحزاب والمجالس والنيابة الشكلية ومحلولة إيجاد فجوة بين الحكام والشعوب وإقتناع السلطة بإستعمال القهر مع الشعب كل هذا يتحدث عنه البروتوكول الثالث^(١٢) .

كل هذه الأمور أيها السادة تبين إلى أى مدى تسيير الأمور وفق المخطط اليهودي العالمى وتبين أن بعض حكام الشعوب يحكمون شعوبهم بأسلوب قد لا يكونون راضين عنه وإنما هم مدفوعون إليه متورطون فيه خاصة بعد أن ورطتهم القوة الخفية [الماسونية العالمية] في ديون لا طائل لها معظمها يكون للتسلح ولذا فإن البروتوكول السابع يتحدث عن ضرورة التشدد في الخدمة العسكرية وزيادة قوات البوليس من أجل القهر وإشغال العالم في حروب تزيد الدول إذلالاً وفقراً .

المشاكل الملموسة التي تعوق مسيرة الدعوة الإسلامية في الخارج :

١ - عدم وجود التمويل الكافي للمراكز الإسلامية في الخارج مع وجود هذه المخططات التي ذكرناها والتي رتب وخطط لها اليهود وأنا أعتبر أن من أهم المشكلات الموجودة في الخارج هي عدم وجود التمويل الكافي في المراكز الإسلامية المنتشرة في أوروبا فهذه المراكز تعتمد على الجهود الذاتية وتبرعات أهل الخير - إلا أن حاجة هذه المراكز إلى أموال كثيرة تدعم بها وجودها في الخارج يضطرها إلى الوقوع تحت سيطرة بعض الدول التي توجهها وجهات سياسية معينة - وذلك نظير مساعدات هذه الدول لهذه المراكز خاصة بعد أن قل التمويل الذاتي والذي كان يتم عن طريق بعض أثرياء العالم العربي في دول الخليج وبعد أن تأثرت الأحوال الاقتصادية في هذه البلاد . وتأثرت أحوال كبار التجار وأثرياء هذه الدول بسبب هذه الحرب التي خطط لإستمرارها ويقائها لأكثر من سبع سنوات لإضعاف المسلمين عسكرياً وإقتصادياً وتفكيك وحدتهم وشغلهم عن عدوهم اللدود إسرائيل التي استطاعت أيضاً وبتخطيط من القوى الخفية العالمية أن تعزل مصر عن أخوانها من الدول العربية زيادة في التمزق وتفنت القوة وقد زرت بعض المراكز الإسلامية في أوروبا وأمريكا ووجدت أن هناك عدم تعاون بين بعض المراكز . والمراكز الأخرى بل أن بعضها يخارب البعض بعضه الآخر تبعاً لما بين الدول العربية من خلافات وإن كنت أعتز أن المراكز الأهلية غير التابعة للحكومات الرسمية أنشط بكثير من هذه المراكز الرسمية التي يرى العاملون فيها أنهم مجرد موظفين لا يعنيهم أكثر من الحضور في المواعيد الرسمية وقد سمعت عن أحد المراكز الموجودة في النما وقد كلف إحدى الدول العربية مبالغ طائلة أن بعض العاملين فيه يرفضون إستقبال أحد قبيل إنتهاء موعد الدوام الرسمي ويطلبون من يلجأ إليهم في مثل هذا الوقت أن يعود إليهم في اليوم التالي في اللواعيد الرسمية مع أن المقروض في هذه المراكز أن تكون مفتوحة الأبواب مستعدة لإستقبال القادمين إليها والمحتاجين إلى المساعدات منها سواء كانت مساعدات مادية أو إنسانية أو عقدية .

علم توفر الدعاة المتخصصين في معظم هذه المراكز الحرة التي لا تخضع للدول والحكومات وإن كان هناك أيضاً تنافس واختلافات بين هذه المراكز الأهلية حيث يغلب على من يشرف على كل مركز من هذه المراكز من أبناء بلد معين ويصل الأمر ببعض هذه المراكز إلى حد الدعاية ضد المراكز الأخرى التي يشرف عليها أشخاص من دولة أخرى خاصة إذا كان بين هذه الدول اختلافات أو قطيعة .

فالجزائريون مثلاً يشكلون أكثرية في بعض المراكز والتونسيون يشكلون أغلبية في مراكز أخرى والمصريون أيضاً . وهكذا بالنسبة لمراكز إسلامية تنتشر وبكثرة في دول أوروبا خاصة ألمانيا الغربية والولايات الأمريكية المتحدة وقد لاحظت أنه نتيجة عدم توفر الدعاة المتخصصين المدارس للإسلام دراسة مستوعبة سيطر على بعض هذه المراكز بعض الشباب من ذو الأفكار والميول الخاصة الأمر الذي أدى إلى وجود عدد من المتشددين في الدين يشرفون على هذه المراكز فأدى ذلك بالتالي إلى إيتعاد المسلمين المقيمين في الخارج عن هذه المراكز وقد رأيت بنفسى صيف عام ١٩٨٤ في إحدى المدن التابعة لولاية كاليفورنيا بأمريكا أحد هؤلاء الشباب وهو مهندس مصرى يقيم هناك منذ مدة طويلة يقوم بإلقاء خطبة الجمعة في مسجد المركز كما يلقي بعض الدروس في المسجد إلا أنني لاحظت أن هناك عدداً كبيراً من المسلمين المقيمين في هذه المنطقة يرفضون الإشتراك في عضوية المراكز وذلك لما عرفوه عن تشدد هذا الخطيب [المهندس] لتركيزه في معظم خطبه على ذكر البدع وتحريم كثير من أمور الحياة لبعض العلماء فيها آراء واجتهادات لكنه مقتنع تماماً بحريتها وقد اعتمد في فتاواه وخطبه على كتب معينة والعجيب إنها تنتشر في هذه البلاد بكثرة وفي طبعاات أتيقة وأعتقد أن وراءها يد خفية تدفع بها إلى هؤلاء الذين يتلمسون النجاة وبدون أن يتعنوا عن جو الفساد والإنحراف الذي يعيشون فيه . ولكن هيئات فلا فرق بين الغلو والتقصير لقد استمعت إلى دروس هذا الداعية المتطوع فوجدته يتحدث عن احكام وقضايا لم اسمع بها في حياتى وأعتقد أنها تنفر الناس من الإسلام وتلغع المسلمين هناك إلى المهروب من هذا الجو الإسلامى الغريب"^(١) .

وأحد الله أننى استطعت خلال شهر كامل قضيته معهم أن أميز كثيراً من هذه المفاهيم وقد جاءنى هذا الأخ قبل سفرى بيوبين بعد مقاطعتى لفترة طويلة بسبب تساهلى [من وجهة نظره] فى أمور الدين وينتهى إلى أخطائه الفاحشة ومخالفاته الواضحة لكن الله هداه بعد ذلك وجاء يسألنى عن الكتب التى يجب أن يعتمد عليها وعن الكتب التى يجب أن يتعد عنها ثم طلب منى لمكتبه المركز مجموعة من الكتب أحمد الله كثيراً لأنى أرسلتها إليه .

٣ - هيئات ومنظمات معادية

من المشكلات التى تعوق نشاط الدعوة فى الخارج أيضاً سيطرة بعض الهيئات والمنظمات المعادية للإسلام على بعض هذه المراكز ومحاولة تشويه صورة الإسلام عن طريق نشر هذه الأفكار والآراء الشاذة التى لاتتفق مع تعاليم الإسلام الصحيحة - فقد لاحظت أن هناك بعضاً من المراكز الإسلامية ترفض التعاون مع أى مركز إسلامى آخر يوجد فى المنطقة . وبعض هذه المراكز يستقل بها أبناء البلاد ممن اعتنقوا الإسلام . لكن لوحظ أن الإسلام عندهم مشوش تماماً وأن هناك كثيراً من الأحكام الشرعية التى لايعرفونها - كما أنهم يعتقدون بأمور ليس لها سند شرعى فمثلا يعتقدون أنه لايصح أكل السمك قبل ذبحه - كما يعتقدون أن الإسلام لايمنع الإختلاط ولايفرض الحجاب ولايمنع زواج المسلمة من غير المسلم . وبعض المسلمين والمسلمات لايزالون يؤمنون بأن العلاقات الجنسية هى علاقات خاصة لايتدخل الدين فيها ولايتعرض لها . وبعض هذه المراكز يشرف عليها بعض العرب الذين يبيحون لهم مثل هذه الأفعال كما يبيحون لأبناء المسلمين فى بعض الولايات الشمالية الألمانية أن يفتروا فى رمضان بعد العصر نظراً لقصر الليل وطول النهار عندهم وبعض هذه المراكز يتمى لبعض الطرق الصوفية التى تنتشر كثيراً فى بلاد أوروبا خاصة ألمانيا - (يتساهل زعماء هذه الطرق - مع أنهم أصلاً عرب ومسلمون - مع أتباعهم من المسلمين فييحون إختلاط الرجال مع النساء فى حلقات الذكر . وييحون للمسلمين شرب الخمر ويصحون للنساء بالمفهور وأشهر مكان يجتمع فيه

هؤلاء الناس في ألمانيا مكان اسمه [قهوة مدد] وهي موجودة في مدينة هامبورج بشمال ألمانيا وقد ذهبت إليها بنفسى وشاهدت ذلك بعينى رأسى .

وهذه الطريقة الصوفية تنتشر الآن كثيراً في دول أوروبا . وفي مصر يوجد لها الآن عدد هائل من المقار . وتنتشر في القرى والمدن وأتباعها كثيرون إلا أن الملفت للنظر أن غالبيتهم من المتعلمين وتدل أماكن اجتماعاتهم وما ينفق عليها من أموال على أن وراءها تمويل من جهات تملك هذه الإمكانيات الرهيبة . وقد قال لى زعيمهم في مصر بأن لهم في مصر فقط ثلاثمائة متر . والغريب أيضاً أن هذه الطريقة لم تعترف بها الطرق الصوفية في مصر حتى الآن . وهي الطريقة البرهانية) ولذا فإن السؤال الذى يحيرنى لماذا تسمح لهم الدولة بممارسة نشاطهم وعقد اجتماعاتهم العلنية ؟ بالإضافة إلى أن الدولة لا يغيب عنها معرفة أماكنات أتباع هذه الجماعة المالية والدعائية وما تملكه من مقار وسيارات وخلافه .

٤ - نشاط الكنيسة :

من مشاكل الدعوة في الخارج نشاط الكنيسة للمحوظ في أوروبا لإجتذاب أكبر عدد من المسلمين العاطلين الذين يبحثون عن عمل هناك . وقد التفت في ميونيخ منذ عامين بعدد من هؤلاء الشباب الذين أجتأتهم الظروف للسفر لألمانيا ورفض المركز الإسلامى استمرار إقامتهم فيه فأضطروا للذهاب لبعض الكنائس التى أهتمت بهم كثيراً وأخذت تشككهم في تعلمهم تعاليم المسيحية عن طريق بعض الشرائط المسجلة باللغة العربية والتي حصلت على بعضها - كما أن الكنيسة تعطيمهم معونات شهرية أويومية وتفتح أمامهم فرص ومجالات العمل على أن تظل علاقتهم بالكنيسة . ويظل أشرافها الكامل عليهم نظير حمايتهم وعدم طردهم من البلاد لعدم وجود تصاريح إقامة معهم بالإضافة إلى اغرائهم بالزواج من الفتيات الأوربيات وهم يضطرون إلى قبول كل هذه الشروط ويستسلمون نتيجة خوفهم من الطرد وأحساسهم بأنهم لو عادوا إلى بلادهم دون أن يحصلوا على بعض الأموال وثبته

لذويهم أنهم لم يضاوا فيما صمموا عليه جعلهم يقبلون هذا الوضع ومع مرور الزمن يعتادون هذا الوضع وينسون أهلهم ودينهم وشرفهم .

وقد التفتت في المركز الإسلامي بميونخ منذ عامين أيضا بأحد المصريين الذي كان قد هاجر إلى ألمانيا منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما وتوكل اسم إبراهيم وغيره إلى اسم [فيكتور] وتجنس بالجنسية الألمانية وتزوج من الألمانية طرده وطرده أولاده الألمان المسيحيون ثم عاد ليلجأ للمركز الإسلامي الذي ظن أنه سينقذه من هذا الضياع وقد عرفت منه أنه لم يكن خلال الأعوام الماضية يفكر أبداً في شيء اسمه الدين أو الوطن .

وبعض الشباب من المصريين ذهب إلى أوروبا في رحلات صيف وتووط هناك وأبتعد عن أهله ودراسته فترة ثم اندمج مع جو الانحراف والفوضى الأخلاقية الموجوده هناك وعرف أنه بعد فصله من دراسته قد أصبح مطلوباً للتجنيد فإنتظر هناك حتى يستطيع العودة إلى الوطن من غير أن يجند بعد بلوغه سن الثلاثين وهي السن التي يكتفى القناون المصري بعدها بالحصول على مبلغ من المال نظير إعفائه من التجنيد وقد ينتظر هناك للأبد .

وحين ناقشت بعض المسئولين عن المراكز الإسلامية هناك في هذه المشكلات وغيرها من المشكلات التي تواجه الشباب الضائع هناك كان الرد بأن الإمكانيات المالية للمراكز الإسلامية ضعيفة وليس عندهم القدرة لإستيعاب أو تشغيل هذا العدد الكبير بعد أن ألقى في هذا الخضم المائل من المتع الجنسية والإغراء المادي الفاحش ولكن لماذا سمح له بالسفر؟ هذا هو السؤال المطلوب الإجابة عليه .

٥ - البهائية والقاديانية :

من المشكلات التي تعوق إنتشار الدعوة في الخارج أيضا وجود مراكز أو محافل كثيرة للبهائيين والقاديانيين والذين يدعون إنتهائهم للإسلام رغم مخالفة تعاليمهم للدين الصحيح . وهذه المراكز والمحافل البهائية والقاديانية تحاول أيضا إستقطاب أكبر عدد

من المسلمين المقيمين في الخارج وضمهم إلى محافلهم ومن خلال دعوة هؤلاء بحار أبناء هذه البلاد بين هذا الفكر والفكر الذي يجذونه في المراكز الإسلامية الأخرى ومعظم أبناء البلاد الأوربية لا يعرفون هذه الخلافات الجوهرية الموجودة في عقائد هذه النحل . ولا يمكنهم التفريق بين هؤلاء وبين الآخرين في المراكز الأخرى الذين يدعون أيضا الناس باسم الإسلام . ولا أبالغ حين أقول أن نشاط القاديانية في ألمانيا بالذات أقوى بكثير من نشاط كثير من المراكز الإسلامية هناك والمباني الضخمة والمساجد الكبيرة الفخمة التي يشرف عليها القاديانيون توحى بأن أموالا طائلة تنفق على هذه الطائفة وقد لاحظت أن كثيرا ممن يشرفون على هذه المحافل القاديانية من الحاصلين على درجات عليا وبعضهم يحمل درجة الدكتوراه ودعوتهم تنصب على نشر هذا الفكر الذي تعقد له المؤتمرات السنوية في أكبر الفنادق هناك .

أما البهائيون فهم أيضا موجودون في معظم دول أوروبا ومنتشرون أكثر في بعض الولايات الأمريكية . وقد وصل عددهم في أمريكا إلى عدة ملايين ولهم أيضا مساجدهم ودعاتهم المتفرغون وقد استطاعوا أن يجذبوا عددا كبيرا من أبناء هذه البلاد من المسلمين وغير المسلمين .

ولعلنا لازلنا نذكر قصة المدعو الدكتور محمد رشاد خليفة أمام أحد المساجد الأمريكية وهو مصرى يحمل الدكتوراه في الزراعة . لكنه يتفرغ للدعوة للبهائية وقد استطاع - وللأسف أن يخدع كثيرا من أبناء المسلمين بنظريته التي طلع علينا بها تحت اسم الإعجاز العدي للقرآن الكريم ومعجزة الرقم ١٩ والذي وصل به بعد ذلك إلى تحديد يوم القيامة عن طريق فك رموز النصوص القرآنية عن طريق الأرقام وما ذلك إلا من أجل إقناع الناس بالعقيدة البهائية . وما تشمل عليه من أحكام تناقض كثيرا مع عقيدة المسلمين الصحيحة وقد أراد أن ينتهي بالناس من وراء الرقم ١٩ إلى تقديس هذا الرقم كما يقده البهائيون .

وعندي وثيقة تؤكد أن هذا الرجل عميل للماسونية العالمية التي تساند نحلتى البهائية والقاديانية فقد حصلت على صورة من بحث مكون من تسع صفحات باسم

الدكتور / محمد رشاد خليفة يتحدث فيه عما يسميه الإسلام المزيف وينقص بالقرآن وبالسنة، ما تعارف عليه المسلمون بالنسبة للأذان والوضوء والصلاة والحج . فهو يحاول أن يثبت أن الأذان الشرعى ينتهى عند الشهادتين وأن الوضوء فيه زيادات دسها أعداء الإسلام فيه . كالمضمضة والإستنشاق وسح الأذنين وأنه لاسرية فى أى ركعة من ركعات الصلوات الخمس . كما يشكك فى كثير من أحكام الحج . والغريب أن هذا البحث قد أرسل عن طريق السفارة الأمريكية بالقاهرة موقِعاً عليه من المدعوة [ليلي كلارك] إلى جريدة الأخبار المصرية لنشره فى الصفحة الدينية وقد حوّل بالفعل عن طريق أحد كبار المسئولين بالصحيفة وهو غير مسلم . إلى مسئول الصفحة الدينية لنشره . لولا أنه رفض نشره . وقد إستطعت أن أحصل على نسخة من هذا التقرير احتفظ به فى مكتبى الخاصة

٦ - الكتابة والصحافة الغربية :

من مشكلات الدعوة فى الخارج أيضا ما يكتب عن الإسلام فى كتب وصحافة الغرب . وما يدرس فى مدارس وجامعات بعض الدول الغربية عن الإسلام ورسول الإسلام ، فالمعروف أن هناك كتبا كثيرة تطبع وتُنشر فى الخارج بلغات أهل البلاد تحاول بث الأفكار الخاطئة عن الإسلام لتشويه صورته فى نظر الناس . ومكاتب دول الغرب مليئة بهذه الكتب أما صحافة الغرب فقد لوحظ أن بعض الكتاب الغربيين بدأوا يكتبون كثيراً عن الإسلام والصحة الإسلامية والمد الإسلامى ويطالبون بالوقوف فى وجه هذه الصحة وتعذير الناس من الإسلام وأتباعه وأحيانا تصور تليفزيونات وإذاعات هذه الدول المسلمين ومعاملاتهم مع الغير بصورة سيئة ، وقد رأيت فى تليفزيون النمسا برنامجا عن الأزهر وفوجئت بشيء لم أكن أتوقعه رأيت عدداً من المكفوفين جمعوهم فى أحد المساجد صوروهم وهم يتمايلون يديناً ويساراً وأماماً وخلفاً وقالوا عنهم : هؤلاء هم علماء الأزهر ورجال الدين الإسلامى ثم فوجئت بتعليق يتحدث عن معاملة المصريين لأقباط مصر وكيف أنهم يجرمونهم من أبسط حقوقهم ويعاملونهم معاملة غير كريمة . وقد إكتشفت أن هناك فى النمسا صورا

وملصقات كثيرة للأبنا شنودة ، وسمعت عن الإستقبال الحافل الذى إستقبل به فى النمسا حين زارها منذ فترة قصيرة .

والذى لأستطيع فهمه كيف سمح رجال السياحة والمسؤولون عن الأمن فى مصر أن تصور هذه الأفلام فى قلب القاهرة لتعرض الصورة السيئة عن الإسلام والمسلمين فى هذه البلاد لتخويف الناس من الإسلام وأبناء الإسلام ؟

وفى حوزتى الآن فيلم كامل عن مصر لمدة ساعتين كاملتين صور جميعه فى مصر يتحدث بالصورة والصوت والتعليق باللغة الالمانية عن أحوال مصر وتخلفها . والإتيار الإقتصادي والزراعى فيها . وهو أيضا مما يمكن أن نسائل فيه أجهزة الأمن والمسؤولين عن السياحة فى بلادنا . بل إننى أعجب لعدم تحرك العاملين فى السفارات المصرية فى الخارج للإحتجاج على عرض مثل هذه الأفلام . وفى كثير من دول أوروبا يعرفون إسم الشيخ حافظ سلامة . والشيخ صلاح أبوإسماعيل . والصحفية صافيناز كاظم ، ويعرفون صورهم وأشكالهم حيث عرضت لهم لمقطات كثيرة فى التلفزيون الألمانى مع تعليقات على أن هؤلاء هم زعماء الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية فى مصر .

ثم يركز المعلق على موضوع الحدود الذى يؤكد أنه هو المقصود من تطبيق الشريعة فى مصر . وهذا يدل دلالة واضحة على إنشغال الغرب بموضوع الإسلام وشريعته وخوفه الشديد من تطبيق هذه الشريعة التى يعرف إنها ستؤدى إلى قوة المسلمين وإضعاف نفوذ هذه الدول عليهم .

٧ - الأقليات الإسلامية :-

وإذا كانت هناك حرية فى أوروبا ويمكن علاج مشكلات الدعوة فيها بسهولة نظرا لوجود هذه الحرية فإن المشكلة الكبرى هى مشكلة الأقليات التى تعيش فى بلاد [دكتاتورية] كروسيا ودول العالم الشيوعى ففى هذه البلاد تواجه الأقليات الإسلامية كثيراً من أشكال القهر بل يصل الأمر أحيانا حين ينشطون دينيا إلى التصفية الجسدية

والتشريد والنفي ومصانرة الممتلكات وكل هذا يؤدي إلى ضغط فكري رهيب نراه دائماً موجوداً عند أبناء هذه الدول حتى مع إنعدام القهر الجسدي أو المادي والذي يتبعه فيهر نفسى يؤدي بعد جيل أو عدة أجيال إلى بعد هذه الأجيال عن الإسلام، ولذا فإنه يتحتم دعم هذه الأقليات ووقوف الدول الإسلامية وقفة رجل واحد في وجه هذه الدول إن وجدت أن هناك ضغوطاً نفسية أو فكرية أو مادية على أبناء المسلمين هناك تماماً كما تفعل الدول الغربية مع المسلمين بالنسبة للأقليات المسيحية الموجودة في بلادهم .

ويمكن لحكام دول المسلمين أن يستعملوا أساليب كثيرة للضغط كاستعمال سلاح البترول أو الضغط الاقتصادي أو التهديد بقطع العلاقات وما إلى ذلك مما يحدث لنا ويستعملونه معنا . ولعل من أسباب فيهر هذه الأقليات نقص التنظيم عندنا مع عدم وجود دعامة مؤهلين يجيدون لغة البلاد التي يقيمون فيها ويعلمون أهلها دين الله وعلى كل حال فإنه إذا كانت هذه الأقليات في حاجة إلى دعم مادي وأدبي فإننا ننتهض هم الدول الإسلامية ولدعوها إلى بذل المزيد وإن كنا ندعوهم في نفس الوقت إلى ترشيد البذل بحيث توضع في مواضعها الصحيحة .

وهذا يتطلب دراسة موضوعية لواقع الأقليات الإسلامية ووسائل الوصول إليها ، هذا بالنسبة للأقليات في الدول العلمانية والتي وضحتنا بأن السبل ميسرة لدعما بدون حواجز أو قيود مع ضرورة وضع ميزانية خاصة بدعم الإسلام والمسلمين في الخارج تحدد نسبتها في ميزانية كل دولة إسلامية ، كما تحدد الكنيسة في أوروبا نسبة معينة من مرتبات وأجور الموظفين لدعم الكنيسة وهي تصل في ألمانيا كما سمعت هناك إلى حوالي 4٪ من المرتب تودع لحساب مجلس الكنائس العالمي .

ضرورة التخطيط والتنظيم :-

الذي يجب أن نعترف به لأنه لا توجد لدى العالم العربي والإسلامي خطة واضحة المعالم لنشر الإسلام والتعريف به في المجتمعات العالمية [أوروبية أو آسيوية أو أفريقية] . وهذا ناشئ عن عدم وجود دراسة شاملة لهذه المجتمعات وعاداتها

وتقاليدها وإذا كنا قد قلنا بأن بعض المراكز الإسلامية التي لا يوجد بها دعاة رسميون متفرغون يقوم بعض التبرعون فيها بالدعوة للإسلام، وتعليمهم بعض أحكامه مع أنه قد ثبت جهل كثيرين منهم بأحكام الدين . إلا أن المراكز التي يوجد بها دعاة رسميون على [الرغم من قلتهم] غير مؤهلين من ناحية إجادة اللغات الأجنبية بالإضافة إلى أن الكثيرين منهم لم يدرس بالضبط اوضاع المجتمع الذي يدعو الناس فيه .

هيئة عالمية للدعوة :

ومع أن الحكومات كما قلت مسئولة وعليها أن تنشئ جهازا عالميا للدعوة للإسلام تكون له ميزانيته المستقلة ويتشكل أعضاؤه هذه الهيئة من ممثلين لعدد من أبناء العالم الإسلامي . إلا أنه يجب أن يساهم الأفراد أيضا ولو من زكاة أموالهم بالمساهمة في ميزانية هذه الهيئة العالمية .
وأهم من ذلك كله ضرورة توفر ثلاثة أشياء :

- أ - التنظيم
- ب - التمويل
- ج - التخطيط

ويغير هذا لن تتمكن من الوصول إلى أهدافنا وقد تؤدي أعمالنا إلى نتائج عكسية

أ - عدم إهتمام الدول الإسلامية بأبنائها في الخارج :

وقد لاحظت أن سفارات وقنصليات الدول الإسلامية في البلاد الأجنبية لا تهتم كثيرا بأبناء بلادها في الخارج وقد لا تعرف هذه الهيئات الرسمية عدد أبناء جالياتها بالضبط وإن عرفتهم عددا فهي قد لا يكون بينها وبين أحد منهم صلة .

والذي يؤسف له أن بعض السفارات والقنصليات تعرف بعض أبناءها معرفة جيدة وتجندهم لهم بعض رجال الامن الذين يتابعونهم ويضيقون الخناق عليهم ويطلبون منهم عدم الإتصال بالمراكز الإسلامية ويهددون بعضهم بعدم تجديد جوازات سفرهم

أو إبلاغ الجهات المسؤولة في بلادهم للقبض عليهم عند عودتهم إلى هذه البلاد وذلك لمجرد أنهم يظنون أن ترابط هذا الشباب وإجتاعهم المستمر بالمراكز الإسلامية ودراستهم للدين من خلال هذه المراكز . قد يؤدي فيما بعد إلى تغيير النظم الموجودة في بلادهم حيث سيتولى كثيرون منهم خاصة المبتعثون الدراسة هناك مراكز حساسة في بلادهم وبخاصة الجامعات خشية أن يتمكنوا فيما بعد من نشر أفكارهم الإسلامية التي يظنون أنها لا بد وأن تدعوا إلى تغيير النظام القائم . الأمر الذي دعا كثيراً من الشباب إلى عدم الذهاب إلى المراكز الإسلامية . خشية أن يوضعوا تحت المراقبة . أو أن يضاروا بسوء كتوقف الإعانات عنهم . أو إلغاء بعثاتهم إلى غير ذلك مما سمعته بنفسى من عدد كبير من المبتعثين الذين التقيت بهم أثناء سفري للخارج - وليس هذا خاصاً بدولة واحدة وإنما لعند من الدول العربية التي تتعامل مع أبنائها بهذا الأسلوب .

أما إذا إنحرف الشباب هناك أو ضل طريقه الصحيح فهذا شيء لا يهم القائمين على الأمر في قنصلياتنا وسفاراتنا في الخارج . وعندى بعض أساء سحبت جوازات سفرهم بسبب ترددهم على المركز الإسلامى في فيينا . كذلك حصلت على أسمين لعربيين رفضت سفارة بلادهما هناك في النمسا ان تجدد لهما جوازات السفر بحجة رفض وزارة الداخلية ذلك .

ولاشك أن هذا عائق كبير من عوائق ومشكلات الدعوة في الخارج يجب أن يقدم له العلاج وتوضع له الحلول .

وهذه الاقليات الإسلامية الموجودة في الخارج حتى من أبناء العرب والمسلمين والذين لا يجدون رعاية أو عناية رسمية . ومخشون من التردد على المراكز الإسلامية خوفاً من البطش بهم أو بسبب تخويفهم وأرهابهم من قبل سلطات الأمن التابعة لبلادهم والمقيمة هناك في سفاراتهم لهذا الغرض . فإنهم في النهاية - وللأسف يقعون فريسة الاغراءات وينسون دينهم بعد فترة نسياننا كاملاً -

٩ - تأثير المسلمين في الخارج بوضع المسلمين في الداخل : -

ونظراً لأن الوضع قاتم في معظم أرجاء أمتنا الإسلامية ونظراً للضغط الرهيب في بلاد المسلمين التي تتم مع أصحاب الصحة الإسلامية والتيار الإسلامي حتى المعتدلين منهم : فإن ذلك ولاشك يؤثر في أبنائنا في الخارج تأثيراً مباشراً ويؤدي بهم إلى إحباط شديد يكون له مردود عكسي على إيمانهم وتفكيرهم . ويدرس أولادهم في مدارس الغرب نظراً لعدم توفر المدارس الإسلامية هناك . كما يقرأون ويتعلمون عن الإسلام ما يقرأوه أبناء الغرب فينخلعون من الإسلام رويداً رويداً حتى يذويوا تماماً في المجتمع الذي يعيشون فيه يقول الدكتور محمد الملا مدير المركز الإسلامي بأسبانيا^(٧٧) المشكلة التي نواجهها في أسبانيا هي فكرة الاسبانين الخاطئة عن الإسلام ففي الكتب الدراسية هناك تقرأ سؤالاً يقول ما هو الإسلام ؟ والاجابة هودين ابتدعه رجل اسمه محمد .

كيف ابتدعه ؟

لأنه لم يكن من أشراف قومه فأراد أن يكون زعيماً - وماذا تعرف عن المسلمين ؟
والاجابة لايشربون الخمر ، ولا يأكلون الخنزير ، لا يحترمون النساء -
لماذا لا يأكلون الخنزير ؟

الاجابة لأن نبيهم كان ثملاً ذات يوم فعضه الخنزير فحرمه .
ثم يقول الرجل [الصعوبة في نشر الدعوة الإسلامية في أسبانيا هي تحضير الذهنية الإسلامية لتقبل سماع الحقيقة^(٧٨)].

ويتحدث الاستاذ أحمد بركات مدير رابطة العالم الإسلامي بكونهاجن عن أسباب عدم التخطيط وإنه من أسباب تقصير العمل الإسلامي في أوروبا فيقول :-

العمل الإسلامي في أوروبا إزداد تعقيدا وهذا في رأيي يعود إلى عدم التنسيق بين الدعاة من جهة وبين الجهات والمنظمات الإسلامية التي ترسلهم من جهة أخرى . هم يرسلون دعاة بصورة مكثفة في بلد لا تحتاج وأحيانا نجد بلداً بأكمله لا يوجد به داعية واحد ثم يقول : وأنا مع الرأي القائل بضرورة تنفيذ الدعاة وتأهيلهم قبل

ايفسادهم . ليس فقط تثقيفهم دينيا وإنما في كل المجالات ولا بد من إجراء كل الإختبارات للداعية .

ويقول الأستاذ حسن الأهدل مدير عام رابطة العالم الإسلامي بلندن في نفس العدد من جريدة المسلمون «أحب أن أوضح أن من أسباب عرقلة الدعوة الإسلامية وجود سمعة سيئة عن المسلمين لدى الفرد الأوربي فهم يتصورون أننا متخلفون وعدوانيون وإرهابيون كما أوضح لكم خطورة وجود بعض أخلاق الجماعات الإسلامية في الخارج على أسماء افرادها مثل من يسمون أنفسهم بالمحمديين أنهم لا يدرون خطورة ذلك خاصة وأن الغرب لا يعترف بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كنبى وإنما كعصاحبه له اتباعه :

هذه بعض المشكلات التي تقف عقبة في سبيل نشر الإسلام كما ينبغي وان كنت قد ركزت على دول أوروبا وأمريكا على أساس أن هذه ملاحظات خاصة وقد شاهدت الكثير منها بنفسى ولست نتائج بعضها هناك بسبب سفرى إلى هذه البلاد وإن كان ذلك لا يعنى أنه لا توجد مشكلات في أماكن أخرى من العالم وإنما هناك مشكلات في آسيا وأفريقيا أيضا شبيهة بهذه المشكلات وإن اختلفت بعض وسائل التطبيق والممارسات المضادة ووسائل المواجهة للأقليات الإسلامية هناك مع ما ذكرناه من مضايقات وضغوط فكرية ونفسية في الدول الشيوعية يوجد مثل ذلك في بعض دول أفريقيا .

كما يوجد أيضا مضايقات في بعض دول آسيا كالفلبين التي يعيش أبناء المسلمين فيها بين أكثرية مسيحية تمارس معهم ممارسات صليبية حاكمة حيث نعتنق الدولة فكرا معاديا للدين من حيث هو وللإسلام بصفة خاصة .

أقليات في أفريقيا :-

يضاف إلى ما ذكرناه من ضغوط وأساليب لحرب الإسلام والمسلمين في دول العالم وجود أعداد من المسلمين في البلاد الأفريقية التي تحكمها أكثرية غير إسلامية بل

أحياناً تكون الاكثية للمسيحيين إلا أن الحكم في يد مسيحيين متعصبين .

ونظراً لحالات الفقر الموجودة عند المسلمين في أفريقيا فإن الأقليات الإسلامية هناك تقع فريسة لإغراءات البعثات التنصيرية التي تدل على تحقيق كل رغبات الأقليات من مدارس وعيادات طبية ومراكز خدمة ذلك ولاشك له تأثير سيء على عقائد هؤلاء الفقراء الذين يدفعهم الفقر إلى الاستسلام لمن أطعموهم وعلجؤهم حيث نجد الجاليات التبشيرية من الامكانيات المادية مايمكنها من القيام بهذه الاعمال وقد قلت قبيل ذلك إنهم يجمعون مليارات من الدولارات يحصلونها بإعتبارها ضرائب بأسم الكنية ينفق جزء كبير منها على حملات التنصير والتبشير بالمسيحية أو إخراج الناس من الإسلام إن لم يتمكنوا من تنصيرهم ويعد :-

فلعلنا نكون قد وضعنا يدينا على الداء وأعتقد أن العلاج حين نعرف الداء يصبح سهلاً ونعود فنكرر مرة أخرى نحن في حاجة إلى التنظيم والتخطيط والتمويل وبالتنظيم والتخطيط والتمويل يمكن أن نستعمل كل الوسائل الممكنة والمتاحة بما في ذلك الضغوط الدولية الدبلوماسية خدمة الإسلام ونشر دين الله الحنيف وإذا كان الغزو الفكري المضاد للإسلام ترصد له الأموال الكثيرة ويقام له المؤسسات والأجهزة التي تخطط وترسم وتوفر من الأدوات ما يجعل الغزاة قادرين على تحقيق غايتهم وهي ليست نشر دين وإنما هي هدم لدين الإسلام الحنيف والمحاربة للقيم الفاضلة التي أوسد دعائمها في المجتمع فنحن أولى بأن نرصد الأموال الكثيرة ونقيم المؤسسات والأجهزة التي تخطط لنشر الإسلام والدعوة إليه وتضع المناهج وتحدد الأساليب والوسائل وتوفر الأدوات التي تحقق الغاية من نشر الإسلام وهناك مراكز للغرب تخطط للغزو الثقافي ولهم إذاعاتهم الموجهة التي تحارب الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية وهناك دور النشر وفروع الجامعات الأجنبية المنتشرة للأسف الشديد في ديار المسلمين وهناك المكتبات الألمانية التي توجد عندها امكانيات تجعلها مقاصد طلاب العلم والبحث العلمي في جامعات كثيرة من بلادنا الإسلامية فضلاً عن صحافتهم التي يصل صوتها إلى كل مكان هذه الأدوات المباشرة وغير المباشرة خطيرة على الإسلام ولذا

فنحن في حاجة إلى المتخصصين وإلى وجود الأجهزة المتطورة والمناخ الملائم لنشر الفكر الإسلامي الصحيح . أنه لا يصح أبدا أن نغفل دور المسرح والوسائل الأخرى التي يجب أن نطوعها لخدمة الإسلام وأنا ادعوا إلى ضرورة إقحام مجال الفيديو بأعمال تقدم فيها القصة الإسلامية المأخوذة من تاريخ الصحابة الكرام والقصة التي تقدم الحل الإسلامي لمشكلات المجتمع الإسلامي في الحاضر والمستقبل بإخراج جيد ونيات صادقة دون مغالاة .

إنه لمن المحزن حقا أن نترك لأعدائنا وخصومنا الأسلحة الخطيرة التي تمكنهم من ضربنا والنيل منا ثم نكتفى بتوجيه اللوم لهم دون أن نذكر ونتذكر أننا السبب في ذلك حين نخلل الميدان لهم .

وأكرر أن السينما والوسائل الإعلامية المؤثرة في حياة الناس خاصة الشباب ويجب التسارعة وبإخلاص النية لله إلى استغلالها لنشر الخير وأنا ادعوا إلى الإهتمام بها من الإسلاميين وحينما لو فتحت لهم المعاهد العالية التي تمد المجتمع بالمخرج المسلم والمصور المسلم وكاتب القصة والسيناريو المسلم هذه وسائل جديدة و«حديثه» وخطيرة فطن أعداؤنا وغيرهم لها وعرفوا خطورة تأثيرها في الناس فبدأوا في إعطائها كل اهتمامهم وعنايتهم ورصدوا لها ملايينهم واحتكروها في كل بقاع الأرض ولعل هذا من المخطط الماسوني العالمي الذي خطط له اليهود من قديم .

ولاشك أن تأثير الصورة أقوى من تأثير الكلمة ولقد قال الصينيون : إن تأثير صورة واحدة على المشاهد أشد تأثيراً من ألف كلمة .

ومن هنا فإننا أرى ضرورة العناية بتطويع الرائي هذا الجهاز الخطير الذي يدخل كل بيت بل كل حجرة في خدمة الإسلام عن طريق أناس إسلاميين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون بصدق لرفعة الإسلام وخير الأمة الإسلامية وفي نهاية المطاف أقول شهادة للحق والتاريخ أنه رغم كل هذه المشكلات والعوائق التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية فإن الإسلام ينتشر ومساجد الله هناك ترتفع مآذنها وعدد كبير من

كنائس النصرارى فى امريكا بالذات تحولت بقدره القادر الى مساجد ومراكز اسلامية
واعداد المسلمين هناك تزيد يوماً بعد يوم ولذا فإن الجهاز لعالمى للدعوة الإسلامية
الذى طالبت بأنشائه على أن تشارك فيه دول العالم الإسلامى كل وتحول من مزاياها
مع تسهيل الأمر من الحكومات الإسلامية لنشر الإسلام وأستطيع أن أقول خاصة بعد
زيارتي لكثير من دول أوروبا وأمريكا إن العالم يمكن أن يتغير وأن ينتشر الإسلام فى
كل مكان منه فى فترة قصيرة جداً ولا ابالغ إذا قلت ربما فى أقل من عشر سنوات واللهم
وفقنا لما فيه خير الإسلام والمسلمين . .

١ . د / عيد الغفار عزيز

المواشى

- (١) مرجع تاريخ الأمام ص ٨٠ ج٢ بصرف محمد رشيد رضا .
- (٢) راجع بحث (أهداف الرسالة الإسلامية وبيان دور الأزهر في نشرها) للمرحوم الشيخ كامل محمد حسن - القونين الخامس تجميع البحث الإسلامي ص ٤١ .
- (٣) مصر الحديثية ٤١٥ .
- (٤) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٤٩٤
- (٥) المرجع السابق .
- (٦) الملة ٢٠١ من قانون العقوبات المصري .
- (٧) حركات وبلداهب فصحى يكن ص ٥٧ .
- (٨) المرجع السابق .
- (٩) مقدمة العلم والمنهج أنور الجندى المجلد الثاني ص ٦١٠
- (١٠) البروتوكول الثاني ص ٣٥ من بروتوكولات حكماء صهيون .
- (١١) أنظر البروتوكولات ص ٣٧ ، ٣٨
- (١٢) نفا من جريدة المسلمون العالمية في ١٩٨٥/١١/٩
- (١٣) جريدة المسلمون ١٩٨٥/١١/١٩

**عزوف الطلاب عن الالتحاق بمعاهد الدعوة
أسبابه وعلاجه**

**للأستاذ الدكتور / يحيى هاشم حسن فرغل
عميد كلية أصول الدين والدعوة
بالأزهر (بطنطا)**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإن الكلام عن أسباب عزوف الطلاب عن الالتحاق بمعاهد الدعوة
وعلاجها . . . وهو البحث الذي شرفتنى رابطة الجامعات الإسلامية بإعداده
للمؤتمر الذي تعقده لدراسة « دور الجامعات الإسلامية في تكوين الدعوة » . . .

أقول : إن الكلام عن هذه الأسباب يبدأ من الاعتراف بواقع مائل أمام العيان ،
ذلك أن هناك عزوفا حقيقيا من الطلاب عن الالتحاق بمعاهد الدعوة ، ويكفي أن
أشير هنا إلى حالة واقعة بين يدي في العام الحالي بكلية أصول الدين والدعوة
بالأزهر (فرع طنطا) حيث تنقسم الدراسة إلى شعبتين إحداهما لأصول الدين ،
وقد انتمت إليها ٧٠٩ طالبا ، وثانيتهما للدعوة ، وقد انتمت إليها ٨٢ طالبا ، بالرغم
من الحوافز المادية والأدبية التي تبذل لطالبي الدعوة .

وما أظن إلا أن الأمر يجرى على هذا المنوال في كليات الدعوة أو أقسامها في
أقاليم أخرى .

ولا يغيب عن البال أن الطالب الذي يلحق بشعبة أصول الدين أو كليات أصول
الدين الخالصة مرشح في نهاية الأمر للانخراط في عمل « الدعوة » إن رضيت نفسه
بذلك ، ولكن حال هذه الكليات في عمومها هو كحال أقسام الدعوة من حيث حفظ
كل منهما في إقبال الطلاب ، ويكفي - أيضا - أن أشير في هذا إلى أن مستوى
مجموع الطلاب الذين التحقوا في عامنا الحالي بكليات أصول الدين والدعوة لم
يزد عن ٢٨٥ درجة ، في حين أن الذين التحقوا بكليات التجارة والتربية - بنفس
الجامعة - لم يقل مستوى المجموع لكل منهم عن ٣٥٠ درجة ، وهذا لا يشير

فحب إلى المستوى العلمي المنخفض للطلاب الذين يلتحقون بهذه الكليات ،
ولكنه يشير - بنفس الدرجة - إلى مستوى الإقبال عليها .

وإذن فعلى أن نعترف بالحقيقة الأولى التي يقوم عليها هذا البحث ، وهي أن
هناك عزوفا خطيرا عن الالتحاق بمعاهد الدعوة التي نعرفها في نطاق الأزهر ، والتي
نظن أن غيرها من المعاهد تماثلها في هذا الحال .

وإذا كان لنا أن نقتحم هنا مجال البحث عن أسباب هذه الظاهرة الداعية للقلق
في إطار ما يمكن أن تقوم به الجامعات الإسلامية من دور في تكوين الدعاة ، فإنني
أتجه إلى تقسيم هذه الأسباب إلى مجموعتين :

أولاهما : أسباب مفروضة على هذه المعاهد أو الجامعات من خارجها وهذه
نسميها «الأسباب الخارجية» ،

ثانيتهما : أسباب نراها من صنع هذه المعاهد والجامعات ، وهذه نسميها
«الأسباب الداخلية» ،

ونبدأ فيما يلي بالكلام عن المجموعة الأولى :

الأسباب الخارجية : هنا نجد أنفسنا أمام أسباب لم تصنعها معاهد الدعوة أو لم
تكن مسؤولة عنها بشكل مباشر ، وهذه الأسباب تنطلق من
ثلاث دوائر متداخلة :

الدائرة الداخلية : وتتعلق بالطموح الشخصي للداعية كإنسان .

الدائرة الوسطى : وتتعلق بعلاقات «الاتجاهات المختلفة
العاملة في نطاق الدعوة» .

الدائرة الخارجية : وتتعلق بعلاقة الداعية بالمجتمع الذي
يعيش فيه وبأجهزته المتمثلة في الرأي العام ، والإعلام ،
وسلطة الدولة .

أما عن الدائرة الداخلية : من الأسباب التي نجدها مفروضة على معاهد الدعوة والتي تتعلق بالطموح الشخصي للداعية كإنسان ، فنحن نجد معاهد الدعوة فيها غير بعيدة عن الأزمة التي تعانيها الكليات النظرية في الجامعات بوجه عام ، وهي أزمة ترجع أسبابها إلى تدني الأجور التي يتقاضاها خريجو هذه الكليات ، وبالتالي تدني مستوى المعيشة الذي يعانيه هؤلاء الخريجون ، ولست في هذا المقام بحاجة إلى الشرح التفصيلي لمستوى المعيشة الذي أشرت إليه ، ويكفي أن أقول إن خريجي هذه الكليات لا يكادون يحصلون على ما يسد تكاليف المواصلات التي يحتاجون إليها ، فضلا عن تكاليف الطعام والشراب ، فضلا عن تكاليف السكن ، فضلا عن تكاليف الزواج وتكوين الأسرة . . الخ .

وإذا كان هذا هو حال خريجي الكليات النظرية بوجه عام ، فإن خريجي معاهد الدعوة ينتمون النخبة العليا من هذه المأساة ، وهم لا يملكون ما يملكه بقية خريجي الكليات النظرية من قدرة على زيادة الدخل في عمل إضافي يمثل في الدروس الخصوصية للمدرس ، أو في عمل يدوي يجده الداعية غير لائق بما تفرضه عليه مكانته في المجتمع .

وعلاج هذه الحالة في تقديري يقتضى من هذا المؤتمر أن يتوجه بتوصية للمسؤولين وأصحاب النفوذ والقدرة في المجتمع أن يوفرُوا للداعية :

- ١ - مواصلات سهلة مجانية .
- ٢ - مسكنا بأجر رمزي .
- ٣ - قرضا حسنا لتكوين الأسرة يسدد على أقساط ميسرة .
- ٤ - مكتبة مجانية مناسبة .
- ٥ - أجرا واقعيا مناسباً .

أما عن الدائرة الوسطى : من الأسباب التي لم تصنعها معاهد الدعوة (أو بعبارة أدق .. التي لا تتعمد أن تصنعها) تلك الدائرة التي تتعلق بـ «علاقات الاتجاهات المختلفة العاملة في نطاق الدعوة . . .» .

فأعنى بها ما نلمسه جميعا من تنافر بين هذه الاتجاهات ، وتناز بالالقاء يصعد حتى بصير تنايزا بالكفر.

ولتحدث بشيء من الصراحة فى هذا المجال :

فهناك الدعاة الذين يعملون فى إطار سلطة معينة ، يتقاضون منها الأجور ويلتزمون امامها بالولاء ، وهؤلاء نجدهم - مهما اخلصوا - عرضة للاتهام بالسكوت عما يفضب السلطة ، إن لم يقعوا فى تهمة مساعدة السلطة بالقول والفعل فى أمر من الأمور التى تخالف الشرع ، وهم على كحل حال يجدون أنفسهم - مهما احتسوا لها - مدموغين بالنفاق منذ اللحظة الأولى التى يمارسون فيها أعمالهم .

وهناك الدعاة الذين حرروا أنفسهم من العمل فى إطار السلطة والاحتياج إلى أجورها ، وهؤلاء نجدهم - مهما اخلصوا كذلك - عرضة للاتهام بالجهل تارة ، أو بما يسمى «التطرف» تارة ، أو استشارة الجماهير تارة أخرى .

وهناك الدعاة الذين يميلون لشيء من التصوف - أو لنقل لتصوف معتدل ملتزم بالكتاب والسنة - وهؤلاء يجدون أنفسهم عرضة للاتهام بأخطر التهم من الدعاة الذين يرفضون أى صورة من صور التصوف وهناك فى مقابل هؤلاء دعاة يتشدعين فى الالتزام بظاهر النص ، يجدون أنفسهم فى عزلة شديدة من إخوانهم فى الدعوة الذين لا يفعلون مثل ذلك . .

وهناك الدعاة الذين يزعمون أنهم يتعلقون بجوهر الدعوة ، والدعاة الذين يزعمون أن جوهر الدعوة لا يأتى بغير التمسك بشكلها الخارجى . .

وهؤلاء جميعا يتضاربون ، ويتعاركون ، ويتنازرون ، ويحبط بعضهم أعمال بعض . . .

ولا شك عندى أن طلاب الدعوة يتسمون ربح هذا الجو ، ويحسون ثقله على

عقولهم ووجدانهم ، فيصيبهم ذلك بشيء من الرهبة أو الإحباط أو اليأس يصدهم عن اقتحام هذا المجال .

وعلاج هذا الحال في رأي معقود بيد الذين يناط بهم أمر الدعوة والتخطيط لها على مستوى العالم . . . ، وقد يمكنهم حل هذه المشكلة بالاتفاق فيما بينهم - والزام أتباعهم بما يتفقون عليه - وخطوط الاتفاق هنا يمكن أن تكون - على سبيل المثال - بالتواصي على القاعدة الأصولية المشهورة في الآتي :

إذا تردد الفعل بين أن يكون فرضاً أو بدعة فالدعوة إليه وأثباته أولى بالاتفاق وإذا تردد بين أن يقع سنة أو بدعة فالنهي عنه أو تركه أولى عند الأكثر وهو المختار .

وإن تردد بين أن يقع واجباً أو بدعة فالدعوة إليه أو إثباته أولى عند الأكثر كذلك .

وهناك قواعد أخرى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمكن النظر فيها من أجل أن تتحرك هذه الاتجاهات الإسلامية كلها على قاعدة من الوفاق العملي وإن اختلفت أحكامها النظرية في بعض الحالات .

ومن الضروري في هذا المجال أن نشير إلى ضرورة تنشيط الفكر الإسلامي ليضع إجابات واضحة أو حلولاً عملية أمام المشكلات الحيوية المطروحة عليه في العصر الحاضر : كمشكلة الحرية ، والنظم السياسية ، والتربوية ، والاقتصادية ، والإعلامية ، إذ من المقرر أن الغموض المصطنع في هذه المجالات يمثل عبئاً على ذهن الداعية ومواقفه .

أما عن الدائرة الخارجية : من الأسباب التي لم تصنعها معاهد الدعوة بيديها ، فهي تلك الدائرة التي تتعلق بعلاقة الداعية بالمجتمع الذي يعيش فيه .

وكلكم تعلمون كيف تتحرك هذه العلاقة اليوم في اتجاهات سلبية مثيرة للخوف

، أو للقلق ، أو للضجر ، أو للقرع ، وهي جميعا تضع الداعية في ظروف نفسية بالغة الفسوة .

يكفى أن أشير هنا إلى العلاقة الحرجة - على أقل تقدير - تلك التي تقوم بين الداعية وبين التقارير التي قد يكتبها بعض الموظفين بالأمن على أساس من سوء الفهم ، أو سوء التفاهم في بعض البلاد وبعض الظروف أو إلى العلاقة الضيقة أو المضيقّة - على أقل تقدير - تلك التي تقوم بين الداعية وبين أهم جهاز يمكن للداعية أن يعتمد عليه في دعوته : وهو جهاز الإعلام بكافة أشكاله وصوره في بعض البلاد وبعض الظروف أو إلى العلاقة المبنية على سوء الظن المتبادل - تلك التي تقوم بين الداعية وبين الرأي العام بوجه عام ، والتي ساهمت العلمانية المعاصرة في صياغتها مساهمة كبرى .

ولا يخفى ما لهذه الدائرة من أثر حاسم في تغيير الطالب من عملٍ : ما أقل جدواه بمقياس الدنيا ، وما أفدح ثمنه بمقياس الدنيا كذلك ، والداعية الذي نريده ليس من مرتبة الشهداء أو الأولياء أو الصديقين ، ولكنه بالضرورة من أوساط الناس الذين تؤثر فيهم هذه الحال تأثيرا كبيرا .

وعلاج هذه الدائرة - كما لا يخفى - يحتاج إلى كفاح طويل وجهاد مرير ، والخطوات الأولى في هذا العلاج يملكها هذا المؤتمر ومؤتمرات أمثاله ، عليها أن تتوجه بالرجاء أو بالتوصية أو بالضغط إلى منابع التنفير المنبعثة من هذه الدائرة ، وأن تتدارس معها في وضع الحلول العملية التي تقلل من حرج الداعية تجاه السلطة ، ومن حيرته أمام الإعلام ، ومن سوء الظن المتبادل بينه وبين الرأي العام .

تلك هي الأسباب التي مميّناها أسبابا خارجية باعتبارها ناشئة من ظروف لا تملكها معاهد الدعوة ، أو لا تسهم في صناعتها بشكل مباشر .

وعلىنا الآن أن نتجه إلى الأسباب الداخلية أو بعبارة أخرى إلى الأسباب التي نجد معاهد الدعوة المتهم الأول فيها بالقصور أو بالتقصير .

وفي تقديرى أن هذا القصور أو هذا التقصير يمثل العامل الخطر في عزوف الداعية عن الالتحاق بتلك المعاهد وهو يحمه منذ اللحظة الأولى التي يطرأ على ذهنه فيها التفكير في الالتحاق بتلك المعاهد ، فيطلق ساقيه للريح فرارا من مسئولية تلقى عليه يكون حاله فيها كحال الذى قال عنه الشاعر :

ألقاه في اليم مكنوفا وقال له إياك إياك أن تبجل بالماء
وتقصير معاهد الدعوة فى تكوين الداعية يتمثل فى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : إعداد الطالب قبل التحاقه بمعاهد الدعوة وهنا يظهر هذا التقصير بشكل حاد فى :

- ١ - ضعف المستوى اللغوى للطالب : سواء فى اللغة الأولى العربية ، أو اللغة الثانية التى يعتمد عليها صلاحا فى الدعوة .
- ٢ - الضعف الحاد فى حفظ القرآن الكريم نظرا لضعف النظرية التربوية العلمانية التى تحارب الحفظ فى أى صورة من صوره ، واجتياح هذه النظرية للمؤسسة الإسلامية الكبرى التى كانت تعمل على تحفيظ القرآن الكريم وأقصد بها « الكتاتيب » واختفاء هذه المؤسسة دون أن يظهر لها بديل ، بل أقول : اختفاؤها وتحالف النظرة التربوية الحديثة على ألا تقوم لها قائمة بعد .

وعلاج هذه الحال يتمثل فى رأي فى التصدى لمشكلات التربية الإسلامية ككل ومعالجة قضية «تحفيظ القرآن الكريم» للناشئة علاجاً عملياً شاملاً .

وفى هذا الصدد فإننى أرى أن يؤخذ - إلى جوار التحفيظ الشامل - بمبدأ التحفيظ الموضوعى : بمعنى أن يكون الطالب قادراً على استظهار ما يطلب إليه

من مجموعة من الآيات القرآنية في موضوع التوحيد مثلاً أو في موضوع العدل ، أو في موضوع الجهاد وهكذا . فهذا فضلاً عن كونه يزيد رباطه بالقرآن الكريم فإنه يزيده قدرة على الاستشهاد بما يحتاج إليه .

ولعل في كتاب «جواهر القرآن» للإمام الغزالي مثلاً لما أَدْعُو إليه .
المرحلة الثانية : وأعنى بها مرحلة إعداد الداعية داخل الكليات وفي رأيي أن هذا الإعداد لم يبدأ بدايته الصحيحة بعد ، ومازلنا ننظر إلى كليات الدعوة باعتبارها نسخة منقحة أو مزيدة أو معدلة من كليات أصول الدين ، وهذا يَجْنِي جناية كبرى على إعداد الداعية .

إن كليات الدعوة في رأيي ينبغي أن يكون لها اعتبار خاص .
وأول هذه الاعتبارات في رأيي هو أن تكون الدراسية بها «داخلية» ليوضع الداعية في إطار من التربية السلوكية العملية تحت توجيه معيشي يومي مستمر طوال فترة الدراسة : تُحْكَم فيه تصرفات الداعية ، ومعاملاته ، تحت رقابة أخلاقية وسلوكية صارمة .

وهذا هو أهم جانب في تكوين الداعية إن أردنا له نجاحاً . أما الدراسة بهذه الكليات فينبغي أن يكون لها وضع متميز يحميها من قلق الحيرة بين الكليات السابقة عليها ، وهذا الوضع يفرضه حاجة الدعوة إلى التخصص في العصر الحديث .

ونرى أن هذا الوضع المتميز يقوم على تقسيم داخل كليات الدعوة أو معاهدها :

أحدهما أدنى : يشمل الشعب الطلابية .
والآخر رأسى : يشمل الأقسام العلمية .

أما عن الشعب الطلابية فينبغي أن تكون هناك دراسة أساسية لجميع الشعب :

- ودراسة خاصة لشعب تتكون وفقا للبلاد التي تملرس فيها الدعوة : بحيث تكون هناك :
- شعبة للدعوة في البلاد العربية .
 - شعبة للدعوة في وسط أفريقيا .
 - شعبة للدعوة في جنوب أفريقيا .
 - شعبة للدعوة في شرق آسيا .
 - شعبة للدعوة في جنوب آسيا .
 - شعبة للدعوة للأقليات الإسلامية في أوربا .
 - شعبة للدعوة للأقليات الإسلامية في أمريكا .
 - وهكذا

بحسب إمكانيات التقسيم ، وفقا لخطة توضع للدعوة ، على مستوى العالم يضعها مؤتمر خاص .

أما الأقسام العلمية فتلاثة :

قسم أصول الدعوة : يقوم أولا بالدراسة الأساسية للشعب جميعا في مواد التوحيد والتفسير والحديث والأخلاق وتاريخ الأديان الكبرى .
ويقوم ثانيا : بالدراسة الخاصة لكل شعبة بحسبها ، في مواد : المذهب العقدي ، والفقه ، والفلسفة ، والتيارات الأكثر انتشارا في كل منطقة على حدة من مناطق التخصص .

قسم تاريخ الدعوة : يقوم بالدراسة أولا في مواد السيرة ، وتاريخ العالم الإسلامي وحاضره ، وتاريخ العلوم ، للشعب جميعا على حد سواء .
ثم يقوم بالدراسة ثانيا لكل شعبة بحسبها في مواد : انتشار الإسلام وحاضره في المنطقة الخاصة : سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .

قسم ثالث لوسائل الدعوة : يقوم أولا بالدراسة لجميع الشعب فى مواد اللغة العربية ، وعلم النفس الفردى ، والاجتماعى ، وعلم الاجتماع ، ونظريات الاتصال ، والرأى العام ، والإعلام ، والخطابة ، والإلقاء ، وكيفية التعامل فى مجال الصحافة والإذاعة ، والتليفزيون كما يقوم هذا القسم ثانيا بالدراسة الخاصة لكل شعبة بحسب تخصصها فى مواد :

اللغة الأجنبية الأكثر انتشارا محليا .

والخدمة الاجتماعية اللائقة محليا على مستوى الأفراد والجماعات .

كما يقوم هذا القسم كذلك بتدريس عدد محدود من القيم الإسلامية التى تبدو المنطقه أكثر حاجة إلى التركيز عليها وشرحها والاستفادة منها فى نشر الدعوة .

كما يقوم هذا القسم بتعليم الداعية حرفة يدوية ، تكون وسيلة له ووقاية معا .

كما يشوم هذا القسم أيضا بتدريس أهداف الدعوة المرهلية فى كل شعبة بحسب المنطقه الخاصة وذلك فى إطار خطة عامة للدعوة على المستوى العالمى ، تقوم بوضعها الجهة المختصة ، أو مؤتمر خاص بذلك .

المرحلة الثالثة : وأعنى بها مواصلة التوجيه والإعداد للداعية فى مرحلة ما بعد التخرج .

وذلك عن طريق وضع خطة للدعوة يبدأ توجيه الداعية إليها أثناء الكلية وتمر العمل فى صياغتها وتنفيذها أثناء ممارسة الدعوة بالفعل .

ذلك أن مهمة الداعية فى اعتقادي لا تقتصر على الجانب العلاجى لنفوس الضالين وإنما هى فى المقام الأول مهمة بنائية : مهمة بناء الفرد وبناء المجتمع .

إن الداعية الذى نعده لهذا البناء أشبه بالمهندس منه بالطبيب المعالج ، ولا يمكن أن تصور أن يعد المهندس على أعلى المستويات العلمية أو التدريبية ثم يساق بعد ذلك إلى عمله دون أن يجد مشروعا محدودا مدرسا يعمل فى نطاقه ، من وضع هيئة مختصة ، وبإشراف «مصنع» مختص .

إذا سلمنا بذلك كان من المتحيل أن يقوم الداعية بعهمته البنائية فى العصر الحديث ، مالم يوضع أمامه مشروع وخطه .

وفى اعتقادى أيضا أنه مهما يكن من إجابة تكوين الداعية إلى الإسلام سلوكيا وثقافيا ، بل مهما يكن من توفير الإمكانيات المادية له ، فإن الفضل الذريع سيكون من نصيب المجموعة الكبرى من الدعاة ، وإن نبغ فى وسطهم أفراد معدودون وسنظل ندور فى حلقة مفرغة من المسخط لفضل الأثرية الساحقة ، والانبهار لنجاح الأفراد الشواذ .

والسبب الأساسى لذلك فى رأى هو فى غياب «مشروعات الدعوة» القائمة على التخطيط العلمى المركزى .

إن الأمر الذى لا شك فيه هو أن الداعية فى العصر الحديث يلقى أوضاعا حضارية متحذثة ، لم يكن لها نظير فى تاريخ الدعوة الإسلامية تحتم عليه أن يعمل فى نطاق تخطيط مدروس ، تضعه هيئة مركزية ويسفر عن مشروعات محددة، وهكذا يعمل الدعاة المحدثون ، الذين يعملون لحساب جهات غير إسلامية ، وهذا ما تفرضه طبيعة العصر ، الذى يتميز بأوضاع حضارية جديدة ، منها على سبيل المثال لا الحصر : الانفتاح الثقافى للمجتمعات وكثرة السكان وشدة الزحام وعمق الاختلاط وسهولة الاتصالات وهى أمور من شأنها أن تقلل - إلى أبعد حد - من قيمة الجهود الفردية أو التلقائية . .

أما عن المشروعات فإنها ينبغى أن تكون على مستويات ثلاثة : مستوى الشخصية الإنسانية ككل ، ثم المستوى النوعى للفرد ، ثم مستوى الجماعة .

وعلى مستوى الفرد يكون هناك مشروعات مختلفة ، لبناء الطالب ، والعامل والموظف ، والعالم ، والحاكم ، والمحكوم ، والفلاح والجندي والابن والأب والأم والزوج والزوجة ، وربما توضع مشروعات لتقسيمات داخلية أكثر تحديدا .

وعلى مستوى المجتمعات يلاحظ التنوع الاجتماعى الذى يعمل الداعية فى نطاقه ، فتختلف المشروعات باختلاف هذه المجتمعات ، ومن ثم يكون هناك مشروع لبناء المجتمع الواقع تحت ظروف اقتصادية متقدمة وآخر لبناء المجتمع الواقع تحت ظروف اقتصادية مختلفة ، وآخر لبناء مجتمع الأقلية الإسلامية ، ومجتمع الأقليات العنصرية ، وربما يوضع تقسيم أكثر تحديداً، فمثلاً مشروع لجماعة النادى ، وجماعة المواصلات ، وجماعة الشارح وجماعة البيت الكبير (العمارة الضخمة الحديثة) وهكذا . . .

أما عن التخطيط :

ففى اعتقادى أنه أصبح من الضرورى أن نوضح لكل تخصص من تخصصات الدعاة خطة عمل تتلاءم مع الإقليم ، تبين فيها :

أولاً : «مداخل» الدعوة فى هذا الإقليم ،

ثانياً : وسائلها المحلية ،

ثالثاً : غايتها المرحلية .

ولتوضيح ذلك أقول :

أما من ناحية المداخل ، فبالإضافة إلى المدخل الرئيسى للدعوة الإسلامية بصفة عامة وهو إسلام النفس لله تختلف المداخل الفرعية باختلاف البيئات والأقاليم ، وهنا ينبغى على الدعوة أن تركز على قيمة معينة من قيم الدين الإسلامى ، تكون مدخلا إلى القيم الأخرى .

وعلى سبيل المثال المطروح للبحث قد يكون المدخل فى البلاد المتقدمة سياسياً «مفهوم الحرية» فى الإسلام وكونه أصلح المفاهيم وأقواها على حل مشاكل الحرية . وقد يكون المدخل فى البلاد المتخلفة «مفهوم التقدم» فى الإسلام وارتكازه على الإيمان بالله ، ثم العلم والعمل والعدالة . وقد يكون المدخل فى

البلاد التي ظهرت عليها آفات الرفاهية المادية « مفهوم الآخرة » في الإسلام وارتباطه بالعمل الدنيوي وارتكازه على الأخلاق ، وقد يكون المندخل بالنسبة لمجتمعات النفرقة العنصرية أو الطائفية « مفهوم الحقوق الإنسانية » في الإسلام . . وهكذا .

وبالنسبة للأفراد يجب أن يكون الداعية على علم بما يصلح مدخلا إلى فرد ولا يصلح مدخلا لآخر ، وقد تكون البداية بالنسبة لفرد هي النظرة الوحدانية العاطفية وقد تكون هي النظرة العلمية وقد تكون بالنسبة لثالث قيمة أخلاقية معينة ، وهكذا كان يفعل رسول الله صلى الله وسلم في تصديه لهداية الأفراد كما نعلم جميعا .

وعلى هذا النحو أيضا تبين في الخطة الوسائل المحلية المتوفرة في إقليم ، والتي يعد الداعى للتعامل معها ، ويوجه لاستغلالها وهذه الوسائل قد تكون الخطابية في إقليم ، والصحافة أو المسرح أو القصة في إقليم آخر ، وقد تكون التجمعات الطلابية أو العمالية ، أو تجمعات الموظفين ، أو أماكن الاستشفاء أو النوادي .

وقد تكون مجموعة مترابطة من هذه الوسائل ، يوجه الداعى للتعامل معها جميعا ، أو التنسيق بينها أو التركيز على الوسيلة الأهم منها .

وعلى هذا النحو كذلك تبين في الخطة الغايات المرحلية التي تدعو إليها الحاجة الملحة في إقليم بذاته ، فقد تكون هذه الغاية هي - بجانب الغايات البنائية التي قدمنا الكلام عنها - مقاومة التبشير في إقليم ، ومقاومة الشيوعية ، أو التأخر الاقتصادي ، أو التحلل الأخلاقي ، أو الانكباب على متع الدنيا في إقليم آخر . وقد نختلف في بعض الأمثلة التي ضربناها ولكن الأمر الذي أرجو ألا نختلف عليه هو أن وضع خطة تفصيلية على هذا النحو أو غيره في يد الداعية أصبح ح حجر الزاوية في عمله ، وهو مقياس نجاحه أو فشله ، وهو ضمان صيانتة من التشتت ، أو التضارب ، أو الفشل ، وهذه كلها أدواء خطيرة يعانى منها الدعاة أشد المعاناة .

سبل الدعم الاقتصادي للدعوة الإسلامية

أ.د. حسين حامد حسان

**رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد
باكستان**

مقدمة:

يشتمل هذا البحث على مقدمة في التعريف بالدعوة الإسلامية، وحكم القيام بها، وقسمين يختص أولهما ببيان طرق الدعوة الإسلامية، ومناهجها جملة، وثانيهما بدراسة أهم وسائل الدعم الاقتصادي للدعوة الإسلامية، وطرق تمويلها في العصر الحديث.

التعريف بالدعوة الإسلامية، وحكم القيام بها.

تطلق الدعوة الإسلامية على الإسلام نفسه، باعتباره الوحي الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم، وأمره بتبليغه للناس ودعوتهم إلى التزام ما فيه، وبيانه بقوله وفعله وتقريره، كما تطلق على هذا التبليغ والبيان، وهو ما نعنيه في هذا البحث، والدعوة بهذا المعنى توجد لغير المسلمين للدخول في الإسلام، والإيمان بما جاء به الوحي، وتطبيقه في كل مجالات الحياة، كما توجه للمسلمين الذين أقرؤا بالوحدانية والرسالة لتطبيق منهج الله، وتحكيم شريعته، تنفيذاً لما أقرؤا به، ووفاء بما التزموه بمحض إرادتهم.

وقد بين الله عز وجل في كتابه أن الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادته سبحانه وذلك بأداء شعائر التعبدات، وعمارة الكون، وفق منهج الله، وعلى أساس من وحيه فقال تعالى:

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾.

ولما كانت عبادته سبحانه لا تعلم إلا منه، فقد أنزل الكتب، وأرسل الرسل لبيان شرعه، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وكان تبليغ الوحي ودعوة الناس إلى اتباعه هو مهمة الأنبياء - عليهم السلام - وكان العلماء هم ورثتهم في هذا الأبلغ، وهي وظيفة لا نعد لها في الشرف وظيفه أخرى، قال تعالى:

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾.

وبها وحدها استحقت هذه الأمة أن تكون خير أمة أخرجت للناس .
ولقد أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يدعو الناس إلى سبيل ربه
بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادلهم بالتي هي أحسن، وأن يبلغهم ما أنزل
إليه من ربه، وأن يبينه لهم بقوله وفعله وتقريره، فقال تعالى :
﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي
أحسن ﴾ .

وقال سبحانه :

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله
يعصمك من الناس ﴾ .

وقل سبحانه :

﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ .

فأدى صلى الله عليه وسلم الأمانة وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وتركها على
المحجة البيضاء، وتحمل الأذى في سبيل الدعوة ووقف حياته على جهاد من حال
بينه وبين تبليغها للناس، تأكيداً لحق الإنسان الذي كرمه خالقه في معرفة الحق،
وحرية في الإيمان به، دون قهر أو إكراه .

وقد انعقد الإجماع على أن دعوة الناس إلى الإسلام، وأمرهم بالمعروف ونهيهم
عن المنكر فرض كفاية على الأمة الإسلامية، يتوجه الخطاب فيه إلى كل فرد، وقد
يصير فرض عين في بعض الحالات، كمن رأى المعروف يتشرك، أو المنكر
يرتكب، ولم يوجد معه غيره فإنه يلزمه الأمر والنهي، على التعيين، وفرض الكفاية
مصلحة شرعية عامة تمس أصلاً من أصول الإسلام، أو مقصداً من مقاصد
شريعته، يتوجه الخطاب فيها إلى الأمة على وجه التضامن بين أفرادها، فهم
مطالبون بتحقيق المصلحة : بعضهم بالقيام بذلك بنفسه إن كان قادراً، والبعض
الأخر بحمل القادر على ذلك، والأمة الإسلامية مطالبة بصياغة مناهجها التعليمية،
وتوجيه مواردها المالية، لتحقيق هذه المصلحة، وذلك بإعداد الدعاة المؤهلين
للدعوة، وتكليفهم بالقيام بها، على أساس أن الدولة الإسلامية هي دولة دعوة

وجهاد؛ لذلك قامت، ومن أجله منحت السلطة وحق الطاعة، فعليها إذن أن تسخر السلطة في أداء هذه الوظيفة، وأن تطوع نظمها كلها لحراسة الدين وسياسة الدنيا به، وحراسة الدين تكون حقائقه للناس، ورد الشبه عنه، وقتال من يحول بينهم وبين الدخول فيه، وعقاب من يطعن عليه أو يشكك فيه، وحمل المسلمين على تطبيق شريعته، والخضوع لسلطانه.

ان نشر الإسلام ودعوة الناس إلى الإيمان به، واتباع تعاليمه، والتزام منهجه وتطبيق نظمته وأحكامه يقتضي قيام الدولة الإسلامية ومؤسساتها المختلفة والجماعات والأفراد بإقامة مشروعات، ووضع خطط ومناهج، وممارسة أنشطة مختلفة حتى تقوم بأداء هذه الرسالة على الوجه الذي يحقق الهدف، ويوصل إلى الغاية من الدعوة. وأساس قيام الدولة والمؤسسات والأفراد بذلك هو قاعدة: «أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»، وسوف أذكر بعض هذه الأنشطة بإيجاز.

أولا : مؤسسات إعداد الدعاة وتدريبهم :

إن مهمة الداعية هي دعوة الناس إلى الإسلام ، وترك ما هم عليه من أديان باطلة ومذاهب ومفاهيم فاسدة، ونظم وقوانين جائرة، وهذا يقتضي أن يكون الداعية عالماً بعقيدة الإسلام ، وحقائقه ومفاهيمه، ونظمه ومناهجه، قادراً على إقناع من يدعوههم بالحجة والبرهان، بأن هذا الدين هو الحق، ولا حق في غيره، وأنه العدل، ولا عدل فيما سواه، وأنه وحده الذي يحقق مصالحهم ويلبي حاجاتهم ، ويجلب لهم الخير والسعادة في الدنيا، والنجاة في الآخرة، وأن ما ناقض الإسلام من أديان وعقائد، ومذاهب وفلسفات وقوانين وأنظمة باطل، يفسد حياة الناس، ويشيع الظلم فيهم، ويجلب عليهم المحن والنكبات في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة، وهذا - بأسوره - يقتضى أن يكون الداعية عالماً بهذه الأديان والفلسفات والقوانين والأنظمة، خبيراً بمواطن البطلان ولوجه الظلم والفساد فيها. كما يقتضى أن يكون مطلعاً على ظروف المجتمع الذي يمارس الدعوة فيه وأحوال الناس الاجتماعية والثقافية، وظروفهم السياسية والاقتصادية، وعاداتهم الموروثة وتقاليدهم المرعية، وأن يكون مدرباً على استخدام مناهج الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأساليب الجدل بالمنطق والحجة والبرهان ، دارساً لتاريخ دعوات الأنبياء والمصلحين ، خبيراً بأحدثت العلوم والتقنيات في مجال الإعلام ، ومخاطبة الجماهير ، مدرباً على استعمال الأجهزة الحديثة في إنتاج وإعداد ونشر مادة الدعوة الإسلامية المقروءة والمسموعة والمرئية على الوجه التوارد تفضيلة فيما بعد .

وهذا كله لا يتأتى تحقيقه في العصر الحاضر إلا من خلال المؤسسات التعليمية التي تعد الدعاة علمياً وتدريبهم عملياً على القيام بالدعوة ، وتزودهم بالقدرات ، وتضع بين أيديهم الوسائل التي تعينهم على القيام بتبليغ الإسلام ونشر الدعوة ،

وفقا لأحدث ما وصل إليه العلم من وسائل لإعلام الناس وغزو عقولهم وقلوبهم ، ودعوتهم إلى بما يقتنعهم ، ويؤثر في نفوسهم ، ولا شك ان إقامة مثل هذه المؤسسات وإدارتها يحتاج إلى دعم اقتصادي ، يتمثل في تمويل انشائها ، وتجهيزها وصيانتها ، ودفع مرتبات القائمين عليها ، والعاملين فيها ، وسد حاجة طلابها .

وإذا قامت المساجد في عصور الإسلام الزاهية بهذه المهمة ، خير قيام ، فكان اللقاء والتلقى يتم بين الطالب والأستاذ في هذه المساجد ، كما كان يتم في البيوت وفي أماكن تجمع المسلمين في مناسباتهم ، فتحقق المصلحة ، ويتأتى فرض الكفاية بذلك ، أما في العصر الحاضر ، وفي ظل الظروف التي تعيشها الأمة الإسلامية ، فقد قصر دور المساجد عن أداء هذه الرسالة ، فتمين انشاء الجامعات والمعاهد التي تعد الدعاة وتدريبهم على القيام بالدعوة . والوسيلة اذا تعينت لتحقيق المقصد لزمتم وفقا للقاعدة الأصولية السابقة .

وتقد قامت بعض الدول والمنظمات والهيئات الإسلامية بانشاء جامعات وكليات ومعاهد تعنى بتدريس العلوم الإسلامية ، ومنها علوم الدعوة ، بل إن بعض هذه الجامعات اتجهت حديثا إلى إنشاء كليات وأقسام متخصصة في تخريج الدعاة ، وتأهيلهم وتدريبهم على حمل الدعوة ، فهناك كليات أصول الدين التي تضم أقساماً للدعوة الإسلامية وكليات الدعوة وكليات الدعوة والإعلام ، ومعاهد تدريب الأئمة والدعاة وأكاديميات إعداد القادة في مجال الدعوة ، وغير ذلك مما صاحب الصحوة الإسلامية ، وأكد رغبة الشعوب الإسلامية في العودة الصادقة إلى الإسلام باعتباره عقيدة ، وعادة وأخلاقا ومنهجاً كاملاً للحياة .

وفوق أن مناهج هذه الجامعات والكليات والمعاهد ومراكز التدريب تحتاج بصفة مستمرة إلى مراجعة وتقويم وتطوير تقتضيه طبيعة العصر الذي نعيش فيه ، فإن العدد القائم منها لا يكفي بحال لتخريج العدد الكافي الذي تحتاج إليه الأمة الإسلامية لتبليغ دعوة الإسلام لغير المسلمين ، وبيان حقائقه لهم ، ورد المطاعن

عنه ، في وقت نشطت فيه وسائل الإعلام المعادية واستخدمت أحدث وسائل العلم والتقنية لغزو المسلمين فكرياً ، وصددهم عن الرجوع إلى الاسلام باعتباره نظاماً كاملاً للحياة . ذلك الغزو الذي يستهدف العقائد والمفاهيم والمناهج والنظم ، ويشكك في قدرة الاسلام على تحقيق مصالح الأمة ، وتلبية حاجات الجماعة ، بل وينسب اليه العجز عن ملاحقة التطور ، ومتابعة التقدم ، ويحمله تبعاً ما أصاب المسلمين ، من تأخر وانحطاط . وقد رأينا بعض الذين تعلموا على أيدي أعداء الإسلام ، والجاهلين بحقائقه يتساقون وراء ذلك بقلوب مغلقة ، وعيون مغمضة . وأحدث حلقات الحرب الخبيثة الموجهة إلى المسلمين تمثل في الحملة الإعلامية المسعورة التي تصنمهم للعالم بالجمود والتعصب ، وتنب اليهم ظاهرة الإرهاب والعنف ، وتحذر العالم من خطرهم على أمن المجتمع الدولي وسلامه ، وتدعوه إلى وأد أي محاولة يقوم بها شعب مسلم لتطبيق الإسلام ، وتحكيم شريعته ، كما تمثل هذه الحرب في مواقف أعداء الإسلام القتالمة من قضايا المسلمين العادلة في المحافل الدولية .

من أجل ذلك كله فأننا نناشد الحكومات والمؤسسات المالية ، والمنظمات الدولية والجمعيات الشعبية ، والمهتمين بالتعليم الإسلامي ، من رجال الأعمال أن يوجهوا جهودهم وأمورهم إلى إقامة مزيد من المؤسسات الخاصة بأعداد الدعاة ، وتدريبهم على حمل الدعوة جهاداً في سبيل الله ، وإعلاء لكلمته في وقت أخذت فيه الحرب ضد الإسلام وأهله أسلوب الغزو الفكري للقلوب والإعلام الخبيث والدعاية المسمومة ، وصل جهاد اللسان والقلم لا يقل أثراً عن جهاد الذبابة والمدفع في هذا المجال .

ثانياً : مناهج إعداد وتدريب الدعاة :

إن خلط ومناهج الدعوة في كليات ومعاهد ومراكز إعداد الدعاة القائمة في حاجة ماسة - كما ذكرنا - إلى مراجعة وتقويم وتطوير مستمر ؛ حتى تخرج الداعية

المؤهل علميا ، والمدرّب عمليا ، على حمل الدعوة ، العالم بحقائق الإسلام وواقع العصر ، القادر على تقديم الإسلام بمنهج مقنع ، وأسلوب مؤثر ، مستخدما أحدث ما أنتجه العصر من وسائل علمية وتقنيات في مجال الدعوة والاعلام ، ومخاطبة الجماهير ، وهذا يستلزم أن تتضمن هذه المناهج العلوم والفنون والمهارات التالية ، على نحو متوازن :

١ - مجموعة العلوم التي تزود الداعية بمضمون الدعوة الإسلامية ، أى بالعقائد والمفاهيم الإسلامية التي تبنى عليها ، والقيم الخلقية التي ترتبط بها ، والعبادات ودورها في إعداد الفرد المسلم ليكون عضوا في مجتمع الإسلام ، والأحكام التي تنظم علاقة الأفراد داخل الدولة الإسلامية ، وعلاقتهم بولى الأمر ، والمؤسسات التي تعاونه في حراسة الدين وسياسة الدنيا به ، وعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول في زمن السلم والحرب ، ونظم الإسلام المالية والاقتصادية والسياسية والقضائية ، وبالجملة العلوم التي تعرض الإسلام كمنهج كامل للحياة من خلال الوحي بقسميه ؛ المتلو وهو القرآن ، وغير المتلو وهو السنة ، وشرحه في كتب التفسير وشرح الحديث .

وينبغي أن تدرس هذه العلوم لطالب الدعوة بمنهج متوازن ، يربط بينها من جهة ، ويربطها بالوحي من جهة أخرى ، ويركز على الجوانب التطبيقية التي تعين الطالب على سلامة الفهم وحسن الاستنباط ، وهذه المجموعة من العلوم والمعارف وإن كانت تحظى بنصيب وافر في كليات ومعاهد اعداد الدعاة القائمة ، وتتخذ من كتب التراث مراجع أساسية لها ، ككتب التفسير ، وعلوم القرآن ، والحديث وعلومه ، والعقيدة ، والفقه ، ومقارنة الأديان ، والنظم الإسلامية ، وفقه العبادات والمعاملات ، وعلم الأخلاق ، إلا أن مناهجها ، وطرق تدريسها تحتاج إلى مراجعة وتطوير لتخريج الداعية القادر على معرفة الحقائق الإسلامية ، واستيعابها ، ثم تنزيلها على واقع المسلمين ، وإعادة صياغة هذا الواقع على أساسها .

٢ - مجموعة العلوم التي تؤهل الداعية للنظر في الكتاب والسنة ، والفهم لهما ، وتدريبه على طرق الاستنباط منهما ، وفق أصول الاجتهاد التي اعتمدها المفسرون وشراح الحديث ، والمفتون والفقهاء ، وتساعد على فهم ما ورد في كتب التراث من مناهج التذليل والتعليل والنقد والموازنة والترجيح ، والاختياريين الاجتهادات وتيسر له تنزيل حكم الشرع ، على ما يجد من وقائع ونوازل ، وما يحدث للناس من أفضية ومنازعات ، ويواجههم من مشكلات ، وهذه المجموعة من العلوم والمعارف تجد مصدرها في علم أصول الفقه ، ومقاصد الشريعة ، وقواعد الفقه ، والأشباه والنظائر ، والفروق ، وبناء الفروع على الأصول ، وعلوم اللغة والبيان .

وكتب أصول الفقه القديمة والحديثة تنحوي بنحو نظريا خالصا ، وتعرض قضايا العلم بأسلوب لا يحقق الهدف من دراسة هذا العلم ، وهو فهم أصول الاجتهاد وقواعد الاستنباط ، والقنطرة على تطبيق هذه الأصول وتلك القواعد على الوقائع والأفضية ، التي تعرض للداعية وتحتاج الى نظر واستنباط . ومن هنا لزم مع دراسة أصول الفقه دراسة تطبيقاته العملية في كتب القواعد ، والأشياء والنظائر ، والفروق وتخريج الفروع على الأصول ، كما لزم بصفة خاصة دراسة كتب مقاصد الشريعة التي يراعيها الداعية عند تفسير النص الوارد في الكتاب والسنة ، وتحديد نطاق تطبيقه ومجال أعماله ، حتى لا يزل في فهمه ، ولا يخطئ في تطبيقه ، على أن طلاب الدعوة يحتاجون الى مؤلف جديد يحوى هذه المجموعة من العلوم والمعارف ، بعبارة سهلة ، وبمنهج عملي تطبيقي ، يصل حقائق الإسلام بواقع العصر . على أن تكون الكتب السابقة مراجع للداعية ، في هذا المجال . وبهذا يمكن سد النقص الذي لوحظ في السنوات الأخيرة في برامج اعداد الدعاة ، فبعضهم ينقصه الإلمام الكافي بأحكام الفقه ، ويصعب عليه الرجوع إلى مصادره وفهم مصطلحاته ، بل الفهم السليم لأيات العقيدة والدعوة وأحاديثها وهو أمر لا يجوز الترخص فيه ، لصلته بعلم الحلال والحرام .

٣ - مجموعة العلوم التي تعنى بدراسة أحوال من توجه اليهم الدعوة ، وأساليب حياتهم ، وظروفهم السياسية والاقتصادية ، والمستوى الحضاري والعلمي والثقافي ، الذي وصلت اليه مجتمعاتهم والعادات والتقاليد التي تسود في هذه المجتمعات ، والعقائد والمذاهب الفكرية التي تسيطر عليها ، واللغات واللهجات التي يتكلم بها أهلها ، وأثر ذلك كله على مادة الدعوة ومناهج تقديمها ، ذلك أن الداعية يخاطب الناس على قدر عقولهم وحسب مستوياتهم ويصوغ برامجه على أساس من معتقداتهم ومذاهبهم . قال سبحانه :

﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ ،

فالبيان هو الغاية ، وهو الدعوة ، ولا يتأتى على الوجه الذي يحقق الغاية منه ، وهو قبول الدعوة والدخول في الاسلام ، والرضا بمنهجه وتطبيق شريعته إلا ممن عرف حال المدعو ، ودرس ظروفه ، وخاطبه بما ينقذ إلى قلبه ، وعقله ، ويؤثر في نفسه ، ويصل إلى وجدانه ، ويملك عليه مشاعره وأحاسيسه .

ووجب أن يراعى المخططون للدعوة الإسلامية على مستوى العالم ، والمعدون لمادتها المقروءة والمسموعة والمرئية تنوع خطط الدعوة وبرامجها وصياغتها صياغة تناسب من تعد لهم ، وتوجه اليهم ، حتى يتحقق البيان ، ويقع البلاغ على الوجه المطلوب . فهناك خطط وبرامج تعد وتوجه لغير المسلمين ، وهم أنواع ؛ فمنهم من يجهل الإسلام ولا يكن عداء له ولا حقدا على أهله ، ومنهم من وصلت اليه حقائق الاسلام مشوهة ، فهو يتخذ منهم ومن أهله . مؤثف الرد والرفض ، ومنهم من وقف نفسه وسخر إمكانياته لحرب الإسلام ، وتشويه حقائقه ، والتخطيط لصد المسلمين عنه ، والتشهير بهم في المجتمع الدولي ورميهم بالجمود والتعصب ، والارهاب والتطرف ، وانهاهم بأنهم وحدهم سبب الإخلال بسلام المجتمع الدولي وأمنه ، ولكل قوم من هؤلاء منهج في الدعوة وطريقة في البيان ، ووسيلة في البلاغ ، وهناك خطط توجه لبلاد الأقليات الإسلامية . وهناك خطط توجه للمسلمين في البلاد الإسلامية على اختلاف ظروفها ومستوياتها الحضارية ،

وسدى التزامها بمنهج الله - وتطبيقها لشريعته . ولا بد أن تختلف طريقة الدعوة ومنهج البيان ، ووسيلة الاعلام تبعاً لذلك . وتجد هذه المادة مصادرهما في علم الاجتماع والتاريخ والحضارة ، والجغرافيا الاقتصادية ، والنظم السياسية والتعليمية ، وغير ذلك من العلوم التي تعنى بدراسة المجتمع ككل ، وهذه العلوم والمعارف تحتاج إلى منهج متواز ومؤلفات تجمع بين خصائص الكتاب الدراسي والمرجع العلمي معا ، تزود الداعية أو المتخرج بمنهج علمي بصوغ خطته في الدعوة ، ويمارس رسالته في البلاغ على أساسها .

٤ - مجموعة العلوم التي تعنى بدراسة الأساليب والفنون في مجال الدعوة ، وفن الاتصال بالجمهير ، ومخاطبتهم ، والوصول إلى قلوبهم والتأثير في نفوسهم ، وجمعها منهج غزو العقول والأفكار ، وتوجيهها الوجهة المطلوبة . وهذه العلوم توجه الداعية إلى أنجح الطرق في التعامل مع النفس الانسانية ، واستخدام المنطق والحجة والبرهان مع المخالفين . مع الاسترشاد بمناهج الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم ، وسير الدعاة المصلحين في شعوبهم . وهذه المجموعة من العلوم تجد مصادرهما في ما يدرس حالياً في كليات أصول الدين والدعوة ، كمناهج الدعوة ، وتاريخ مشاهير الدعاة ، والسيرة النبوية ، وعلم النفس والمنطق وأدب البحث والمناظرة ، وغير ذلك مما كتبه علماء المسلمين في هذا الحقل في مواضع متفرقة من كتب التفسير وشروح الحديث والتربية والأخلاق ، ونحن نرى أن تصاغ هذه المجموعة من العلوم والمعارف ، وتطور مناهجها ، وتؤلف فيها الكتب على نحو يمكن من الاستفادة من التطور الذي لحق مناهج الاعلام ، وطرق الاتصال بالجمهير في العصر الحديث ، ويساعد على تخريج الداعية المعد لاستيعابها وفهم ما يكتب أو يقال عن الاسلام من أباطيل ، بأقلام خصومه والجاهلين به ، والرد عليه بلغة العصر ومنهج العلم ، مستخدماً - كما قلنا - في ذلك كل تقنيات العصر المتاحة ، وفن الاتصال بالجمهير .

٥ - معارف ومهارات تنفيذ الداعية في إعداد المادة العلمية التي يستخدمها في

الدعوة وعرضها واستخدام الأجهزة والآلات اللازمة في هذا الإعداد والعرض ،
فيتدرب الداعية على إنتاج واستخدام وسائل الإعلام والدعوة ، كالفيلم والمصاحف
والأشرطة والصور ، والرسم ، كما يتدرب على كتابة النص الفني الذي يصلح
لمثلية أو رواية ، والمقال الصحفي والحديث الاذاعي ، والحوار والتحقيق ،
بهدف تسخير هذا العمل الفني في تثبيت العقيدة ، وإلقيم الإسلامية ، وعرض
حقائق الإسلام بصورة مشوقة تظهر كماله وسموه على ما سواه من أديان ونظريات ،
ومبادئ وفلسفات من صنع البشر ، وتؤكد قدرته على تحقيق مصالح الأمة ، وتلبية
حاجات الجماعة ، وحل ما يواجهه العالم من مشكلات ، والرد بأسلوب فني جذاب
على ما يثار حول الإسلام من افتراءات ، ونسب اليه من أباطيل وما يرمى به أهله
من جمود وتعصب ، وعنف وارهاب ، كما أن هذه الحرف والمهارات تفيد الداعية
في تنظيم المؤتمرات والندوات والمشاركة في المناظرات وتكسبه ملكة إدارة الحوار
وكسب التأييد للمواقف الإسلامية ، كما تفيد في متابعة ما يجري في مثل هذه
المؤتمرات من نقاش ، وما تعرض فيه من قضايا نهم الدعوة ، وتقييم نتائجها ،
ويدخل في ذلك أيضا تدريب الداعية على عقد الصلوات وكسب الصداقات ، في
الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه ، حتى ينال حب الناس ، وتقديرهم ، فتؤثر
فيهم أخلاقه وقيمته قبل عظاته ونصائحه ان مراجعة خطط ومناهج الدراسة الحالية
بكليات ومعاهد اعداد الدعوة وتقويمها وتطويرها ، وتوجيهها الوجهة التي تحقق
الهدوء، الذي أشرنا اليه . ثم تحويلها إلى مقررات وكتب دراسية ، ومواد إعلامية ،
يحتاج - لاشك - مع الجهود العلمية ، والخبرات الفنية إلى تمويل ، تشارك فيه
الجامعات الإسلامية ، ومؤسسات الدعوة بالتعاون مع بعض المنظمات الدولية
العاملة في حقل التعليم والدعوة الإسلامية ، كرابطة العالم الإسلامي ، ورابطة
الجامعات الإسلامية ، ومجامع البحوث ، وإدارات البحوث ، وغيرها من
المؤسسات الحكومية والشعبية ، على الوجه الذي نبينه تفصيلا ، في القسم الثاني
من هذا البحث .

ثالثا : التأليف والترجمة والنشر :

ان اعداد مادة الدعوة الإسلامية المقروءة والمسموعة والمرئية ، وترجمتها إلى عدد من اللغات ، ووضعها تحت تصرف الدعاة من أهم النشاطات التي تسهم في نجاح الدعوة الإسلامية ، في العصر الحاضر ؛ ذلك أن العالم يواجه اليوم صراعا خطيرا بين المذاهب الفكرية والتيارات الفلسفية ، والمبادئ والنظريات والقوانين والأنظمة البشرية ، ويجد المسلم نفسه حائرا أمام هذه الصراعات والمذاهب والفلسفات ، ويريد أن يعرف موقف الإسلام ، كعقيدة وفكر ، ومفاهيم وتصورات للخالق والكون والإنسان ، ونظام كامل للحياة ، وقد خلت مناهج التعليم العام من هذه الدراسات ، وما قيل عن المسلم ، يقال عن غير المسلم الذي يريد أن يعرف حقائق الإسلام ، وموقفه من المبادئ والنظريات الفلسفية والمذاهب الفكرية ، والنظم الاقتصادية والسياسية ، بل يريد أن يعرف الحلول الإسلامية للمشاكل الكبرى ، التي تواجه العالم اليوم ، وتهده في أمنه وسلامه ، ويسره وريحته ، وهذا يقتضى إنشاء دار للتأليف والترجمة والنشر ، تعنى كما قلنا بإعداد مادة الدعوة في صورها المختلفة ، وأشكالها المتعددة ، وتيسيرها للراغبين في معرفة الإسلام ، بلغاتهم . وهناك هيئات ومؤسسات ، وجمعيات ومراكز في داخل البلاد الإسلامية ، وفي بلاد الأقليات المسلمة تعنى بطرف من هذا ، في حدود الإمكانيات العلمية والمادية المتوافرة لديها ، غير أن هذه المؤسسات لا تسير على خطة لطريقة التعاون ، والتنسيق بين نشاطاتها في هذا المجال ، مما ترسب عليه ، إما تكرار العمل . أو قصوره عن بلوغ الهدف ، أو ترك بعض المجالات الإسلامية ، دون تغطية ، وفي هذا تبيد للجهود ، وتضيع لِموارد صار الحصول عليها أمرا عسيرا . والمقترح أحد أمرين :

ان تعد خطة للتنسيق والتعاون بين الهيئات والمؤسسات العاملة في حقل الدعوة والتي تقوم بهذا النوع من النشاط على مستوى دولي أو قارى أو محلى توفيرا للجهود العلمية والموارد المالية - كما ذكرنا -

أو أن يقوم المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية المقترح ، أو إحدى الهيئات القائمة والترجمة والنشر ، وإعداد المادة اللازمة للدعوة ، ودراسة طرق تمويلها ، ووسائل تنفيذها ، ثم الاتصال بالهيئات والمؤسسات المشار إليها ، لتبني جزء من هذه الخطة حسب إمكانياتها ، ثم تقوم بتقييم الأداء ، وإبلاغ الجهة المشرفة على إعداد الخطة وتنفيذها ، ومتابعتها .

رابعاً : النشاط الإعلامي

إن من أهم أنشطة الدعوة الإسلامية في العصر الحديث هو النشاط الإعلامي الذي يركز على بيان موقف الإسلام في كل قضايا العصر ، وحلولة لمشاكل المجتمع ، ويشرح حقائق الإسلام ، ويكشف عن أباطيل خصومه ، من الحاقدين عليه والجاهلين به ، من خلال مادة إعلامية سهلة ، تستخدم لغة العصر ، وتعتمد على الإقناع والحجة والدليل ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والذي نقصده هو بيان رأى الإسلام في القضايا الحادثة ، والمشاكل اليومية ، وذلك يقتضى العمل على إنشاء مؤسسات لإعداد المادة الإعلامية - كما ذكرنا - وتوزيعها - كما يقتضى إصدار المجلات والنشرات، والصحف على كل المستويات ، تمهيدا لاجتاد مدرسة إعلامية ، إسلامية ، وصحافة تمثل رأى الإسلام . كما أن التعاون مع وسائل الاعلام القائمة أمر يخدم الدعوة ، وذلك بالمساهمة في إعداد وتقديم برامج إسلامية هادفة ، وأعمال فنية كالأفلام والمسلسلات والحلقات ، وتقديمها لوسائل الاعلام ، وهناك تجارب لشركات الصوتيات والمرئيات الإسلامية ، تشجع على المضى في هذا الاتجاه ، وتبشر بيزوغ فجر جديد ، تقدم الإسلام ، وتذيع محطات التليفزيون في البلاد العربية والإسلامية إنتاج هذه الشركات من البرامج والمسلسلات والأفلام ، التي لاقت ترحيبا يبشر بالخير ، ويدعو إلى الاطمئنان . إلى قدرة العمل الفنى الإسلامى على مزاحمة الأعمال الفنية التى لا تتجه الوجهة الإسلامية .

ودعماً لهذا الاتجاه ، وتقوية لتلك الروح ، ورغبة في تخريج قيادات اعلامية اسلامية جديدة من كتاب النص الثقى ، والقصى ، والصحنى ، والمخرج التليفزيونى ، فإن مناهج كليات الدعوة والاعلام فى الجامعات والمعاهد يجب أن تعاد صياغتها ، حتى تخرج مثل تلك القيادات ، وحتى تخرج هذه الكليات هذه النوعية من الدعاة ورجال الاعلام فاننا ننصح بإقامة مزيد من الندوات والدورات التدريبية ، يشترك فيها العاملون فى حقل الإعلام ، بقصد العمل فى حدود الإمكان على توجيه الإعلام وجهة اسلامية .

خامساً : المجلس الأعلى للدعوة الاسلامية

من أهم الأنشطة فى مجال الدعوة الإسلامية ، وألزمها لنجاحها فى العصر الحاضر انشاء « مجلس أعلى للدعوة الإسلامية » على مستوى العالم كله ، تكون مهمته التخطيط للدعوة إلى الإسلام فى العالم ، والتنسيق بين الهيئات والمؤسسات والأجهزة والجمعيات العاملة فى حقل الدعوة الإسلامية ، بغية التكامل بين جهودها ، فهناك مؤسسات وجمعيات لا تحصى عدداً ، تعمل فى هذا المجال ، داخل البلاد الإسلامية وخارجها ، حيث الأقليات والجماليات الإسلامية ، ولكن لا تربط بين هذه المؤسسات رابطة ولا تجمعها خطة عمل مشتركة تتعاون على تنفيذها ، ولا يعرف بعضها عن بعضها إلا القليل . وقد قامت منظمات إسلامية عالمية ، « كرابطة العالم الإسلامى » ، ومجالس اسلامية ، « اقليمية » أو « قارية » أو « دولية » ، وأجهزة حكومية ، تضع بين أهدافها التعرف على أنشطة الجمعيات ، والمؤسسات العاملة فى مجال الدعوة ، ووضع إطار جامع يكفل التنسيق والتعاون بينها ، إلا أن الهدف الأكبر لم يتحقق ، وهو تكوين مجلس أعلى يضم ممثلين لهذه المنظمات والهيئات . الخ . لوضع خطط للدعوة على مستوى العالم كله ، وتوفير التمويل المادى ، والدعم الأدينى لتنفيذه ، ثم متابعة هذا التنفيذ وتقويم نتائجه ، ومساعدة المنظمات المحلية والأقليمية على وضع خطط للدعوة تلائم ظروفها وتنسق فى الوقت نفسه مع الخطة العامة للدعوة .

إن روح العصر ، وظروف المجتمع الدولي ، بما يعتمل فيه من صراعات عقديّة وفكرية وسياسية واقتصادية ، وما وصل إليه من استخدام وسائل علمية وتقنية جبارة لتوجيه الرأي العام والتأثير فيه ، واستغلال حقائق علوم النفس والاجتماع الحديثة ، وما تواجه به الأمة الإسلامية من حملة إعلامية جائرة ، تقودها مؤسسات إعلامية جبارة . يقف من ورائها بحوث ودراسات عن الرأي العام وطرق التأثير فيه - كل هذا يجعل وسائل الدعوة التقليدية التي تقف عند نشر الكتاب أو إصدار المجلة ، أولقاء الخطب والدروس في المساجد ، ونحوها ، وسائل غير مناسبة وحلها لمواجهة حرب نفسية مخططة ، وغزو فكري منظم ، يستهدف العقول والقلوب ويؤثر - بقوة - في العواطف والأحاسيس ، وهذا يقتضى أن تعاد صياغة خطط ومناهج الدراسة في كليات أصول الدين والدعوة ، ومعاهد ومراكز إعداد القيادات وتدريب الدعاة ، بحيث تعد الداعية لفهم حقائق ومعطيات العلم ، وواقع العالم بما فيه من صراعات ، وتدريبه على استخدام وسائل الإعلام الحديثة ، وطرق التأثير في الجماهير ، ويدخل تحت ذلك تدريب طلاب الدعوة على استخدام الفن بجميع صوره المشرّعة في الدعوة الإسلامية لتعميق الإيمان و إعلاء شأن القيم والمفاهيم الإسلامية وتمجيد السلوك السوي ، والاستقامة ، فيتدربون - مثلاً - على كتابة القصة والرواية وإعداد الفيلم والمسلسل والنشيد . . . الخ ، كما يتدربون على تنظيم المؤتمرات والملقاءات والندوات ، وإجراء الحوار ، والمقابلة ، وكذلك على العمل الصحفي ؛ ككتابة المقال وإعداد التحقيق والحصول على الخبر .

هذا كله يقتضى أن يقوم المجلس الأعلى المقترح للدعوة الإسلامية بوضع ، الخطط والمناهج على مستوى العالم ، وعلى المستوى القارى والاقليمى والمحلى ، وأن يوفر الموارد اللازمة لتنفيذ هذه الخطط ، وتقويم الأداء ، ويراعى عند وضع وظائف واختصاصات هذا المجلس أن تكون على وجه يجعل منه منظمة تهدف إلى عونة الأمة إلى الإسلام . ونطبق منهجه ، وتحكيم شريعته في كافة نواحي الحياة ، وأن يعرض الإسلام عرضاً يعرف العالم بحقائقه ، ويؤكد أنه الحل العادل لكل ما تعاني منه البشرية من ظلم وقلق ، وما يواجهه المجتمع الدولي من مشكلات .

سادسا : مركز معلومات الدعوة الإسلامية :

ان المعلومات المتاحة للهيئات والمؤسسات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية ، عن بلاد العالم الإسلامي وبلاد الأقليات الإسلامية من حيث ظروف هذه البلاد الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ووضع الأقليات الإسلامية - في البلاد التي يعيشون فيها - الاقتصادي ، ووزنهم السياسي ، ان هذا كله قليل ، أو معدوم في بعض الأحوال ، مما يجعل التخطيط السليم للدعوة الإسلامية في هذه البلاد أمراً صعباً ، وعسيراً ، وهذا يؤثر بدوره على مدى وطبيعة الدعم الأدبي والمالي لتلك المؤسسات ، وأحيانا يؤدي إلى تكرار العمل ، وتضييع الجهود .

إن دراسة التجمعات الإسلامية في بلد معين ، لوضع خطة للدعوة تساعد هذه التجمعات على نشر الإسلام ، والحفاظ على العقائد والمفاهيم الإسلامية ، فيهم ، يقتضى معرفة أوضاعهم السياسية ، ومدى الحرية التي يكفلها لهم النظام السياسي للبلد الذي يعيشون فيه ، وقدراتهم الاقتصادية ، ووزنهم السياسي وأثرهم في توجيه سياسة المجتمع ، والتأثير على الرأي العام فيه ، وما يتمتعون به من وضع أدبي واجتماعي بين الناس ، يمكنهم من التعاون مع الدولة ومؤسساتها ومع الأفراد في هذا المجتمع .

كل ذلك يساعد على عمل خطة للدعوة بين هذه التجمعات ، ويحدد نوع المؤسسات التعليمية التي يحتاجونها ، والمستوى الذي تلزم مراعاته في إعداد مناهج هذه المؤسسات وبرامجها . ومن هنا يجب إنشاء مركز للمعلومات يعنى بدراسة أحوال وظروف الدول الإسلامية ، ووضع الأقليات الإسلامية في العالم ، وفهرسة وترتيب وتصنيف هذه المعلومات وتيسيرها للباحثين . ووضعها تحت تصرف المشرقيين ، على التخطيط للدعوة الإسلامية ، وإعداد برامجها ويمكن أن يلحق هذا المركز بالمجلس الأعلى للدعوة الإسلامية .

أولا : دور الدولة :

لقد انعقد إجماع المجتهدين على أن وظيفة الدولة الإسلامية التي يتولاها ولي الأمر ونوابه والمؤسسات المعاونة له هي حراسة الدين وسياسة الدنيا به ، وأن حراسة الدين تتمثل في المحافظة على المصالح الشرعية الكلية التي قام عليها الإسلام وأنشئت من أجل حمايتها الدولة ، وهي الدين ، والنفس ، والعقل ، والعرض ، والمال ، وأن أول هذه المصالح في الترتيب وأولها بالرعاية والحماية هي مصلحة حفظ الدين .

وقد قرر العلماء أن حراسة الدين وحفظه تتحقق من ناحيتين : من ناحية الوجود ومن ناحية العدم .

فحفظ الدين من ناحية الوجود يقتضى تبليغه للناس جميعا وبيقه لهم ، ودعوتهم إلى اتباع تعاليمه وتطبيق منهجه وتحكيم شريعته في كل مجالات حياتهم ، وحفظه من ناحية العدم يقتضى رد المطاعن ودفع الشبه عنه ، والتصدي لمن يشوه حقائقه ، أو يصد الناس عنه ، وقتال من يقاتل المؤمنين به ويغتصب أرضهم ويضعهم من إقامة منهج الله في دار الإسلام بقوة السلاح .

وإذا كانت حراسة الدين والحفاظ عليه هي وظيفة الدولة الإسلامية كان تمويل هذه الحراسة وذلك الحفظ أول واجباتها فإذا كان الغزو للإسلام فكربا يستهدف العقائد والمفاهيم والمناهج والقيم ، والعدوان على الدين بالقلم واللسان ، كان واجب الدولة هو الإعداد للدعاة المؤهلين علميا والمدربين عمليا على صد هذا الغزو ودفع ذلك العدوان .

وإذا كان الغزو للإسلام عكربا يستهدف احتلال الأرض وسفك الدماء والعدوان على الدين بالسيف والسنان ، كان واجب الدولة الإسلامية هو إعداد جيش خبير بأصول الحرب ، مدرب على فنون القتال .

وبذلك تكون الدولة قد قامت بفريضة الجهاد حسب نوع الحرب وطبيعة العدوان ، وفقا لظروف العصر ومتطلبات الزمان والمستوى الحضارى الذى وصل إليه الإنسان ، ولذلك يقول سبحانه في طريقة رد العدوان :

﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾

ولقد قام صلى الله عليه وسلم بوصفه نبيا بتبليغ رسالة الإسلام إلى الناس أجمعين ، ودعا من صدقه وآمن بدعوته منهم إلى الالتزام الكامل والتطبيق الصحيح لما آمن به طوعا والتزمه اختيارا ، تنفيذًا لعهدته وعقده مع الله ، وقام بوصفه حاكما بإقامة الدولة لحراسة الدين وسياسة الدنيا به .

وكان صلى الله عليه وسلم يرسل الدعاة إلى الملوك والحكام ليطلب منهم تطبيق منهج الله على من آمن به منهم ، ودعوة غير المؤمنين إلى الإسلام وكان الرسل والدعاة يأخذون رواتبهم من بيت مال المصلحين باعتبارهم عمالا في دولة الإسلام ، حسبوا أنفسهم للقيام بفروض من فروض الكفاية ومصلحة عامة من مصالح الملحين ، فحجزوا بسبب ذلك عن الكسب فوجبت كفايتهم في بيت المال لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا من ولى لنا عملا فلم تكن له زوجة فليتخذ زوجة ، ومن لم يكن له مسكن فليتخذ مسكنا ومن لم يكن له مركب فليتخذ مركبا ومن لم يكن له خادم فليتخذ خادما ، فمن اتخذ سوي ذلك كذا أو إبلا جاء يوم القيامة غللا أو سارقا » .

ودعم الدولة للدعوة الإسلامية وتمويلها لمؤسسات إعداد الدعاة وتدريبهم ، وإنفاقها على خطط الدعوة الإسلامية في الخارج وبرامجها في الداخل يكون من بيت مال المصلحين ، لا يختص ذلك بمورد دون مورد ، باعتبار أن سبب قيام الدولة الإسلامية وأساس مشروعيتها هو حراسة الدين وسياسة الدنيا ، فكان ذلك من المصالح العامة التي تمول من خزينة الدولة العامة .

ثانيا دور الهيئات والأفراد :

لقد ذكرنا أن الجهاد بنوعيه : جهاد القلم واللسان ، وجهاد السيف والسنان فرض كفايه يتوجه التكليف به على الأمة الإسلامية كلها ، ولا يسقط هذا التكليف إلا بقيام الأمة الإسلامية ممثلة في بعض أفرادها بالعمل على تحقيق ذلك المصلحة ، وهذا كما قلنا يحتاج إلى دعم تمويل .

ولقد رأينا أن الدولة في الإسلام دولة دعوة وجهاد وأن عليها أن تمويل تلك الدعوة وذلك الجهاد من بيت مال المسلمين طالما كان في موارده كفاية .

فإذا قصرت الدولة في هذا الواجب ، أو كان قيامها به لا يرقى إلى المستوى المطلوب ، أو عجزت موارد بيت المال عن تمويل أنشطة الدعوة وإقامة مؤسساتها توجه التكليف بذلك إلى المسلمين أفرادا وهيئات ، كالأشأن في الجهاد بالسلاح سواء بسواء .

وتقوم الهيئات والأفراد بهذا التمويل وفق خطة متكاملة للدعوة يتم إعدادها على المستوى الإقليمي أو الدولي ، تحقيقا للتعاون والتنسيق بين جميع الجهود للعاملين في حقل الدعوة الإسلامية وهذا لا يمنع بحال الجهود الفردية في ممارسة الدعوة أو التمويل الفردي لنشاط معين من أنشطتها .

وسوف أعرض بشيء من الإيجاز موارد هذا التمويل والطرق المختلفة لجمعه وتقديمه .

١ - التمويل من الزكاة :

إن مقاصد الشريعة العامة وقواعدها الكلية وأدلتها الجزئية تقضى بجواز دفع الزكاة لتمويل الدعوة الإسلامية ، سواء كان ذلك لإنشاء مؤسسات إعداد الدعوة

وتدريبهم ، أو تنفيذ خطط الدعوة الإسلامية وتأمين الوسائل التي يحتاج إليها
الدعاة ، مقروعة وسموعة ومرئية ، أو لدفع مرتبات من يتفرغون للدعوة ، أو لدعم
ومساعدة وسائل الإعلام التي تُعنى في برامجها بالدعوة الإسلامية ، وتفصيل ذلك
على الوجه التالي :

١ - يرى بعض علماء التفسير وشرح الحديث والفقهاء والمفكرون المحدثون
والكاتبون في أصول الدعوة وثقته الزكاة أن قوله تعالى :

﴿ وفي سبيل الله ﴾ .

في آية مصارف الزكاة من سورة التوبة تشمل بمدلولها اللغوي الدعوة إلى سبيل
الله ، أي أن دلالة الآية هنا باللفظ والعبارة لا بالمعقول والمعنى .

ذلك أن «سبيل الله» عند هؤلاء يعني الطريق إلى الله سبحانه فيشمل ذلك كل
وسيلة إلى تحصيل رضا الله وثوابه فيستوى فيه الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى سبيل
الله لأن كليهما يجلب رضا الله وثوابه . قال تعالى :

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾

وقد نقل ذلك الدكتور يوسف القرضاوي في مؤلفه القيم «فقه الزكاة» عن الإمام
الرازي والقفال والقاسمي وصاحب المنار والسيد صديق حسن خان في «الروضة
الندية» ، وهو الراجح من مذهب الإمامية والزيدية ، وبه أفتى الشيخ حسين مخلوف
مفتي الديار المصرية .

٢ - قياس الدعوة إلى سبيل الله على القتال في سبيل الله :

يتجه بعض العلماء إلى أن الدعوة إلى الله وإن لم تدخل لغة تحت عبارة «وفي سبيل
الله» فإنها تقاس على القتال في سبيل الله الذي دلت عليه هذه العبارة بإجماع الفقهاء ،

ذلك أن علة شرع القتال هي حماية العقيدة وكما يكون ذلك بالسلاح فإنه يكون أيضا بالدعوة والحجة والبرهان ، بل إن ذلك قد يكون أبلغ وأشد أثرا منه بالسيف والسنان ، وقد نقل الدكتور / يوسف القرضاوى في فقه الزكاة وعبارات لبعض العلماء المحدثين تؤكد دخول أنشطة الدعوة الإسلامية تحت عبارة « وفي سبيل الله » في آية الصدقات .

فقد نقل عن الشيخ رشيد رضا «ومن أهم ما ينفق في سبيل الله في زماننا هذا إعداد الدعوة إلى الإسلام وإرسالهم إلى بلاد الكفار من قبل جمعيات منظمة تمدهم بالمال الكافي كما يفعله الكفار في تبشير دينهم . ونقل عن الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر قوله : ويشمل سبيل الله الإعداد القوى الناجح لدعاة إسلاميين يظهرون جمال الإسلام وسماحته ويفسرون حكمته ويبلغون أحكامه ، ويتعقبون مهاجمة الخصوم لمبادئه بما يرد كيدهم في نحورهم » .

ويقول الدكتور يوسف بعد هذه النقول (فقه الزكاة ٢ : ٦٥٧) : « إن الجهاد قد يكون بالقلم واللسان ، كما يكون بالسيف والسنان ، وقد يكون الجهاد فكريا أو تربويا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو سياسيا كما قد يكون عسكريا ، وهذه الأنواع من الجهاد تحتاج إلى الإمداد والتمويل » . ثم يقول : فالنصرة لدين الله وطريقته وشريعته تتحقق بالغزو والقتال في بعض الأحوال ، ويتعين هذا الطريق في بعض الأزمنة والأمكنة لنصرة دين الله .

ولكن قد يأتي عصر - كعصرنا - يكون فيه الغزو الفكرى والنفسى أهم وأبعد خطرا وأعمق أثرا من الغزو المادى العسكرى ، فإذا كان الأمر كذلك ، يصبح تغذية العقول والقلوب بتعاليم الإسلام والدعوة إليه أساسا مكيئا لتكوين المرابطين العاملين بجهودهم وأقلامهم للدفاع عن عقيدة الإسلام وشريعته .

والذى يتبين من النقول التى ذكرت عن علماء التفسير وشرح الحديث والفقهاء أن

نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها للناس يجوز تمويله من سهم «وفي سبيل الله» ، في آية مصارف الصدقات ، وأن نشر الدعوة يعد جهادا في سبيل الله لنصرة دينه ، وإعلاء شريعته ، كالجهد بالسيف من باب القياس الأولي على أن العلة في هذا القياس قد تكون أوضح في بعض الظروف والأزمان التي يتخذ الغزو فيها صورة الغزو لقلوب والعقول ، ويستهدف نزع الأيمان منها .

تمويل مشروعات الدعوة بال تبرع :

لقد دلت تجارب العاملين في حقل الدعوة الإسلامية أن الهيئات الخيرية والمؤسسات المالية الإسلامية والمحسنين من رجال الأعمال المهتمين بشؤون التعليم والدعوة الإسلامية يفضلون أن يكون دعمهم للدعوة الإسلامية دعما عينيا أو مرتبطا بمشروع معين سبقت دراسته وتم تقييمه وثبتت جدواه بواسطة خبراء في الدعوة موثوق بكفاءتهم وإخلاصهم ، ولذلك فإني أقترح أن يكون تمويل مشروعات الدعوة على الوجه التالي :

١ - إعداد مشروع متكامل لإنشاء كلية أو معهد لإعداد الدعاة أو مركز لتدريبهم ثم عرضه على المؤسسات المالية والهيئات الخيرية ورجال الأعمال ليقوم فرد أو مؤسسة بتحمل تكلفة بنائه أو بالمساهمة في هذا البناء ويقوم غيره بتحمل نفقاته الإدارية .

وهذا تكون المساهمة في تمويله جهادا في سبيل حماية العقيدة ونصرة الدين ، وأن تكون برامجه محققة للغرض الذي ينشأ من أجله ، ويمكن أن تعد خطة لإنشاء مثل هذه المعاهد والمراكز على مستوى عالمي أو إقليمي ، وأن تسهم الجامعات والهيئات والمنظمات التي تعمل في حقل الدعوة الإسلامية في تمويل هذه الخطة وتدعو غيرها للمشاركة في تنفيذها .

٢ - إعداد خطة لإيفاد الدعاة المؤهلين علميا والمدرّبين عمليا على القيام بالدعوة إلى بعض البلاد ثم عرضها على الهيئات والمؤسسات والأفراد للمساهمة في تمويلها ،

بحيث يتكفل كل فرد أو مؤسسة براتب داعية أو أكثر يكلف بالدعوة في بلد معين ، على أن تتضمن دراسة المشروع طريقة لإطلاع المتبرع على الجهود التي يقوم بها الداعية والإنجازات التي حققها ، وأن ترسل له صورة من التقارير التي ترد من هذا الداعية ، ويمكن هنا أيضا أن نعد خطة للدعوة في داخل البلاد الإسلامية ، وبلاد الأقليات الإسلامية ، ودعوة غيرا: سلمين إلى الإسلام ، وأن تتضمن تكلفة الداعية في البلد الذي يوفد إليه .

٣ - إعداد دراسة عن تكلفة تعليم الطالب أو تربيته في كليات ومعاهد إعداد الدعاة ومراكز تدريبهم ثم عرض هذه الدراسة على الهيئات والمؤسسات ورجال الأعمال لتبني تعليم طالب أو أكثر من بلد معين على نفقة واحد من أهل البر ، على أن يحاط علما باسم الطالب ومدى تقدمه في دراسته .

ويمكن أن يطرح المشروع على شكل منح تقدم لبلاد معينة ، ويمكن كذلك أن يمول أحد المحسنين دورة تدريبية خاصة تعقد في بلد معين لتدريب العاملين في حقل الدعوة على مناهج الدعوة وأحدث أساليبها . وهناك مشروع تعده الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد يهدف إلى إعداد قيادات في حقل الدعوة من الأقليات الإسلامية كملقى الصين وتركستان وأسبانيا والفلبين وتايلاند وشيلي بحيث تعد دورة ليهؤلاء في مقر الجامعة لإعدادهم ، ثم يعودون إلى بلادهم لممارسة الدعوة مع ربطهم بمركز إعداد الدعاة بالجامعة ومدعمهم بمواد الدعوة من الكتب والنشرات والأقلام والأشرطة ، ثم دعوتهم في فترات متقاربة للاجتماع لمدة قصيرة لمتابعة ودراسة نتائج عملهم في بلادهم ، والعقبان التي صادفتهم والإنجازات التي تحققت بعملهم .

٤ - إعداد دراسة عن تكلفة المدرس في معاهد إعداد الدعاة ومراكز تدريباتهم ، ثم عرضه على المؤسسات والأفراد لتحمل مرتب مدرس أو أكثر وذلك في شكل تمويل كرسى معين في مادة محددة كأصول الدعوة ومناهجها ، والغزو الفكري ، وحاضر العالم الإسلامي ، والعقيدة والتفسير والحديث ، بحيث تمول التخصصات المختلفة في المعهد أو المركز .

ولا مانع أن يعرف المتبرع من يشغل الكرسي الذى يحمله ، وأن يشرح له من تتوافر فيه شروط شغله .

٥ - إعداد دراسة عن تكوين مكتبة إسلامية وعمل قوائم بالكتب والمراجع والمصادر التى تزود بها هذه المكتبة والأجهزة والآلات التى تيسر الاستفادة منها ثم عرض هذا المشروع على الراغبين فى تمويل الدعوة كما يمكن أن يكون عن طريق إمداد المكتبة بالمراجع والمصادر فى موضوع معين ، كخزانة للحديث أو فقه السيرة ، أو مشاهير الدعوة ومناهج الرسول فى الدعوة إلى الله .

٦ - وما قيل عن بناء معاهد الدعوة ومراكزها يقال عن بناء مساكن لطلابها ومدرسيها والمراكز الطبية والرياضية والاجتماعية لخدمة طلابها ومدرسيها .

٧ - عمل دراسة جادة لطريقة استخدام الفن بجمع صور، وأشكاله فى خدمة العقيدة والدعوة والقيم الإسلامية ، وتمجيد الطهر والعفاف والفضيلة ، والسخرية من الفسق والتحلل والرذيلة ، وكتابة وإنتاج أعمال فنية ذات مستوى رفيع كالفيلم والرواية والممثل والحديث والحوار وتوزيعها ، ثم يعرض هذا المشروع على المؤسسات ورجال الأعمال والمحسنين لتمويل عمل من هذه الأعمال أو لبناء استديوا أو شراء كاميرا أو غير ذلك مما يلزم الإنتاج الفنى من معدات ، ذلك أن الجهاد الفكرى - كما قلنا - أشد خطراً وأعظم أثراً من الجهاد بالسلاح فى عصر الغزو الفكرى وتصارع المذاهب ، واستخدام الفن وفى محاربة العقائد والقيم ، والتشكيك فى حقائق الإسلام والتنفير من مناهجه .

٨ - دراسة مشروع إصدار صحيفة أو مجلة تعنى بنشر البحوث والمقالات فى قضايا الدعوة الإسلامية وتعرض حقائق الإسلام وترد على أباطيل خصومه ، ثم تعرض على الجهات الراغبة فى دعم العمل الإسلامى لتمويل هذه الصحيفة أو المجلة أو المساهمة فى هذا التمويل ويمكن أن يكون إصدار هذه الصحف والمجلات على مستوى العالم كله أو على مستوى منطقة أو بلد معين ، ويجب أن تفتح الصحف والمجلات باباً خاصاً يرد اتهام الأعداء على الإسلام بأسلوب هادىء يكشف باطله ويفضح زيفه وتجنیه .

ويمكن أن يكمل هذا العمل بإنشاء دار لتأليف والنشر والترجمة تعنى بتأليف الكتب والبحوث وترجمتها ونشرها بلغات عدة .

وينبغي الإشارة هنا إلى أن التعاون والتنسيق بين الجهود التي تقوم بها الدول الإسلامية وتلك التي تقوم بها الهيئات والمؤسسات والشخصيات الإسلامية وإن كان لازما وضروريا لنجاح خطط الدعوة في الداخل والخارج إذا أمكن تحقيقه ، إلا أن قيام هذه الهيئات والمؤسسات الخاصة بإعداد خطط خاصة بها وبالتعاون والتنسيق بينها أمر تملبه الحاجة العملية ، إذ أن بعض هذه الدول قد لا تريد أن تزج بنفسها في مجال نشر الدعوة ، وبعضها تقصر إمكانياته العلمية أو المالية عنه ، وبعضها لا يريد أن يعلن عن هذا الاتجاه سياسته ، ولكنه يشجع المؤسسات والهيئات الخاصة والأفراد على القيام ، وخصوصا برامج الدعوة إلى الإسلام في الخارج ، والتصدي للغزو الفكري المنظم الوافد إلى البلاد الإسلامية من غير المسلمين ، والحملات الإعلامية الحاقدة على الإسلام وأهله ، فقد تجد دولة إسلامية أن السياسة الرشيدة التي يملئها عليها واقعها السياسي والاقتصادي تقتضي عدم تصدى أجهزة الإعلام والدعوة الرسمية لصد هذه الهجمات والرد على تلك الحملات ، ولكنها في نفس الوقت ترغب في دعم مؤسسات الدعوة الشعبية للقيام بهذا الواجب وحمياتها من نتائجه .

نظام الوقف الإسلامي :

لقد لعب نظام الوقف الإسلامي دورا خطيرا في تاريخ التعليم والدعوة الإسلامية في العالم الإسلامي كله ، فقد قامت أعرق المؤسسات التعليمية في التاريخ الإسلامي كالأزهر والزيتونة برعاية هذه المؤسسات وتمويلها بدفع تكلفة إدارتها ورواتب مدرسيها والمشرفين عليها ، وتوفير حد الكفاية وضمان العيش الكريم لطلابها وإنشاء خزانات الكتب وتزويدها بالمراجع والمصادر ، ونسخ الكتب وطبعها لتكون عوناً لطلابها ، وقد مولت أنشطة الدعوة الإسلامية في داخل البلاد الإسلامية وخرجها من أوقاف المسلمين ، وبذلك شارك الشعب الدولة في تحمل

مسئولية تبليغ الإسلام لغير المسلمين ، ودعوة المسلمين إلى اتباع تعاليمه وتطبيق منهجه وتحكيم شريعته باعتبار ذلك مصلحة شرعية واجبة على الكفاية ، يتوجه الخطاب فيها إلى المكلفين جميعاً ، ولا تبرأ ذمتهم من هذا الوجوب إلا بتحقيق تلك المصلحة ، فإذا اعجزت الدولة عن ذلك بقى الوجوب على الأفراد .

وأيضاً تبنت بعض الدول الغربية نظام الوقف في العصر الحديث لماله من أثر خطير في تحقيق المصالح الدينية والاجتماعية على وجه الاستمرار والدوام ، حتى بعد وفاة الراغبين هي فعل الخبرات من الواقفين .

ويمكن أن يكون إحياء نظام الوقف الإسلامي بانثاكد على أهميته في مجال الدعوة الإسلامية في داخل البلاد الإسلامية وخارجها فإذا ما قامت مؤسسة أو هيئة أو جمعية من أجل العمل في مجال الدعوة الإسلامية بإنشاء معاهد ومراكز لتأهيل الدعاة أو تدريبهم أو بإقامة دار لتأليف الكتب والبحوث ونشرها ، أو بإعداد خطة لإيجاد بعض الدعاة لتبليغ دعوة الإسلام في خارج البلاد الإسلامية وجد في الوقف أحد مواردها المالية .

وعلى المؤسسات والهيئات والجمعيات العاملة في حقل الدعوة أن تقوم بإعداد الدعاة وإيادهم لتبليغ دعوة الإسلام ، وتزويدهم بمادة الدعوة المقروعة والمسموعة والمرئية أن تنشئ لتمويل نشاطها وفقاً تدعو الناس إلى التبوع له بجزء من أموالهم .

وقد تدعو هذه المؤسسات بعض رجال الأعمال أو الشركات إلى إنشاء مركز لخدمة غرض معين أو تمويل مشروع خاص من مشاريع الدعوة ، كتشجيع الكتب وإعداد الدعاة ، وإصدار مجلة ، وتكون المؤسسة هي ناظر هذا الوقف المسئولة عن تنفيذ شروط الواقف .

إقامة مشروعات استثمارية لدعم الدعوة الإسلامية

لا ينبغي لمؤسسات الدعوة الإسلامية أن تعتمد في تمويل مشروعات الدعوة على المساعدات والمعونات النقدية التي ترد إليها في صورة من الصور السابقة ، بل عليها أن تعمل على إيجاد موارد ثانية لتمويل هذه المشروعات ، وذلك من خلال الوسائل الآتية :

١ - إنشاء مشروعات استثمارية لمؤسسة الدعوة أو للمساهمة مع غيرها من المؤسسات أو الشركات ورجال الأعمال الراغبين في دعم الدعوة الإسلامية في مشروعاتهم ، وذلك من أموال الوقف أو حصيلة التبرعات النقدية التي تلقاها المؤسسة على أن تنشأ إدارة خاصة للموارد والاستثمار في داخل مؤسسات الدعوة تتولى إعداد خطة لجمع التبرعات للمؤسسة والإشراف على استثمارها والانفاق من عوائدها .

٢ - دعوة بعض الدول الإسلامية وأهل الخير من أفراد ومؤسسات مالية ومصرفية وشركات استثمار في داخل العالم الإسلامي للمشاركة في مشروعات مؤسسات الدعوة التي تقوم بها لأنفاقها على نشاط الدعوة وتمويل خططها .

وقد لمست رغبة صادقة من بعض رجال الأعمال المهتمين بشئون التعليم الإسلامي والدعوة الإسلامية في مساعدة المؤسسات الإسلامية العاملة في هذا الحقل في بعض البلاد التي حرمت من فرصة التعليم الإسلامي في إعداد العدد الكافي من الدعاة وتمويل نشاطهم ، وذلك بإقامة مشروعات استثمارية في تلك البلاد وتوجيه أرباحها أو بعضها لهذا النشاط حتى تكون مساهمته في الدعوة صدقة جارية .

ويمكن أن توفّر هذه المشروعات بعد قيامها ونجاحها على مؤسسة الدعوة للأغراض التي يحددها الواقف وتلتزم بتنفيذها المؤسسة ، على أنى أوصى كما ذكرت بأن تقوم مؤسست الدعوة الخاصة بإنشاء إدارة خاصة يقوم عليها خبراء في

مجالات الاستثمار الإسلامي لتتولى مهمة التخطيط لاستثمار أموال الوقف في المشروعات التي تشبث جذورها الاقتصادية والإشراف على تنفيذها .

وقد لجأت الجمعيات والمؤسسات المعادية للإسلام والعاملة على حربه وتشويه حقائقه والشك في صلاحيته ، وصد المسلمين عنه إلى دعم نشاطها بهذا الطريق .

فوضعت البرامج العلمية لجميع الأموال الهائلة واستثمارها في مشاريع ناجحة وإنفاق عوائدها على خطط التنصير وحرب الإسلام وفق خطة نشر وإعلام ودعاية أحكمت حلقاتها واستخدمت فيها كل وسائل العلم الحديث .

دور مؤسسات الدعوة حيال الفزو الفكري

**للأستاذ الدكتور / محمود حمدي زقزوق
عميد كلية أصول الدين بالقاهرة - جامعة الأزهر**

تمهيد :

لم أكلف بكتابة هذا البحث إلا في نهاية الشهر الماضي ، وكان على أن أكتبه خلال أيام قليلة حتى يمكن لمكثارية المؤتمر أن تطبعه وتدرجه ضمن البحوث الأخرى . وفي وسعي أن أستجمع أفكارى حول هذا الموضوع خلال تلك الفترة الزمنية القصيرة ، ولكن هناك أموراً وأعمالاً علمية أخرى والتزامات كثيرة لا تحتمل التأجيل تتصل بعملى فى إدارة الكلية التى أشرف بعمادتها جعلتني أتردد فى قبول الكتابة فى هذا الموضوع الهام تحت ضغط عامل الوقت .

ولكننى من ناحية أخرى أحست بمسؤوليتى نحو هذا العمل الذى يعد نوعاً من الجهاد فى سبيل الله ، ولذلك اختلست بعض الوقت فى زحمة أعمالى الأخرى لأكتب هذه السطور التى تعد بمثابة رؤوس موضوعات التى أرجو أن يكون فيها بعض الفائدة ، وأن تكون إسهاماً متواضعاً فى أعمال هذا المؤتمر الجليل ، وإن كنت أول من يدرك ما فى هذا البحث من قصور وتقصير .

تحديد المفاهيم

يتحتم علينا فى البداية أن نحدد بعض المفاهيم التى تعد مفتاحاً لهذا الموضوع . فعنوان البحث المطلوب يحمل بعض المفاهيم مثل «مؤسسات الدعوة» و«الغزو الفكري» و«الدور» الذى يمكن أن تقوم به هذه المؤسسات حيال هذا الغزو . وهذه أمور تحتاج إلى شيء من التوضيح والتحديد . فخطواتنا فى مجال الدعوة يجب أن تكون محسوبة وموزونة ، ومفاهيمنا يجب أن تكون محددة ودقيقة . فنحن اليوم فى عصر لا مجال فيه للارتجال أو التعميمات الغامضة .

مؤسسات الدعوة :

فماذا نعنى عندما نتحدث عن مؤسسات الدعوة ؟
مؤسسات الدعوة مفهوم واسع يشمل وزارات الأوقاف والماجد التى تتبعها وما

تقوم به من دور كبير في التوعية الدينية ، وتشمل أيضا معاهد التعليم التي تعنى بالتكوين الإسلامي على اختلاف مراحلها ، وبخاصة الجامعية منها . ويدخل فيه كذلك إدارات الوعظ والإرشاد والمجان العليا للدعوة ، ولجان الشؤون الدينية بالمجالس النيابية والمجلس الأعلى العالمي للمساجد والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ولجان الشؤون الدينية بالأحزاب المختلفة وإدارات تدريب الدعاة ، ووسائل الإعلام الإسلامية مقروءة أو مسموعة أو مرئية مثل إذاعات القرآن الكريم والصحافة الدينية سواء كانت صحفا يومية أم أسبوعية أم مجلات أسبوعية أم شهرية أم دورية الخ . . . ، كما يدخل تحت مفهوم مؤسسات الدعوة أيضا المؤسسات الأهلية والجمعيات الدينية التي تعنى بالتوعية الدينية .

ويمكن تجاوزا أن يدخل تحت هذا المفهوم أيضا الجهود الفردية التطوعية في مجال الدعوة إلى الله . ولكن هذه الجهود الفردية إذا لم تكن مؤهلة للقيام بدورها في مجال الدعوة ، فإن خطرها أو ضررها سيكون أكثر من نفعها .

ومن أجل ذلك لا يجوز إغفالها لأنها يمكن أن تثير الكثير من التزاعاد حول أمور شكلية في الدين فتضر أكثر مما تنفع وتفرق بدل أن توحد .

وأخطر هذه المؤسسات جميعا هي المؤسسات التي تتولى التربية والتنشئة ابتداء من المراحل التعليمية الأولى حتى المراحل النهائية ، وبضاهيها في الخطر والأهمية وسائل الإعلام لما لها من تأثير لا يقاوم في صياغة أفكار الناس وتوجيه عقولهم .

ومؤسسات الدعوة هذه تستطيع أن تؤدي أجل خدمة للإسلام إذا تعاونت فيما بينها وقامت بتنسيق خططها وتوحيد جهودها . أما إذا تشاحت فيما بينها وتنافرت خططها وتضاربت جهودها فإن هذا من شأنه أن يهود بالضرر البالغ على الدعوة الإسلامية بصفة عامة ، بل وينعكس أثره سلبيا على الإسلام ذاته .

الغزو الفكري :

أما مفهوم الغزو الفكري فإنه مفهوم قد استقر في الأذهان في معظم بلاد العالم الثالث على الرغم من عدم دقة إطلاقه . فالغزو يعنى الإرغام والقهر . وهذا المعنى غير قائم إلا في بعض الصور التي يطلق عليها مفهوم الغزو الفكري . أما بقية صور ما يسمى بالغزو الفكري فتتم بأيدينا نحن وباختيارنا ، وهذا هو وجه الخطورة .

وبصفة عامة يمكن القول بأن مفهوم الغزو الفكري يقصد به كل التيارات الفكرية الهدامة الواردة من الغرب الرأسمالي أو الشرق الماركسي ، سواء تمثلت في نظريات فلسفية أو اجتماعية أو اقتصادية أو تربوية أو سياسية أو دينية أو دراسات استشراقية أو غير ذلك من نظريات تتصل بحقل الدراسات الإنسانية على وجه الخصوص .

وقد تكون بعض هذه التيارات الفكرية قد فرضت بالفعل فرضا من جانب المستعمر على الشعوب الإسلامية إبان فترة الاحتلال لهذه البلاد ، مثل فرض النظرية العلمانية بالفصل بين الدين والدولة في مجال السياسة والاقتصاد وتنظيم المجتمع ، وازدواجية التعليم ، وما إلى ذلك من أمور أريد لنا دون إرادتنا أن نسير في تيارها . وقد يكون بعض هذه التيارات الفكرية قد جلب إلى بلاد المسلمين على أيدي مسلمين تتقفوا بالثقافات الغربية في الوقت الذي لم يكونوا فيه على دراية تامة بأمور دينهم العامة أو الخاصة ، وقد يكون بعض هذه التيارات قد جلب على أيدي مواطنين غير مسلمين يهمهم بالدرجة الأولى إصعاف الإسلام وتفتيت وحدته - وقد يكون بعض هذه التيارات الفكرية قد وجد لنفسه مرتعا خصبا وفرصة مواتية لدى بعض النفوس المقلدة للغرب في كل شيء من أبناء المسلمين تحت تأثير مركبات النقص وعقد التخلف التي تعاني منها . ولعل هذا الفريق هو الذي عناه المرحوم مالك بن نبي - المفكر الإسلامي الجزائري - حينما تحدث في بعض مؤلفاته عن أولئك الذين لازالت لديهم القابلية للاستعمار .

ولا يجوز إغفال الدور الذى تقوم به بعض وسائل الإعلام فى العالم الإسلامى فى نقل الكثير من هذه التيارات الفكرية الهدامة سواء أكان ذلك عن علم ودراية أو عن جهل وغفلة ، وسواء أكان ذلك بطريق مباشر أم غير مباشر . فإن ما تنقله وسائل الإعلام هذه مسموعة أو مرسومة أو مقرؤة يعمل عمله فى صياغة أفكار الشباب والأطفال على وجه الخصوص ، بل والكهول أيضا وينعكس اثره سلبيا على سلوكهم وتوجهاتهم .

مخاطر الغزو الفكرى :

بعد هذا التوضيح القصير نعود إلى جوهر الموضوع وهو الدور المنوط بمؤسسات الدعوة حيال الغزو الفكرى . ولكن قيل ذلك علينا أن نسأل :

ما أسباب الخوف من الغزو الفكرى الذى لجأ إليه الاستعمار بعد أن استحال عليه الوجود العسكرى فى البلاد التى كان يحتلها وسيطر عليها ؟ .

إن القضية هنا تتصل اتصالا مباشرا بالضعف الذى يعانى منه العالم الإسلامى كله أو بمعنى اخر : إن الأسباب الحقيقية لهذا الخوف تكمن فى التخلف الذى يخيم على الشعوب الإسلامية .

وهذا التخلف واقع ملموس حتى وإن توارى خلف بعض مظاهر التقدم المادى فى بعض المناطق الإسلامية .

وغنى عن البيان أن الجسم الضعيف يكون أكثر تعرضا لخطر الإصابة بالأمراض الفتاكة من الجسم السليم ، فالأمة الإسلامية لو كانت قوية مرهوبة الجانب ورائدة فى مضمار التقدم والحضارة لما كانت هناك على الإطلاق مشكلة قائمة حول الغزو الفكرى وخطره على الإسلام ، فالإسلام ذاته قوى فى مبادئه وأصوله وأهدافه

وتشريعاته ، ولا يخشى عليه من أية تيارات فكرية مناوئة أيا كان خطرها وأيا كان مصدرها طالما وجد هذا السدين من أتباعه الفهم الصحيح لأهدافه وغاياته وتشريعاته . ولكن إذا انتقد الإسلام لدى أتباعه ذلك الفهم لضعفهم وانهايار عزائمهم وانحلال عرى وحدتهم فهنا يكون الخطر كل الخطر الذي يهدد كيانهم كله .

فالقضية إذن تدور حول ما يتعرض له الملحون .. نظرا لضعفهم .. من مخاطر الغزو الفكري الذي يحاول أن يحتوهم ويستولى على عقولهم ويصوغ لهم أفكارهم ويخطط لهم في كل مجالات حياتهم حتى ينسوا دينهم الذي يراد إزاحته تماما من النفوس ، أو على الأقل يراد له أن يكون فقط سحجر: مظهر خارجي يمثل في بعض المظاهر الدينية الشكائية التي لا تعنى شيئا . فالمستهدف في النهاية هو الإسلام بوصفه يشكل العقبة الرئيسة أمام القوى الأجنبية التي تحاول السيطرة على المسلمين أو استنزاف خيراتهم .

فما دام القرآن يتلى بين الصالحين ومادام الإسلام حيا في نفوسهم فمن المتحيل أن يأمن العدو أو يهدأ له بال أو يقرر له قرار ، فالإسلام يرفض ولاية الأجنبي على المسلمين وفي الوقت نفسه يغرس العزة في نفوس المؤمنين . ومن هنا تحاول شتى التيارات الفكرية الوافدة أن تصفى أدمغة المسلمين من المحتوى الحقيقي للإسلام بطريق مباشر أو غير مباشر .

وإن نظرة عابرة على بعض هذه التيارات ترينا بوضوح مدى الجهود التي تبذل في سبيل إفراغ الإسلام من مضمونه واختزاله إلى مجرد طقوس شكلية لا روح فيها ولا حياة ، أو محاولة طمسه كلية ومحوه من العقول والقلوب .

فالاتشراق مثلا له أسلوبه في التشكيل في الإسلام جملة وتفصيلا . . جملة بالادعاء بأنه دين مأخوذ من الديانات السابقة عليه ولا جديد فيه ، وتفصيلا بالثشكك في القرآن الكريم سواء في مصدره أم في نصه ، وفي الحديث النبوي

وروايته وفي الشريعة الإسلامية وأصالتها ، وفي الفلسفة الإسلامية وخصوصيتها ،
وفي الفكر الإسلامي والتاريخ الإسلامي بصفة عامة ، وكذلك تأجيج نار النزاعات
والانقسامات بين الفرق الإسلامية وإحياء النزعات القديمة مثل الفرعونية والفينيقية
والقارسية وغيرها من انتماءات قديمة يريد لها أن تغطي على انتماء المسلمين
لإسلامهم وتاريخهم وحضارتهم ، كما تعمل هذه التيارات على إضعاف اللغة
العربية بوصفها لغة القرآن الكريم ، وذلك بتشجيع اللهجات العامية المحلية
والتعصب لها أو الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ، إلى آخر تلك
الخطط المشبوهة والمفضوحة .

ومن ناحية أخرى تعمل التيارات المادية اللاحادية من مذاهب وضعية أو ماركسية
أو وجودية - تعمل على محو الدين تماما من النفوس وجعل الانسان عبدا أسيرا
لأنانيته وحاجاته المادية ، فلا مجال هناك لما يسمى بالروح أو الدين ، فذلك أمر
يعد في نظر هؤلاء تخلفا ورجعية .

وهكذا تأخذ المفاهيم معانى معكوسة . فالمادى الماركسى - الذى اتخذ إلهه
هواه - يصف نفسه بالتقمية ، أم المتدين المتمسك بدينه الملتزم بأدابه فإنه
يوصف بالرجعية .

وهكذا تدخل علينا كل هذه التيارات الفكرية الغازية من خلال الضعف الذى
يعانى منه المسلمون لا من خلال ضعف الاسلام ، ولكن إذا ضعف المسلمون
وأصبحوا كالجسد الهزيل الذى لا يقوى على مقاومة ميكروبات الأمراض التى تغزو
جسه فإن الخطر ينتقل بالضرورة إلى الإسلام ذاته .

وهنا تبرز بين المسلمين أنفسهم شتى التفسيرات التى تنحرف بالإسلام عن
مقاصده وغاياته ، وتتدخل هنا الأهواء والأغراض لتميل بالدين حسبما تشاء ،
وتظهر النزاعات والانقسامات بين المسلمين من أجل أمور ثانوية . ويساعد العدو

بالطبع على إشعال نار هذه الانقسامات بهدف ضياع وحدة المسلمين وتفكيك عرى التماسك بينهم ، وبذلك يصل إلى ما يريد بإيدنا نحن .

دور مؤسسات الدعوة :

إن الدور الذى يجب على مؤسسات الدعوة أن تنهض للقيام به حيال مخاطر الغزو الفكرى يتغى أن يسير فى خطين متوازيين فى وقت واحد : أولهما يتمثل فى تحصين الجبهة الداخلية ، وثانيهما يتمثل فى المواجهة المباشرة للغزو الفكرى . وهذا إجمال تفصله فيما يلى :

أولا : تحصين الجبهة الداخلية :

بقتضى تحصين الجبهة الداخلية استنهاض عزائم المسلمين لنفض غبار التخلف عن كواهلهم وحثهم على المشاركة الايجابية فى صنع التقدم والحضارة على أرضهم عن طريق العلم والدراسة والفهم ، حتى لا يظلون - كما يراد لهم - مجرد مستهلكين لمنتجات الغرب . فالامر المؤسف حقا أن العالم الإسلامى - الذى حياه الله رفعة تحمل فى باطنها كل خيرات الدنيا - لا يزال يعتمد فى قوته على الدول الاجنبية بنسبة ستين فى المائة ، وهذه الدول إذ تورد له قوته تورد له فى الوقت نفسه أفكارها وقيمتها وتقاليدها وطرائق معيشتها، ومعروف أن من لا يملك قوته لا يملك قراره .

ومن أجل ذلك يجب أن تقوم مؤسسات الدعوة بنشيط الدافع الذاتى لدى المسلمين وإبراز القيم الإسلامية المنسية مثل : قيم العمل والوقت والحق والخير والجمال ، وترسيخ هذه القيم فى النفوس .

فلن ينفعنا أن نكتفى بسرد تاريخنا المشرق والتغنى بما كان لنا من أمجاد سابقة ، فنحن لن نكون جدبرين بالانتساب إلى هؤلاء الأسلاف العظام إلا إذا كنا

مثلهم رجالا نعمل ونبنى الحضارة والمتقدم ونتملح بالعلم والمعرفة والا فلا خير فينا .

ويحضرني في هذا الصدد ما يروى من أن شكيب أرسلان قد زار جمال الدين الافغانى ذات مرة ، عندما كان شبه أسير في عاصمة الخلافة العثمانية ، وحكى له ما يروى من أن العرب عبروا المحيط الاطلنطى قديما واكتشفوا أمريكا قبل اكتشاف الأوربيين لها فيرد عليه جمال الدين قائلا :

«إن المسلمين اصبحوا كلما قال لهم الإنسان : كونوا بنى آدم ، أجابوه : إن آباءنا كانوا كذا وكذا ، وعاشوا في خيال ما فعل آباؤهم ، غير مفكرين بأن ما كان عليه آباؤهم من الرفعة لا ينفى ما هم عليه من الخمول والضعف .

إن الشرقيين كلما أرادوا الاعتذار عما هم فيه من الخمول الحاضر قالوا : أفلا ترون كيف كان آباؤنا ؟ نعم قد كان آباؤكم رجالا ، ولكنكم أنتم أولاء كما أنتم ، فلا يليق بكم أن تذكروا مفاخر آباءكم إلا أن تفعلوا فعلهم»^(١) .

فمن الضروري أن توجه مؤسسات الدعوة جهودها - كل منها بأسلوبه وطريقته الخاصة - لا يقاظ الهمم لدى كل فئات الشعب وحفر العزائم للعمل على انتشال العالم الإسلامى من الركود الذى يحيط به - وهذا أمر يتطلب وضع خطة للتنمية الدينية والأخلاقية على غرار ما تقوم به الدول من وضع الخطط الاقتصادية والاجتماعية وذلك من أجل ترسيخ المفاهيم والقيم الإسلامية فى النفوس لتنتقل إلى العمل بهمة ونشاط . فهذه التنمية الدينية والأخلاقية هى الأساس الحقيقى لكل أنواع التنمية الأخرى اقتصادية كانت أم اجتماعية أم تربوية أم سياسية الخ . . .

والغريب أن الدول الإسلامية تضع باستمرار خططها للتنمية الاقتصادية والاجتماعية دون أن تبدل أى جهد حقيقى فى سبيل وضع خطة للتنمية الدينية

والأخلاقية في حين أن هذه هي الركيزة الأساس لتلك - فتربية الضمير وتوعية العقول بقيم الإسلام وأدابه يدفع العامل إلى العمل بجهد وإخلاص مراعيًا ضميره وربيه ، فيزيد الانتاج وتنافس العقول في سبيل الخير للمجتمع الإسلامي .

ومن ناحية أخرى فإن التربية على أساس القيم والمبادئ الإسلامية . والتنوعية الدينية بأسس الإسلام وغاياته يشكل حصانة قوية ودعامة أساسا تستطيع أن تواجه أية تيارات فكرية أجنبية - ومن هنا ، من تقوية الجبهة الداخلية الإسلامية وتوعيتها ، نحصل المسلم من الوقوع بسهولة في حبال الغزو الفكري .

ويجب أن يبدأ هذا التحصين من مرحلة الطفولة ، وذلك بغرس الانتماء الحقيقي إلى الإسلام في نفوس الناشء وإبراز صور البطولات الإسلامية أمام عينه وقلبه ، وصقل مواهبه وتنمية مداركه في إطار من أخلاق الإسلام وأدابه . ولا بد أن تتحقق أمامه القدوة الحسنة التي تجعله يتعايش مع الإسلام ممثلًا في نماذج حية لا في مجرد التلقين بكلام نظري . فإن من أخطر الأمور في مجال التربية أن يجد الطفل في مربيه أو في والديه والمحيطين به ذلك الانقسام الممقوت بين القول والفعل . فإذا نهى المربي عن خلق لا بد أن يكون هو نفسه منتهيا عنه ، وإلا حق عليه قول القائل :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
أبدأ بنفسك فأنهها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

ومن الضروري أن يستمر التحصين المطلوب في جميع مراحل التعليم . ومن هنا تأتي أهمية تدريس الثقافة الإسلامية في الجامعات الإسلامية حتى لا يترك الطالب في هذه المرحلة الحاسمة من مراحل حياته نهبا لشتى التيارات الفكرية دون أن تكون لديه حصانة كافية من دينه وتراثه وقيمه ، ودون أن يكون لديه الانتماء الراسخ لعقيدته وتاريخه .

لانيا : المواجهة المباشرة :

اما عن الجانب الثانى من المهمة الأساس لمؤسسات الدعوة حيال الغزو الفكرى ، والذي سبق أن أشرنا إلى أنه ينبغى أن يسير فى الوقت نفسه مع الجانب الأول فإنه يتمثل فى المواجهة المباشرة للتيارات الفكرية الغازية ، ونعنى بذلك ضرورة الدراسة الواعية لشتى التيارات الفكرية ، وإدراك أسسها وأهدافها ووسائلها حتى يمكن نقضها وتفنيدها وحماية المسلمين من أخطارها . ولنا فى أسلافنا مثل يحتذى ، فقد كانت التيارات الفكرية الأجنبية القديمة - التى كانت تمثل لونا من ألوان التحدى للإسلام والفكر الإسلامى الأصيل فى عصور الإسلام الزاهرة - كانت حافزا للمسلمين فى تلك الأيام الخوالي للوقوف أمامها بقوة وصلابة . وقد كانت المواجهة على مستوى التحدى بل تفوقه . فقد هضم الفكر الإسلامى تلك التيارات هضمًا دقيقًا واستوعبها استيعابا تاما ، ثم كانت له معها وقفته الصلبة وبالأسلحة الفكرية نفسها . فالمواجهة إذن كانت مواجهة فكرية .

وكان التاريخ يعيد نفسه . فالحرب الآن بين الاسلام والتيارات المناوئة له حرب أفكار ، والمعركة معركة فكرية . ولهذه المعارك أدواتها التى يجب التسلح بها . فالخسران فى هذه المعركة أشد وطأة وأقوى تأثيرا وأعظم فتكا من خسارة أية معركة حربية أيا كان حجمها .^(٤)

ومواجهة هذه التيارات الفكرية مواجهة حاسمة لا تكون إلا بدراستها دراسة واعية . «فلا يقف على فساد نوع من العلوم - كما يقول الإمام الغزالي - من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوى أعلمهم من أهل ذلك العلم ، ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم . . . وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقا»^(٥).

وقد طبق الإمام الغزالي هذه القاعدة على نفسه حين تعرض بالنقض والتفنيد للأفكار الفلسفية اليونانية فى عصره وللأفكار الباطنية وغيرها من تيارات فكرية . وقد

فعل الإمام ابن تيمية الشيء ذاته حين تعرض بالنقض والتفنيد لتيارات الفكرية الأجنبية في عصره .

وإذا كان أسلافنا العظام قد فعلوا ذلك منذ قرون فنحن اليوم في نهاية القرن العشرين أولى بأن نفعل ذلك ، فعصرنا لم يعد يحترم غير منطق العلم ومخاطبة العقل والاقناع بالحجة والبرهان .

ومن هنا تأتي ضرورة الدراسة الواعية لكل ما يدور في عالم اليوم من أفكار ونظريات ونقدها في موضوعية ، وعدم اللجوء إلى إلقاء الكلام على عواهنه والإغراق في التعميمات التي لا تجدى قليلا .

وهناك نقطة هامة وضرورية قبل التوجه بالنقد إلى الآخرين ، وهي ضرورة ممارسة النقد الذاتي أولا حتى نعرف مواقع أقدامنا ، ونكون على وعى بقصورنا وتقصيرنا في حق أنفسنا وفي حق ديننا ، وأن نقوم بتشخيص عللنا وأمراضنا الاجتماعية والفكرية والسلوكية تشخيصا حقيقيا حتى يمكننا أن نقوم بعلاجها علاجا سليما .

ولا يكفي أن نرفع أصواتنا بين حين وآخر بوضع كل ما نعانيه من علل وأمراض وتخلف وانحدار على شماعة الاستعمار والصهيونية ، ونكفي بذلك وكثنا قد قمنا بحل مشاكلنا ، وأدينا واجبنا ، وعرفنا السبب الحقيقي لكل ما نعانيه من تخلف ، إن هذا السلوك هو التخلف بعينه وهو العجز بعينه .

والذي يجب أن نأركه جيدا هو أن التيارات الفكرية الغازية تستمد قوتها من ضعفنا ، ووجودها نفسه في بلادنا وبين ظهرانيها مشروط بعجز العالم الإسلامي عن معرفة ذاته . وروم أن يعي العالم الإسلامي ذاته وينهض من عجزه ويلقى عن كاهله أثقال التخلف الفكري والحضاري - يومها لن نجد هذه التيارات الفكرية الغازية مجالا للمظهر أو الانتشار بيننا .

وإذا كان علينا أن نضع عن أنفسنا أغلال الوصاية الفكرية فإن علينا من ناحية أخرى أن نتحرر من عقدة التخلف التي تسيطر علينا في جميع مناحي حياتنا ، والتي تسد على الكثيرين منا منافذ الأمل في الخروج من أزمئنا . فقد تحررنا من الاستعمار العكسي ولكننا لم نتحرر من القابلية للاستعمار . ولهذا فإن نظرة الكثيرين منا لكل ما يأتي من الغرب هي نظرة التقدير والإكبار ، حتى وإن كان هذا الذي يرد إلينا متمثلا في أزياء غريبة عن أذواقنا وتقاليدينا ، أو شرائط تحمل الأحانا سخابة وأصواتا مزعجة تصرخ بعنف يحطم الأعصاب ، ونعدها فنا نتلفه ونحاكيه لأنه قادم من الغرب المتقدم ، غافلين عن الأسباب التي أفرزت في الغرب مثل هذه الظواهر . وهي أسباب غريبة منا بكل تأكيد“ .

ويبدو أن «عقدة الخواجة» والتقدير الفائق لقدرات الأجنبي أمر ضارب بأطنابه في بعض الجوانب من تاريخنا . فقد حكى الجاحظ في كتاب البخلاء الحكاية التالية عن طبيب عربي مسلم هو (أسد بن جاني) . يقول الجاحظ «وكان طيبا فأكسد مرة» فقال له قائل : السنة وبيئة ، والأمراض فاشية وأنت عالم وذك صبر وخدمة ، وذك بيان ومعرفة . فمن أين توتى في هذا الكساد ؟ قال : أما واحدة فإنني عندهم مسلم وقد اعتقد القوم قبل أن أعطب ، لابل قبل أن أخلق أن المسلمين لا يفلحون في الطب .

واسمى أسد ، وكان ينبغي أن يكون اسمي صليب ومراسل ويوحنا ويبرا . وكنيتي أبو الحارث ، وكان ينبغي أن تكون : أبو عيسى ، وأبو زكريا ، وأبو إبراهيم . وعلني رداء قطن أبيض ، وكان ينبغي أن يكون علني رداء حر أسود . ولفظي عربي وكان ينبغي أن تكون لغتي لغة أهل جنديابور“ .

وكل هذه وغيرها شواهد تؤكد لنا ضرورة التحرر من مركبات النقص وعقدة التخلف حتى نكون على ثقة بأنفسنا ، والنقد الذاتي من ناحية أخرى كفيلا ينتج عيوننا على كل عيوبنا . وهذه الخطوات تمثل شروطا ضرورية للدخول في المواجهة

العلمية التي على مؤسسات الدعوة أن نضطلع بها، وبخاصة تلك المؤسسات المعنية بتكوين الدعاة أو التخطيط لتكوينهم. وفيما يلي بعض الأفكار العملية المتواضعة في مجال المواجهة الفكرية .

خطوات عملية :

نظرا لأن المواجهة اليوم - كما سبق أن أشرنا - هي مواجهة على المستوى الفكري ونظراً لأن التيارات الفكرية الوافدة تتخذ لنفسها صفة العلمية والانسانية والتقدمية والحضارية الخ . فلا بد لنا من أن ندخل إلى هذا الميدان ونحن ملحون بنفس الأسلحة الفكرية التي نستخدمها هذه التيارات أو التي تدعى أنها نستخدمها حتى يمكن كشف زيفها على علم وعن بيعة . وهذا يقتضى اتخاذ بعض الخطوات العملية ومنها على سبيل المثال ما يأتي :

١ - إنشاء مركز علمي للدراسات الاستشراقية :

فليس من المعقول ولا من المقبول أن يكون هناك في أوروبا وأمريكا ما يقرب من مائة معهد للإستشراق تقوم كلها بدراسة عمقائنا وحضارتنا ولغتنا وتاريخنا كله ، ولا يوجد لدينا على امتداد العالم الإسلامي مركز بحوث واحد لدراسة الكم الهائل الذي أنتجته المؤسسة الاستشراقية عن ديننا وحضارتنا ، وحسب بعض الاحصاءات، بلغ عدد المؤلفات التي أصدرها المشرقون عن الشرق منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ستين ألف كتاب . وفي الكثير منها طعن في ديننا وتشكيك في قرآتنا وهجوم على نبينا وهدم في حضارتنا وتراثنا كله «وينحن عن هذا كله غافلون اللهم الا بعض الجهود الفردية هنا وهناك .

ولا يخفى على أحد أن هناك فريقاً من المثقفين في العالم الإسلامي معجبين بالدراسات الاستشراقية ، ومنهم من يتقلدون مناصب الأستاذية في الجامعات الإسلامية ، ويقومون ببث أفكارهم بين الطلاب في قاعات الدراسة .

٢ - مركز علمي لدراسة التيارات المعاصرة :

وانشاء هذا المركز يعد ضرورة تحتها المصلحة الاسلامية للتعلم في فهم هذه التيارات ودراستها ثم إصدار الدراسات الرصينة الواعية التي تأتي على هذه المذاهب من القواعد بأسلوب علمي مقنع يكشف ما فيها من زيف وبطلان ، الأمر الذي يحملها على الفرار من الساحة الفكرية في بلاد المسلمين .

٣ - موسوعة إسلامية عالمية :

هناك ضرورة ملحة ليس فقط على مستوى العالم الاسلامي ، بل أيضا على المستوى الفكري العالمي لإخراج موسوعة إسلامية عالمية باللغة العربية وثلاث لغات أوربية على الأقل تعرض الإسلام عرضا علميا وبطريقة موضوعية تنأى عن الخلافات المذهبية الضيقة وترد في الوقت نفسه على المزاعم التي تثار ضد الإسلام ، وتحل هذه الموسوعة محل دائرة المعارف الاسلامية التي أخرجها المستشرقون ولا يزالون يقومون بإخراج الطبعة الثانية منها ، أو على الأقل تكون بجوار هذه الدائرة ، والباحثون لدينا يعتمدون على تلك الدائرة الاستشرافية ، وهم معذرون ، فكل فراغ فكري لدينا لا نشغله بأفكار من عندنا حتى لا يكون عرضة للاستجابة لأفكار متافية ، وربما معادية لأفكارنا فلا نلومن حينئذ الا انفسنا .

وهذا العمل المطلوب لإخراج موسوعة إسلامية بأقلام المسلمين يقتضى تكوين هيئة علمية عالمية للموسوعة تضم خيرة العلماء من جميع أنحاء العالم الاسلامي تتوفر على إخراج هذا العمل العلمي الضخم من منطلق الانتماء للإسلام وحده والعمل من أجله لا من منطلق انتماءات إقليمية ضيقة ، ولا بد من أن تتوفر لهذه الهيئة شتى الإمكانيات المادية لتقوم بعملها على خير وجه .

وعلى مؤسسات الدعوة أن تتبنى الدعوة لجمع التبرعات من جميع أنحاء العالم الإسلامي لتمويل هذا العمل الإسلامي وتمويل المركزين البحثيين المشار إليهما قبل ذلك . فهذه الموسوعة وكذلك الدراسات التي تصدر عن هذين المركزين

ستمّد الدعوة برصيد علمي كبير يعينهم على القيام بمهمتهم في مجال الدعوة الإسلامية على أفضل الوجوه ، ويجعلهم قادرين على مواجهة شتى التيارات الفكرية .

٤ - جهاز عالمي للدعوة الإسلامية في الخارج :

وإذا تحدثنا عن مؤسسات الدعوة ودورها حيال الغزو الفكري في بلاد المسلمين فلا يجوز أن ننسى أن دور مؤسسات الدعوة يجب أن يمتد ليضمّل الأقليات الإسلامية في كل مكان . فهذه الأقليات تتعرض أكثر من غيرها لمخاطر الغزو الفكري والمحو المنظم لعقيدتها وذايتها وارتباطها بتراثها ولغتها وتاريخها كنه ، وبخاصة تلك الأقليات التي تعيش في البلاد الشيوعية .

وعلى الرغم من وجود الملايين العديدة من المسلمين في أوروبا وأمريكا فإن الأجيال الجديدة من أبناء المسلمين هناك والأجيال القادمة يشبون وهم لا يعرفون من لغاتهم الأصلية شيئا . وهؤلاء إذا أرادوا التعرف على إسلامهم لا يجدون أمامهم - في أغلب الأحيان - إلا كتب المستشرقين في كل مكان فيتقنون معلوماتهم من هذه الكتب ومعظمها تشكيك في الإسلام . ومن ناحية أخرى فإن وجود هذه الملايين من أبناء المسلمين في البلاد التي تصدر لنا التيارات الفكرية المناوئة لفكرنا وديننا يدعوننا لأن نهتم بهم اهتماما مضعفا .

وهذا يتطلب إنشاء جهاز عالمي للدعوة الإسلامية في الخارج ، يقوم بالدعوة إلى الإسلام من ناحية وحمى المسلمين بالوراثة من ناحية ثانية، ويرعى المسلمين الجدد من ناحية ثالثة ، ويقضى ذلك من بين أمور أخرى إصدار سلسلة كتب إسلامية باللغات العالمية لتصحح التصورات الخاطئة عن الإسلام في الأذهان وتقديم الحلول الإسلامية لمشكلات المسلمين العصرية وبخاصة مشكلات المسلمين في بلاد الحضارة الغربية .

كما ينبغي أن يهتم الجهاز المقترح بنشر لغة القرآن بأحدث ومائل التعليم حتى يظل ارتباط المسلم في هذه البلاد موعولاً دائماً بقرآنه وبسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

وبعد :

فليس هناك شك في أن تنفيذ مثل هذه المقترحات وغيرها من خطوات عملية في هذا المضمار سيكون له مردود عظيم على الإسلام والمسلمين في الداخل والخارج ، وسيشد من عزائم الدعاة ووسع آفاقهم ويجعلهم أكثر قدرة على مواجهة المواقف الفكرية المختلفة في ثبات وقوة ، ويجعل لهم الغلبة والنصر في المعارك الفكرية أياً كان حجمها وأياً كانت الجهة التي تقف وراءها .

والأمر الجدير بالذكر في هذا المقام هو أن الإنسان المعاصر في عالم اليوم قد بدأ يبحث عن الثوابت في مجال الدين والعقيدة . وإذا قام المسلمون بهذا العمل العلمي الضخم بشتى اللغات الحية فإنهم سيقدمون بذلك أجلى خدمة للإسلام في القرن الخامس عشر الهجري ، ويقدمون للإنسان المعاصر المتمتعش للمعرفة والباحث عن الحقيقة النور والهداية . وهناك مؤشرات قوية - كما يقول بعض المراقبين المطلعين على التطورات الفكرية في العالم^(١) توحي بأن القرن الحادي والعشرين يمكن أن يشهد تحول نصف سكان الكرة الأرضية إلى الإسلام لما في هذا الدين من عوامل تجذب كثيرة بالنسبة للإنسان المعاصر ، شريطة أن يتحضر المسلمون بواجبهم العلمي في عرض دينهم وعقائدهم بالأسلوب الذي يقنع الإنسان المعاصر .

وليس ما نقوله مجرد أمنيات أو أحلام . فمن منا كان يتصور قبل الحرب العالمية الثانية أن يكون للإسلام حضور قوى ومؤثر في بلاد غرب وشمال أوروبا ؟ .

ولكن المعجزة قد حدثت ، وارتفعت عشرات المآذن وأقيمت مئات المساجد في بلاد غرب وشمال أوربا ، وأصبح للإسلام وجود بالملايين من أبنائه في كل أنحاء أوربا وأمريكا ، الأمر الذي حدا بالبعض إلى القول بأن الصحوة الإسلامية أو إشراف شخص الإسلام مرة أخرى سيكون من أوربا . فالإسلام الذي بدأ غريبا في مكة ينطلق اليوم مرة أخرى من بلاد الغربية في الطرف الأخر من العالم . وقد نتفق أو نختلف مع هذا القول ، ولكن الأمر الذي لا شك فيه هو تزايد أعداد المسلمين باستمرار في تلك البلاد ، الأمر الذي اضطرت معه كثير من هذه البلاد إلى الاعتراف رسميا بالإسلام والاعتراف بكل ما يترتب على هذا الاعتراف من حقوق للمسلمين هناك .

« والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون »^{١٥}

صدق الله العظيم

- (١) زعماء الإصلاح فى العصر الحديث لأحمد أمين ص ١٠٢ - دار الكتاب العربى - بيروت
- (٢) الامتدراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى للدكتور محمود حملى زلزوق ص ١٢٤ (مسلسلة كتاب الأمة).
- (٣) المنقذ من الضلال للغزالي تحقيق د / عبدالرحليم محمود ص ١٠٣ القاهرة
- (٤) انظرو كتابنا : الامتدراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ١٢٧ وبا بعدها .
- (٥) المرجع السابق ١٢٨ وبا بعدها
- (٦) د رشدى فكار - فى محاضرة له بالمركز العام لحميات الشبان المسنمين بالقاهرة فى ٢٩/٣/١٩٨٧م
- (٧) سورة يوسف آية ٢١ .

أساليب النهوض بالدعوة الإسلامية في الهند

الدكتور / مقتدى حسن محمد ياسين

وكيل الجامعة السلفية

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن اليقظة الدينية التي توجد في العالم الإسلامي نرى آثارها ومظاهرها في مختلف المجالات، والجهود التي يبذلها الأفراد والحكومات لتنشيط الدعوة الإسلامية ولتدعيم قضايا المسلمين تبدو ناجحة مثمرة، والإلتصال المستمر بين رؤساء المنظمات الإسلامية وعلما المسلمين في العالم واجتماعهم للنظر في شئون المسلمين وللتوصل إلى حلول المشاكل التي يواجهونها، والعناية البالغة التي توليها بعض الحكومات الإسلامية الرشيدة شئون المسلمين وقضاياهم. أقول كل ذلك يبشرنا بالخير ويجعلنا نثق بأن مستقبل الدعوة الإسلامية سيكون مزدهراً بإذن الله تعالى، وسيوفق المسلمون لإثبات خلود الإسلام وعالميته؛ بتنفيذ شريعته السامية وتحميد معانيه بحياتهم القردية والاجتماعية.

وفي هذا البحث الموجز أحاول أن ألفت الأنظار إلى بعض النقاط المختصة بالدعوة في الهند، رجاء أن يتم التوصل إلى الوسائل التي تزيد الدعوة نشاطاً، وتزيل المعوقات التي تحد هذا النشاط، وتقلل منافعها.

عدد المسلمين في الهند يبلغ - حسب الإحصائية الرسمية - حوالي سبعين مليون نسمة، ولكنه يزيد على مائة مليون وفق التقدير العام. وهؤلاء المسلمون يعيشون أقلية، بل أكبر أقلية فيها. وبحكم الطبيعة يواجهون من المسائل والمشكلات ما تواجهه الأقليات في الدول العلمانية، وهنا الوضع يضطرهم لتخصيص قط من الجهود للمحافظة على كيانهم الديني والحضاري، وعلى أحوالهم الشخصية. ومع ذلك نرى لهم جهوداً تستحق الإعجاب والتقدير في مجال التدريس والدعوة، وهذه الجهود تختلف حسب اختلاف المنظمات والجماعات التي تقوم بها. وفيما يلي إشارة موجزة إلى بعض هذه الجماعات:

١ - جمعية علماء الهند

تأسست في سنة ١٩١٩م، بعضوية علماء الجماعات الدينية المختلفة، وساهمت في حركة تحرير الهند. ومنذ سنة ١٩٤٨م ركزت جهودها حول مشكلات المسلمين والتوصل إلى حلولها. ولديها جريدة يومية باللغة الأردية تصدر من دهلي باسم (الجمعية) وقد توفقت منذ قريب. وكذلك مؤسسة باسم (المباحث الفقهية) للإجابة على الأسئلة. وهي تحاول لأن تجد حلاً إسلامياً للأحداث والوقائع المتجددة في المجتمع المعاصر. ولديها قسم يهتم بشئون التأليف والنشر، وقد أصدر عدة مؤلفات.

٢ - جماعة التبليغ

أنشئت لإصلاح المسلمين وللقيام بشئون الدعوة والإرشاد في منطقة خاصة، من مناطق الهند، ثم توسع نطاقها فبلغ العالم كله. وجهودها مركزة حول إصلاح المسلمين ودعوتهم إلى التمسك بأنواع مخصوصة من العبادات والأذكار، أما شئون الحياة الأخرى فلا توليها هذه الجماعة عناية جديرة بالذكر؛ إيماناً منها بأن المسلمين إذا صلحوا وأوثقوا صلحتهم بالله تحسنت أحوالهم، وتحققت آمالهم. ويرى بعض الباحثين أن هذه الجماعة قد نجحت في خدمة المسلمين من ناحية، ولكنها أهملت بعض النواحي الأخرى. (وحيد الدين خان: الإسلام ص ١٢).

٣ - الجماعة الإسلامية

هي من أنشط الجماعات وأكثرها عملاً وتنسيقاً في العصر الحاضر، إنها تقوم بشئون الدعوة وتبذل جهودها لحل المشكلات الأخرى. ولديها كتب ومؤلفات نافعة للتعريف

بالدين الإسلامي في اللغة الأردنية وغيرها من اللغات المحلية. وتصدر حوالى ثمانى مجلات وجرائد بلغات مختلفة، منها مجلة (كانتي) الأسبوعية باللغة الهندية، ومجلة (ريد ينس) الأسبوعية بالإنجليزية، وجريدة (الدعوة) الثلاث، يومية بالأردنية، وهي تحتل مكانة مرموقة في الصحافة الإسلامية بالهند، ولها جهود محمودة أيضا في مجال التدريس، ووضع المناهج الدراسية الملائمة للمسلمين إلى المرحلة الثانوية. ومنذ نحو ستين أصدرت مجلة نصف شهرية باسم (الدعوة) باللغة العربية أيضا.

٤ - جمعية أهل الحديث المركزية

هذه منظمة السلفين بالهند، وقد بذلت جهوداً محمودة في الرد على القاديانية ورياسماح والمبشرين النصارى، وخاصة قبل استقلال الهند في سنة ١٩٤٨م. وبعد الاستقلال قل نشاطها في المجال الاجتماعي، ولكنها بقيت تؤدي واجبها في مجال الدعوة والإرشاد وفي شئون التدريس. ولديها مؤلفات وضعت للتعريف بالدين الإسلامي على طريقة السلف الصالح، رضى الله عنهم، معظمها بالأردنية، وبعضها بالبنغالية وتلغو. وأنها قد أسدت معروفا جليلا إلى الشعب الهندي إذ قامت بترجمة كتب السنة النبوية الشريفة إلى اللغة الأردنية ونشرها وتعميمها بين الناس. ولها مساهمة كبيرة في مقاومة البدع والعادات المنتشرة في المسلمين بالهند. وهذه الجمعية هي التي تشرف على الجماعة السلفية ببنارس التي أمثلها في هذا المؤتمر.

٥ - ندوة المجاهدين بكيرالا

تأسست سنة ١٩٥٠م، وهي مؤسسة سلفية شهيرة، ولها نشاط قوي ملموس في مجال التدريس والدعوة والخدمات الاجتماعية الأخرى. وقد قامت بإنشاء أكثر من عشر مؤسسات تعليمية في مختلف مناطق الولاية، ودارين كبيرتين لحضانة الأيتام وتعليمهم وتربيتهم. ولها مساهمة محمودة في مجال التأليف والصحافة، فتقوم بتأليف الكتب عن الإسلام في لغة مليالم، وتصدر بعض الجرائد والمجلات أيضا.

٦ - مجلس التعليم الديني في يوري

يعمل هذا المجلس منذ سنة ١٩٥٥م، ويهدف إلى أن يتولى المسلمون أمر تعليم أولادهم في المرحلة الابتدائية في مدارسهم الخاصة حتى لا يضطروا للذهاب إلى المدارس الحكومية التي توجههم وجهة علمانية وتزودهم بمعلومات خاطئة عن الإسلام والمسلمين. ولتحقيق هذا الهدف قام المجلس بإنشاء آلاف المدارس في مختلف مدن السولاية. ومن سر نجاح المجلس في مشاريعه أنه بدأ عمله بإشتراك مع الجماعات والمنظمات الإسلامية دون تعصب وتحيز، وهذا الذي كان يتطلبه الوضع المعاصر في الهند الحرة.

وهناك منظمات وجماعات أخرى تعنى بحل مشكلات المسلمين على مستوى عموم الهند. أو في مناطق معينة، وكذلك توجد مؤسسات تعليمية، صغيرة أو كبيرة، وهي تقوم بدور فعال في تدريس العلوم الإسلامية وتعميم اللغة العربية بين المسلمين. وبعض هذه المؤسسات تحمل شهرة عالمية وتؤدي واجبها في مجال الدراسة والتوجيه بطريقة حسنة. ويكفي أن نذكرها هنا بأسمائها فقط دون نشاطها، فهي:

جامعة دار العلوم في ديوبند، ودار العلوم التابعة لندوة العناء بلكنو، وجامعة الفلاح في بلريكانج، والجامعة السلفية بينارس، وجامعة دار السلام في عمر آباد، ودار العلوم الأحمدية السلفية في درينغه.

وبجانب هذه المؤسسات الكبيرة للتعليم الديني أنشأ المسلمون في الهند مراكز التعليم العصري أيضاً، مثل جامعة علي كره الإسلامية في علي كره، والجامعة المليية الإسلامية في دهي.

ولا شك أن هذه المؤسسات والمنظمات الهندية تستحق التقدير والثناء على ما تبذله من الجهود وتقوم به من الأعمال في مختلف الميادين، وعلى ما يترتب من الآثار والنتائج على هذه الأعمال، ولكن الظروف المعاصرة تتطلب منا جهوداً مضاعفة وخطة حازمة وسياسة حكيمة للقيام بشئون الدعوة، وللحفاظ على التراث الإسلامي في المجتمع

الهندي، أكثر من أي وقت مضى. فالمجتمع المسلم المعاصر في حاجة إلى معرفة تعاليم الإسلام خالصة من الشوائب، شوائب الشرك والبدع، وإلى التحصن من المذاهب والنظريات الإلحادية، والإباحية التي تنوس القيم الخلقية، وتسخر من العقائد الدينية.

أما المجتمع الهندوسي فهو يعاني أنواع الشقاء والخرمان، ويتطلع إلى من ينقذه من الأوهام والأباطيل والطبقية الجائرة. وهذا الوضع يقتضي من المسلمين جهوداً منقذة وبصورة حكيمة، حتى يتمكن غير المسلمين من معرفة الإسلام الصحيح ومن الوقوف على ما تتضمن تعاليمه من سمو والكمال ومن السعادة والصلاح.

ونرى أن المسلمين في الهند يملكون من الوسائل المادية والمعنوية ما يجعلهم قادرين على العمل الجاد المستمر في الجبهتين: الداخلية والخارجية.

ونقصد بذلك العمل بين صفوف المسلمين و صفوف غيرهم، وأغليتهم من الهنادك، ولكن الخلاف القائم بين علماء المسلمين وعدم التنسيق والتعاون فيما بينهم في مجال العمل الديني هو الذي يقلل نشاطهم ويستنفد قواهم ويضعف متاعبهم. ونسوق لتأييد ذلك مثالا واحداً فقط:

ان إحدى الجماعات الإسلامية بالهند قد وضعت مشروعاً لنشر الفكر الإسلامي باللغة البنغالية بمساعدة المهتمين بالدعوة والإرشاد من مختلف الجماعات، وبدأ العمل لتنفيذ المشروع، ولكن النتيجة كانت منبطة للعزم نحية للأمل، يحكي ذلك أحد الكتاب فيقول:

وقد حصلت بهذا الصدد تجربة أخرى نود أن نقصها على القراء، فأول شيء واجهناه في تنفيذ المشروع هو حرب العقائد وقتنة المعاصرة، وكلنا نعلم أن الأضرار التي لحقت بالأمة الإسلامية من المسلمين أنفسهم كانت أكبر وأكثر من الأضرار التي لحقتها من قبل الأعداء والمعاندين، وتختلفنا متسبب عن الصراع الداخلي الذي يوجد في صفوف المسلمين وعن التشكيك والتحريض والشتائم والافتراءات التي تتبادلها الجماعات. وقد جربنا هذا حينما بدأنا العمل لتنفيذ المشروع، فقد واجهنا حرباً

عقائدية، وقام بعض الملحنين بتوزيع آلاف النسخ من كتيب يناشد الملحنين عدم التعاون مع المشروع الترحيبي المذكور ويحذرهم من المتعاونين لتنفيذه * (جريدة الدعوة: عدد ١٩ / يونيو ١٩٧٣م).

وهذا يدل بوضوح على أن التعاون والتنسيق بين المنظمات والجمعيات لتنشيط العمل الديني لا يمكن أن يحصل في الظروف المعاصرة إلا بتوفيق من الله تعالى وبجهود كبيرة منظمة.

وترى نفس الانفصام والتجافي بين المدارس الإسلامية التي يزداد عددها على مر الأيام، فهذه المدارس لا تتعارض ولا تتكاتف في شؤون التعليم ولا في شؤون الدعوة والإرشاد، ولا تستفيد إحداها من تجارب الأخرى، وكذلك لا تتبع نظاماً صالحاً موحداً في قبول الطلاب وفصلهم، فطالب مفصول من مدرسة يقبل توا في أخرى ولو كانت أوراقه ناقصة. وهذا الموقف ينم عن الاتجاه الذي تتخذه مدرسة نحو الأخرى ويشير إلى عدم المصافاة بين المدارس وأصحابها، مع أنهم يقومون بواجب ديني مقدس وهو يقضي الأمانة والإخلاص.

آراء ومقترحات حول الدعوة والإرشاد

قد سبقت الإشارة إلى عدد المسلمين في الهند، أما حالتهم الاقتصادية فليست قوية لأسباب معروفة لدى الخبراء والباحثين، ولكنهم في معظم المناطق يعيشون عيشة مرضية، والطبقة الغنية منهم ترسل أولادها إلى الكليات والجامعات الرسمية لتلقي التعليم العصري الذي يضمن لهم مستقبلاً مزدهراً بالانخراط في سلك الوظائف الحكومية. والمنهج الدراسي المتبع في هذه الكليات والجامعات يلعب دوراً قوياً في إبعاد هؤلاء الطلاب عن الإسلام ومثله العليا، ولذلك نرى أن الجيل الجديد قد منى بداء الشك، ويعاني الفراغ الديني في حياته، وإن لم يرتد عن الإسلام. وليس هذا الوضع مخترعاً مفروضاً، بل الأحداث تشهد بصحة. ثم إن فساد المجتمع، وعدم الاطلاع على تعاليم الإسلام من العوامل التي تبعد كثيراً من المسلمين عن الإسلام. وهذا يدعو إلى مضاعفة الجهود وتنظيمها للقيام بالدعوة، ولتقوية نزعات الإحاد والإباحية، ونحن على يقين أن أي خطوة بتأه في سبيل الدعوة والتوجيه تلقى من الأمة استجابة وتعلوفاً، إن شاء الله تعالى.

ولا يخفى أن أعداء الإسلام قد نشروا أكاذيب وأباطيل حول حقائق الإسلام وتأثير المسلمين، وما ساعد على انتشار مثل هذه الأكاذيب أن عقائد الإسلام الأساسية، وتعاليمه السامية، لم تصل إلى غير المسلمين في اللغات المحلية أو اللغات العالمية الحية، وفيما يلي بعض الاقتراحات لتنشيط الدعوة الإسلامية بالهند عسى أن تكون موضع دراسة الباحثين وعنايتهم:

١ - إنشاء مؤسسات علمية تقوم بنشر الفكر الإسلامي باللغات المحلية التي يعمر تداولها بين الناس، مثل اللغات البنغالية والأسامية والكجراتية والمريضة وتامل وتلك وغيرها. وهذه المؤسسة تقوم أولاً بدراسة أحوال المسلمين في المناطق المختلفة ثم تقوم بإعداد نوعين من المؤلفات: الأولى لتقوية صلة المسلمين بدينهم. والثاني لإعطاء غير المسلمين معلومات صحيحة عن الإسلام ومبادئه وأهدافه.

٢ - إنشاء مركز عام يقوم بإعداد الدعاة والمرشدين، وتربيتهم على أسس علمية ثابتة، وتزويدهم بما يحتاجون إليه من أصول الدعوة والمعارف العامة في أداء مسؤوليتهم نحو المجتمع، حتى يتمكنوا من أداء واجبهم على طريقة سليمة.

٣ - إن الجامعات والمنظمات غير الإسلامية قد وجدت مجالاً واسعاً للعمل الديني والسياسي في الهند منذ سنة ١٩٤٥م، وبعد انقسام الهند سنة ١٩٤٧م توسع هذا المجال وتبئات الظروف للعمل أمام هذه الجماعات، ولكن المسلمين لم يجدوا فرصة متكافئة للعمل مثل غيرهم، وبخاصة في السنوات التالية للانقسام. وهذا الوضع يحمل على إعادة النظر في برامج العمل ونظمه وفي الوسائل التي تنجح في الظروف الحالية. فعلى كل جماعة مسلمة أن تبحث أفرادها على الأعمال الإيجابية بجانب الإصلاح الديني، حتى لا يستغني المجتمع عن خدماتهم.

٤ - ويجب على المسلمين أن لا ينسوا أنهم يعيشون في بلد أغلبيته من غير المسلمين، وعوامل التقارب بين الأمتين في المجال الديني والحضاري أقل من عوامل التباعد، ولا ييمنا هنا: من هو المسئول عن هذا الوضع. وبما أنه لا يمكن أن يعيش المعلمون في انعزالية تامة يجب أن نبحث عن الأسس التي تقلل التباعد بين الأمتين وتزيل عوامل التنفير. ومعظم المسئولية تقع على المسلمين بهذا الصدد فإنهم مطالبون بذلك من دينهم.

٥ - من المشاهد أن المسلمين قد تورطوا بعد الانقسام في مشكلات خاصة وانشغلوا بها عن شئون الدعوة والإرشاد في صفوف غير المسلمين على الوجه المنشود مع أن الظروف كانت مواتية ولا تزال.

٦ - يجب للقيام بالدعوة في صفوف غير المسلمين دراسة نظام الطبقات وأحوال المجتمع القائم على هذا الأساس، ثم تختار طريقة الاستدلال والدراسة الموضوعية للأديان لتبليغ دعوة الإسلام إلى الطيقة العالية وطبقة المثقفين. أما الطبقة المنحطة من المتبذرين والمتخلفين فتتضع فيهم طريقة الإتصال المباشر وإنشاء مراكز الخدمات الاجتماعية، وتحسين أوضاعهم المادية، وتحسين تعليم

الإسلام للأخوة والمساواة بالحياة اليومية، حتى يتمكنوا من معرفة نظام الإسلام وما يحمله للبشرية التمتع من معاني الخير والسعادة .

٧ - إن المنظمات الإسلامية قد ركزت جهودها في مجال الدعوة حول إصلاح المجتمع المسلم، ولم تتصد للرد على الأفكار والنظريات المضادة للإسلام، مع أن المنهج الدراسي المتبع في المؤسسات التعليمية الحديثة يرمي إلى نشر هذه الأفكار والدعوة إليها، ومن هنا انتشرت بين الجيل الإسلامي الجديد الذي يتلقى التعليم في الكليات والجامعات العصرية، ولذلك نرى الحاجة ماسة إلى الرد العلمي على هذه الاتجاهات وكشف ما فيها من الزيغ والضلال. ومثل هذا الرد لا يقوم به إلا من جمع بين معرفة العلوم القديمة والحديثة، وتكن من دراسة المذاهب الاجتماعية الحديثة التي تنتشر الآن في العالم .

٨ - تظهر في أئند طبقة جديدة مهتمة بدراسة الإسلام وعلومه، وهي تعيش في الكليات والجامعات الرسمية، ونلمس لديها رغبة في فهم الإسلام، وفي الدفاع عن مبادئه وتعاليمه، ولكنها لا تحسن استقاء المعلومات من المصادر الرئيسية مباشرة، ومن هنا تصور الإسلام تصوراً غير ملائم وغير صادق، ولا توجد لها أي صلة بعلماء المسلمين، مع أنها تستحق منا كل عناية، ومن هنا يجب اتخاذ الوسائل التي تقلل الفجوة بين هذه الطبقة وبين علماء المسلمين. ومرادنا بالطبقة الجديدة هي الطبقة التي تؤمن بالقيم الدينية وتضمحل للإسلام الإخلاص والاحترام، أما طبقة المتجددين التي تكره الإسلام وتحاول النيل منه فهي بمعزل عن هذا الحديث.

٩ - والعمل في صفوف المسلمين ينبغي أن تراعى فيه الأمور الآتية بعد العناية بإتيان الفرائض :

(أ) ينصح المسلمون بالإبتعاد عن البدع والتقاليد التي استقرت في المجتمع .

(ب) حثهم على التمسك بتعاليم الكتاب والسنة .

(ج) ترغيب التجار المسلمين وغيرهم في التحلي بالفضائل والتخلي عن

السرذائل والتمسك بالأمانة والإخلاص حتى يثبني للناس صدق الإسلام، وسمو تعاليمه.

(د) الدلالة على محاسن الاتحاد ومنافعه وعلى مضار الافتراق ومسئوليته حتى يمكن القضاء على فتنة حرب العقائد التي تفتك بالمسلمين منذ قرون، فالحقيقة - وهي أمر - أن صراعاً رهيباً كان - ولا يزال - قائماً بين المسلمين أنفسهم حول الشؤون الدينية، وأدى ذلك حتى إلى الذهاب إلى المحكمة والاحتكام إلى الحكام الكافرين، وإلى الجدل والمناظرة، وكلف المسلمون فوق طاقتهم، فبدلوا أموالهم وجهودهم لقهر إخوانهم في العقيدة، ولم يكسبوا شيئاً. ولكنهم لو وجهوا هذه العناية إلى الجبهة الخارجية لرأينا اليوم حالة تختلف عن الحالة المعاصرة. ولذا يجب أن يقضى على جميع أنواع الخلاف الذي يوجد بين المسلمين نتيجة انقسامهم على أساس المذاهب الفقهية أو الطرق الصوفية.

١٠- للتنسيق بين جهود الدعوة والإرشاد، ولتوحيد صفوف المسلمين يجب أن تجمع كل منظمة وجماعة على ما يأتي:

(أ) لا تقوم جماعة بالرد على جماعة أخرى أو أعضائها وأفرادها رداً غير ملائماً، ويتمك بهذا المبدأ كل فرد من أفراد الجماعات دون تخصيص.

(ب) لا يمكن أن يوجد التوافق التام بين الجماعات المختلفة حول المسائل والأمور، ومن هنا يجب عدم التسرع في الرد، وإعمال الفكر والرأي لفهم وجهات النظر المختلفة، واستيضاح موقف الآخرين من مسألة معينة، وينبغي أن يتم كل ذلك بالمراسلة والمقابلة الشخصية، ولا ينشر شيء من المنفردات في الصحافة، وكذلك يجب أن يتمك كل من المناقشين بالأدب الإسلامي في البحث والجدل، وهو المشار إليه بقوله تعالى:

﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾.

وأن لا يقضي الخلاف الناشئ حول نقطة معينة على جو التفاهم والتعاون الذي قام واستقر بين الجماعات المختلفة في الأمور الأساسية. (ج)

تبدل الجهود الجماعية والمشاركة لتقديم للمعونات إلى المصابين والمتكويين بالاضطرابات الطائفية والحوادث العادية، وتتولى هذا العمل جميع الجماعات في مناطق عملها.

(د) يجب على الجماعات التنبه لأن الهند بلد واسع الأرجاء مترامي الأطراف، والسكان للتوزعون في الأقطار المختلفة يختلفون فيما بينهم في معظم الأمور، وكلهم - وفيهم الملعون - في حاجة ماسة إلى الجهود الدينية والاقتصادية والجماعية، ولا تملك جماعة من الجماعات من القوة البشرية والوسائل المادية ما يكفيها للعمل الديني على مستوى عموم الهند، وبناء على ذلك يجب أن يجمع زعماء هذه الجماعات، للنظر في مجال العمل المشترك والمتوزع، وكيف يمكن تقسيم الأعمال والمناطق حسب إمكانيات الجماعات.

(هـ) يجب أن يكون اتحاد الجماعات المسلمة حقيقياً واقعياً بحيث يمكن تلمسه في الحياة العملية، لا كما يقال «حبر على ورق». وإلى ذلك يشير الباحث الشهير الأستاذ سعيد أحمد الأكبر آبادي، رحمه الله، الذي ترأس جلسة (الاجتماع الملي) في أكتوبر ١٩٧٧م حين يقول:

« حضرت الجلسات والاجتماعات في يومين واجتمعت شخصياً مع المشتركين واستمعت لهم. ويؤسفني أن أقول إن الاجتماع قد جمع المسلمين من كل الجماعات والمنظمات، ولكن رأيت أن بعض الناس لا يزال مصاباً بداء التعصب والتحزب وضيق النظر، بحيث يتلذذ بالنيل من غيره من المسلمين ويلذوائه، ويلاحظ من مكانته. وتجلى نفس هذا التفكير في جلسات اليومين. وهذا الوضع مؤسف مقلق خطير، وطالما بقي في الأمة لا يتحقق حلم الوحدة ولا تحصل منافعها».

(مجلة برهان، دهلي، أكتوبر ١٩٧٧م)

وإني إذ أختتم كلمتي أرجو من الباحثين المحترمين النظر في هذه المقترحات والدلالة على وسائل تنفيذ ما يتم الاتفاق عليه منها، ثم أقدم شكري أصالة وشكر المسؤولين عن الجامعة السلفية بينارس نيابة إلى هذا المؤتمر التاريخي العظيم وإلى الجهة التي وجهت إلينا الدعوة وإلى الأزهر الشريف الذي تكرم باستضافة المؤتمرين وتوفير الراحة لهم، جزاهم الله تعالى جميعاً عنا وعن الدين خير الجزاء، ووفق الجميع لما يحب ويرضى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وسائل النهوض بالدعوة والدعاة

الدكتور / محمد عبد العليم العدوي

رئيس قسم التاريخ والحضارة

بكلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر

وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين مبشراً ونذيراً،
وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. وبعد، فإن وسائل النهوض بالدعوة الإسلامية
تتمثل في الأمور الآتية :

أولاً : فقه الداعية لمهته ودعوته .

ثانياً : طريقة إعداد الدعاة .

ثالثاً : وسائل الدعوة ومناهجها .

أولاً : فقه الداعية لمهته ودعوته :

إن الدعوة إلى الله من أعظم القربات، وكفلها عزاً وفخراً أنها وظيفة الأنبياء
والرسل عليهم الصلاة والسلام . وهذه المهمة جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ملقاة على عاتق العلماء المخلصين، والدعاة الصادقين في قوله: «بلغوا عني ولو آية»
وهذا أرفع أنواع العلم ولذلك قال بعضهم ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام
على الناس، والعلماء حكام على الملوك .

وإن الدعوة يقومون بالتبليغ عن الله ، على هدى وعيته إلى رسله عليهم الصلاة
والسلام .

ولا كان التبليغ عن الله سبحانه وتعالى، يعتمد العلم بما يبلغ والصدق فيه، لم
تحصل مرتبة التبليغ إلا لمن اتصف بالعلم والصدق .

يقول ابن القيم: «إذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله،
ولا يجهل قدره، هو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب
الأرض والسماوات، فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعد له عدته، وأن يتأهب

له أهبة، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق، والصدق به، فإن الله نصره وهاديه، وليعلم المفتي من ينوب في فتواه، وليوقن أنه مسئول غداً موقوف بين يدي الله^(١).

وقد بشر الله سبحانه الدعاء إلى الله بالفلاح في قوله تعالى: ﴿ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾. [آل عمران / ١٠٤]

والأمة الإسلامية هي الأمة التي حملها الله أمانة الشهادة على الأمم الأخرى، وجعلها حير أمة أخرجت للناس بقيامها بالدعوة إلى الله . بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يقول تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله﴾. [آل عمران / ١١٠].

ويقول سبحانه: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾. [البقرة / ١٤٣].

وعلى هذا فالأمة المسلمة مسئولة عن هداية البشر ومشيئة، وموقوفة لتحاسب عن تبليغ الرسالة إلى البشرية، كما أن الأنبياء محاسبون.

وفي الصحيح: «العلماء ورثة الأنبياء»^(٢).

وفي الحديث عن أبي أمامة مرفوعاً . . . أن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر يصلون على معلم الناس الخير.

ويقول ابن القيم عن العلماء: هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يندى الحيران في الظلمات، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب وطاعتهم أفرض من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾^(٣) [النساء / ٥٩].

وأولى الأمر هم العلماء وهو إحدى الروايتين عن أحمد . والدعاة اليوم لا يقومون بمهمة تعليم الناس الخير فحسب وإنما يقومون بإعادة بعث دين الله على الأرض من جديد .

فإذا كان الإمام أحمد بن حنبل يقول عن العلماء في كتابه الرد على الزنادقة والجهمية ما يلي : الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصرون من هم على الأذى ، يحيون بكتاب الله الموتى ، ويصرون بنور الله العمى فكم من قتيل لإبليس أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وما أفتح أثر الناس عليهم .

وجوب الدعوة :

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل إلى الناس كافة كما قال تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ [سبأ/ ٢٨] .

ولما كان هو خاتم النبيين والمرسلين كما قال سبحانه : ﴿وما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [الأحزاب/ ٤٠] .

وكما قال عليه الصلاة والسلام في حديثه : «أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي . . . ومنها . . . وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ويبعث إلى الناس كافة» .

فقد اقتضت حكمة الله وسنته أن تظل الدعوة إلى هذا الدين قائمة وتظل طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله . وعلى ذلك يكون الإسلام دين الأجيال ، فهو دين الجيل الذي بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم ودين الأجيال بعده حتى يوم الدين .

وأنه لا تكليف من غير اعلام ، ولا ثواب ولا عقاب من غير علم بالرسالة ودعوة إليها ، فإذا كان الإسلام ديناً عاماً ، وديننا خالداً يخاطب الأجيال كلها فلا بد من معلمين داعين ، ولا بد من دعوة دينية مستمرة متجددة ينتقل فيها الدعاة بين البشر ليحقق العلم بهذا الدين الحنيف الذي هو دين الله كما قال تعالى كلماته :

﴿ ان الذين عند الله الإسلام ﴾ (آل عمران : ١٩) .

ان الله أرحم بعباده من أن يترك الناس من بعد رسوله سخاتم النبيين بورا لا هادى يهديهم ، ولا داعى للحق يدعوهم إليه ، والعقول وحدها لا تكفى فى الهداية وقد ضلت العقول ، وتاهت الافهام تحت لجاجة الأهواء والشهوات ، وعندئذ يتخذ الناس الههم هواهم^(١) .

لذلك كانت دعوة النبى تكليفا لأمته ، وتُقد صرحت بذلك الآيات البينات من كتاب الله تعالى ، فقد قال سبحانه :

﴿ قل هذه سبلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ (يوسف : ١٠٨)

وقد دلت هذه الآية على أمور :

أولا : أن القيام بالدعوة تكليف لأمته ، لا يتخلى عنه مؤمن ، ولا يتركه أمين .
ثانيا : أن يكون الداعى له بصير بالأمور ، يأتيها من طرقها المسلوكة فى رفق ، لينافى دعوته بقول سبحانه :

﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك ﴾ [آل عمران / ١٥٩] .

يأتى الأمور من مصادرها ومواردها ومولدها مؤمنا بها ، على بينة من أمرها ، لا تأخذ فى الحق هواده وليس للباطل عنده ارادة .

وان تلك الآية الكريمة فى جملتها ، تدل على أن الإيمان وحده لا يكفى فى اتباع النبى صلى الله عليه وسلم بل لابد لكمال الاتباع من الدعوة ، بل عليه لاجل الاتباع ان يسلك سبيله فى الدعوة الى الله وهو الهادى الى سواء السبيل ، فمن

اهتدى من بعد البيان فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها وما الله يريد ظلما للعباد.

والنصوص صريحة في مطالبة الأمة بالتبليغ كل على مقدار علمه وطاقته في التوجيه والإرشاد .

يقول سبحانه :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾ (آل عمران : ١٠٤).

وهذه الآية تدل على وجوب التبليغ على الأمة كلها وجوبا فرديا وجماعيا . . كل على حسب معرفته وبهنا يكون وجوبا عينيا اذا لم تقم به جماعة . ويكون وجوبا كفاية اذا قامت به جماعة . وهذا مستفاد من معنى (من) فى الآية الكريمة :

﴿ ولتكن منكم ﴾ فعلى أنها بيانية بكون المعنى ، ولتكونوا أيها المسلمون جميعا أمة داعية الى الخير ، آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر فان ذلك هو أساس الفلاح هذا المعنى متلاق مع قوله تعالى :

﴿ كتتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (آل عمران : ١١٠).

وذلك لا يمنع أن يتخصص بعض المؤمنين لتفقيه الناس فى دينهم بعد أن دخلوا فى دين الله تعالى كشأن كل امر واجب على الجماعة كلها ، يقوم به ، ويهلى الناس اليه ، وقد كان فى كل جيل بعد النبى من يتعلم ومن يعلم ، أى من يعرف أصول الاسلام فيقوم بها ، ومن يستغنى عنده فى العلم بما يجهره . وعلى تفسير (من) فى قوله تعالى : ﴿ منكم ﴾ بأنها تبعية بمعنى بعض ، فالمعنى على هذا

يكون والله أعلم - ليكون بعضكم متخصصا في الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويكون هذا متفقا في مؤداه مع قوله تعالى :

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾ (التوبة : ١٢٢) .

والفلاح في قوله تعالى : (وأولئك هم المفلحون) . يكون مختصا بامة تدعو الى الخير ، وتقبض بالعلم على الانسانية ، كلها تدعو الى أعظم خير في الوجود ، وعمودين الله تعالى الحق وان الدين عند الله الإسلام .

وهنا قد يسأل سائل ، كيف تكون الدعوة عامة ، ومع ذلك نقول إنها فرض كفاية وفرض عين معا ، والجواب على ذلك أن التكليف عام ، بحيث يقوم كل بكفايته ، وما آتاه الله تعالى من علم ، ولا يخلى انسان نفسه من تبعه الدعوة والقيام بها، بيد أن على الأمة واجبين :

أحدهما : ما يقوم به كل واحد يعينه في الدعوة إلى الحق هاديا مرشدا .
ثانيهما : أن يخصص ناس لهذه الدعوة من الأمة يكون لهم فضل عام بكتاب الله تعالى ، وفضل كفاية بيانية ، وحكمة وإدراك ، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم عندما اختار مصعب بن عمير لأهل المدينة معلما مقرئا للقرآن ، وكما اختار بعد فتح مكة لقريش من يعلمهم أحكام الإسلام ، وخرجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام وهديه^(١) .

ثانيا : طريقة أعداد الدعاة :

وإذا كانت هذه هي مهمة الدعاة ومنزلة الدعوة وحاجة البشرية اليها ، فانه من الواجب الاهتمام بطريقة أعداد الدعاة وتحمل هذه المسؤولية ، وذلك عن طريق

مركز عالمي للدعوة والدعاة بشرف على التخطيط والتنفيذ والمناجعة ويكون من مهامه :

- ١ - الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم .
- ٢ - الاهتمام بفقهاء الداعية ليكون على بصيرة .
- ٣ - بيان أهمية القدوة الحسنة في حياة الداعية .

١ - والاهتمام بتحفظ القرآن الكريم يجب أن يكون موصولاً بكل المراحل التعليمية بحيث يبدأ من الكتاب - روضة الأطفال . . . الى المدرسة الابتدائية والاعدادية والثانوية والكليات على اختلاف تخصصاتها ما دمنا قد عرفنا أن الدعوة واجبة وجوباً عينياً على كل مسلم بحسب قدرته وطاقته ومجال تخصصه فيكون طبيباً وداعية ، أو مهندساً وداعية ، أو لغوياً وداعية ، أو خطيباً وداعية ، أو مدرساً وداعية . . . الخ .

ويجانب حفظ القرآن الكريم تكون المعرفة بعلومه ، وعلوم السنة وفقهها . . .

٢ - أن تكون تربية الداعية على بصيرة : انطلاقاً من قوله تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ .

بصيرة : بالدعوة التي يدعو بها . . فيعرف أصولها وقواعدها وأساليبها ومناهجها ، ويعرف أن الإسلام رسالة عامة تامة كاملة شاملة مثالية واقعية ، صالحة لكل زمان ولكل مكان وللناس جميعاً ويعرف أن الإسلام كل متكامل عقيدة وشريعة وعبادة ومعاملة وأخلاق .

وبصيرة بالمدعو : فهو يراعي مقتضى الحال ، وينوع أساليبه ومنهجه تبعاً لتنوع طبائع الناس واختلاف مشاعرهم وأحاسيسهم ، ونوازعهم وعواطفهم ونفسياتهم وعقولهم وأحوال حياتهم وحياة الدعاة السابقين وعلى بصيرة بأمر نفسه . . . فهو يعرفها ويعتدها بالتربية والتأديب والتهذيب ليكون قدوة حسنة وأسوة طيبة .

٣- والقُدوة الحسنة والأسوة الطيبة من عوامل النجاح في الدعوة .

وهذا أمر الله المؤمنين بأن يكون قلوبهم وأصواتهم الداعية الأولى بحمد صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ . [الأحزاب / ٢١] .

وتتمثل القدوة الحسنة في اتباعه وفي النخلة بمكارم الأخلاق التي كمل الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم من العفو والصفح والحلم والجود والكرم والصدق والأمانة والظهور والعفاف والحياء . . وكل ما من شأنه تزكية النفس وصلاح الإنسان واستقامة الناس في هذه الحياة . . ويحمل هذا جواب السيدة عائشة رضي الله عنها حينما سألت عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن .

ولقد ارتفع شأن الدعوة والدعاة حينما اتخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة لهم وأسوة، وحينما كانوا مثلاً راتباً وشموخاً مضميناً ونموذجاً يحتذى في القول والعمل والعمل . وحينما فتحت الدعوة القدوة الحسنة والأسوة الطيبة في بعض القائلين على أمرها ضعف شأن المسلمين . وانفصل الدعاة عن المدعوين . . فانصرف الناس عنهم .

ثالثاً : وسائل الدعوة ومناهجها :

ويعني بالمناهج طريقة التخطيط للوصول بالدعوة إلى قلب المدعو وتنوع هذه المناهج بتنوع أحوال المدعوين . . من منهج فطري إلى عاطفي إلى عقلي إلى علمي إلى منهج قوة للتمكين لدعوة الله في الأرض وإعلاء كلمته وتعني بالوسائل أدوات التبليغ لتلك الدعوة سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية ومنطلقنا في ذلك قوله تعالى :-

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾

[النحل / ١٢٥] .

والحكمة في اللغة بمعنى العدل، والعلم، والحلم، والنبوة والقرآن^(١) .

والحكمة : العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها ولهذا
انقسمت إلى عملية وعلمية .

والحكمة إصابة الحق بالعلم والعمل^(١) .

وفي الشرع جاءت بأكثر من معنى وجمعها «الإصابة في القول والعمل معاً وفي
معنى قوله تعالى يؤتى الحكمة من يشاء» ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً . .
ذكر المفسرون أن الحكمة هي القرآن والفقه به . .

وعن ابن عباس في قوله : ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ يعني المعرفة
بالقرآن : ناسخه ومنسوخه . ومحكمه ومثله ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه .
وأمثاله .

وقد آخرون . الحكمة . الفهم . . والخشية^(٢) .

وعن مقاتل : أنها تفسر في القرآن بأربعة أوجه فتارة بمواظب القرآن وأخرى بما فيه
من عجائب الأسرار، ومرة بالعلم والفهم وأخرى بالنبوة .

ولعل الأنجب بالمقام ما ينتظم الأحكام المبنية في تضاعيف الآيات الكريمة من
أحد الوجهين الأولين، ومعنى إيتاء الحكمة تبيينها والتوفيق العلم والعمل بها، أي
بينها ويوفق للعلم والعمل بها (من يشاء) من عباده .

وتعني الحكمة أيضاً العلم الصحيح، يكون صفة محكمة في النفس، حاكمة على
الإرادة، توجهها إلى العمل، ومتى كان العمل صادراً عن العلم الصحيح كان هو
العمل الصالح النافع المؤدي إلى السباح^(٣) . وهو الذي ينهض بأمر الدعوة ويرفع شأن
الامة ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ أوتي القصد والاعتدال فلا يفحش،
ولا يتعدى الحدود، وأوتي إدراك العلل والغايات فلا يضل في تقدير الأمور، وأوتي
البصيرة المستنيرة التي تهديه للمصالح الصائب من الحركات والأعمال وذلك خير كثير
متروك^(٤) .

وعليه فإن نسبة العلوم إلى الحكمة كنسبة الأعضاء إلى الجسد^(١١).

كيف يستفيد الداعية من شروح الحكمة (مدلولاتها)؟ :

ويستفيد الداعية من شروح الحكمة ما يتخذ منه دعامة لدعوته على وجه العموم ، وعلى وجه الخصوص ، فإنه يستفيد من الحكمة القولية بشئى ضرورياً نثراً وشعراً (فإن من البيان لجمراً وإن من الشعر لحكمة) «والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها» .

وكذلك يستفيد من الحكمة العلمية كل تدبير من شأنه أن يجعل الداعية قدوة حسنة في أفعاله وأخلاقه ويجعله عند أهله محبوباً مسموع القول متبوع الرأي .

والموعظة الحسنة : عند علماء اللغة الوعظ والتخويف والعظة الاسم منه قال الخليل : هو التذكير بالخير وما يرق قلبه^(١٢) .

وقال الراغب في المفردات : الوعظ زجر مقترن بتخويف .
وقال الجوهري : الوعظ : النصيح والتذكير بالعواقب فهو إذاً إخلاص للضريح له في القول وتذكير له بالعواقب وأما الفيروزآبادي فيقول : «وعظه يعظه وعظاً وعظة وموعظة : ذكره ما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ ونلمح من خلال هذا التعريف عنصري الترغيب والترهيب أو التبشير والإنذار .

وعند المفسرين : يقول الطبري عن الموعظة : هي العبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه وذكرهم بها في تنزيهه^(١٣) .

ويقول القرطبي : أمره أن يدعوا إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف^(١٤) والموعظة الحسنة : وهي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها . قيل وهي الحجج الظنية الاقتناعية المرجحة للتصديق بمقدمات مقبولة قيل وليس للدعوة إلا هاتان الطريقتان^(١٥) .

وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية، فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ^(١١).

العلاقة بين الحكمة والموعظة الحسنة :

وعلاقة الحكمة بالموعظة الحسنة علاقة تأكيد وتكميل، فليس المقصود بالموعظة الحسنة، مجرد الإثارة للشعور والوجدان، وإلهاب العواطف دون إعمال فكر أوروبية، وبلا وعي وفهم للحقائق والقضايا، والتمييز بين الحق والباطل فيهما، فلا فائدة من عاطفة عمياء لا يقودها عقل ولا في عقل مجرد لا يقوم على عاطفة ترغبه وترهبه والإقناع المجرد لا يكفي وحده للإنصياح للحق والخضوع له، بل لا بد من ترويض النفس وتمهينها حتى تخضع للحق وتتقاد له.

فالإنسان جسد وروح، وعقل وعاطفة، لا يستغني أحدهما عن الآخر، والحكمة بمعناها اللغوي تتصل اتصالاً تاماً بالموعظة الحسنة، وتوتف نجاح هذا الأسلوب على استعمالها، وذلك بأن يوضح كل شيء في مكانه وزمانه المناسب لكل مقام مقال.

فليس الحكمة أن يخاطب الداعي للناس بما هو فوق عقولهم ويكثر عليهم حتى يملوا، لا سيما وأن النبي عليه الصلاة والسلام قد أمر أن يخاطب الناس على قدر عقولهم وكان يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السامة عليهم.

وكذلك ليس من الحكمة أن يفرض الداعي في ترغيب أو ترهيب بل يوازن بينهما، ويتوسط في الإنذار والتبشير.

وليس من الحكمة كذلك أن يدعو الناس إلى الصبر وهو متعجل في حديثه، ولا أن يدعوهم بالرفق وهو متعظ في كلامه.

وجادلهم بالتي هي أحسن :

والتامل في القرآن الكريم يجد نماذج كثيرة لجدال الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم مع أقوامهم، إذ إن البشر يختلفون اختلافاً كبيراً في ميولهم واستعدادهم ومداركهم وبيئاتهم.

ولقد جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة كما جادل أهل الكتاب في المدينة ولكنه سلك معهم ألطف السبل وأفضلها في ذلك لأن الهدف منه إظهار الحق وتأييده ودفع الباطل ودفعه فمن أبطل دعوى الخصم فهو مجل جيد، يدفع كيد أعداء الله . . ويعلي كلمة الله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الناس بالنسبة للدعوة ثلاثة أصناف: صنف عرف الحق ويعمل به وآخر يعرف الحق ولا يعمل به، وثالث يعرف الحق ولكنه يصد عنه ويحاول أن يقف في طريقه).

فالأول يدعي بالحكمة، والثاني يذكر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثالث يجادل بالتي هي أحسن^(١) والجدل أمر تدعوا إليه الحاجة في كثير من المواضع والداعية الناجح، لا بد أن يأخذ بمنهج الجدل كما جاء في القرآن والسنة لأنه أقرب إلى قناعة العقول ورضي النفوس.

والجدل بالتي هي أحسن - بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له، ولا تقبيح، حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه الغلبة في الجدل ولكن الإقناع والوصول إلى الحق فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها.

والجدل بالحسنى هو الذي يطمئن من هذه الكبرياء الحساسة ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمه كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها

والاهتداء إليها في سبيل الله لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر . . فلا ضرورة للحاجة في الجدل إنما هو البيان والأمر بعد ذلك لله^(١٨) .

وبعد :

فإذا أردنا النهوض بالدعوة الإسلامية فيجب أن يكون اهتمامنا يفقد الدعوة ومنزلتها وبيان مهمة الداعية وإعداده إعداداً سليماً على منهج كتاب الله وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم عن طريق القدوة الحسنة والأسوة الطيبة، وأن يعاد النظر في وسائل الدعوة ومناهجها، لتعود إلى سالف عهدها، يوم حملها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون واتباعهم وسلف الأمة الصالح، فأصبحت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، ومكن الله لدينه في الأرض . . وذلك بفضل الإيمان والعمل الصالح والاعتصام بحبل الله . والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ .

وقوله سبحانه : ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

الهوامش

- (١) ابن القيم : إعلام الموقعين ج ١ ص ١٠ .
- (٢) رواه الخمسة . أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم . لأنها كشف الحفاه ومريل الالباس عما أشتهر من الأسانيد على السنة الناس ٨٣/٢ .
- (٣) إعلام الموقعين ٩/١ .
- (٤) الشرح محمد أبو زهرة : الدعوة إلى الإسلام ص ٢٣ .
- (٥) المرجع السابق ص ٤٢ ، ٤٣ .
- (٦) الثبروز أباندى : الفانوس المحيط ج ٤ ص ٩٨ .
- (٧) الزبيدى : تاج المعروس ٢٥٣/٨ .
- (٨) تفسير الطبرى ٦٠/٣ .
- (٩) تفسير المنار الشيعى رشيد وصا .
- (١٠) فى ظلال القرآن للشيع سيد قطب .
- (١١) المفردات للراغب .
- (١٢) ابن فارس : معجم مفائيس اللغة .
- (١٣) جامع البيان ١٢/١٩٤ .
- (١٤) الجامع لاسكام القرآن ٢٠/١٠ .
- (١٥) الشركانى : فتح القدير ٢٠٣/٣ .
- (١٦) سيد قطب فى ظلال القرآن ٣٠٢/٤ .
- (١٧) شيخ الإسلام ابن تيمية : الرد على الملقين ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .
- (١٨) فى ظلال القرآن ج ٢٢ ص ٢ .

الدعوة والدعاة بين النظرية والتطبيق

للدكتور / هاشم محمد علي مهدي
رابطة العالم الإسلامي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فإن قضية الدعوة إحدى قضايانا الحيوية والمصيرية فهي الإطار الذى يحدد هويتنا ويحافظ عليها من الذوبان .

إن دعوة الإسلام كانت نقطة تحول فى تاريخ الإنسانية فقد شهد بذلك الصديق والعدو والقريب والبعيد فلولا دعاة الإسلام الذين انطلقوا شرقاً وغرباً لتحرير العقول من ظلام الجهل والأوهام إلى نور المعرفة والإيمان ، وإخراج الناس من عبادة أنفسهم وأهوائهم إلى عبادة الله الواحد القهار فلولاهم ما كانت تلك الحضارة الإسلامية التى استمد منها الغرب تقدمه الراهن والذى يواجه إفلاساً إن لم يستدركه بالإسلام فإنه لامحالة صائر إلى الهاوية دعونا الآن نستعرض فى عجالة سريعة تعريف الدعوة ماهيتها ، ووسائل تكوين الدعوة لوضع الدعوة فى موضع التطبيق :

أولاً : الدعوة هى :

نشر الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً بالقول والفعل وتثبيتها فى نفوس المؤمنين حتى توحيد المجتمع الإسلامى الصالح المؤمن بعقائد الإسلام لشريعته والتخلق بأدابه . ودعوة غير المسلمين لهذا الدين ، وبإختصار فالدعوة منهج وتربية .

ثانياً : حكم الدعوة :

دللت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله وأنها من القرائض وقد صرح العلماء أن الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية بالنسبة إلى الأقطار التى يقوم فيها الدعوة ، وإذا لم يقم أهل القطر المعين بالدعوة على التمام صار الإثم عاماً وصار التوجب على الجميع وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته .

ثالثا : موضوعات الدعوة وأهدافها :

موضوعات الدعوة هي التي ذكرت في تعريفها من نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وتحكيم الشريعة الإسلامية ، واتباع السنة المطهرة في الأقوال والأفعال والمعاملات والسلوك الفردي والجماعي .

وتبين من هذا أن أهداف الدعوة هي المحافظة على الإيمان في نفوس المسلمين وتحصين أبنائهم من الغزو الفكري المنظم المعادي للإسلام ، وتبليغ الإسلام إلى غير المسلمين في العالم .

رابعا : صفات الداعية والشروط المتوافرة فيه :

يشترط في الداعية أن يكون متصفا بصفات أهمها : العلم والتفقه في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعدم الوقوف عند الخلافات المذهبية وتجنب إثارتها مع الصبر والتحمل وأن يكون قدوة حسنة لغيره ورعا نزيها واعيا عارفا بمهمته التي تقتضى منه الإلمام بالبيئة التي يقوم فيها بالدعوة متقيدا بال دستور القرآن في أداب الدعوة عملا بقوله تعالى :

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) ،

وقوله تعالى :

(قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين) .

خامسا : اعداد الداعية :

الداعية هو العمود الفقري في الدعوة إذ لا تقوم الدعوة إلا به لذلك ينبغي أن يكون نموذجا حيا لدعوته وأن يعد إعدادا كافيا لكي يقوم بمهمته خير قيام وذلك

باتخاذ خطوات من اهمها ما يلي :

- أ (العناية بالإعداد العلمى والثقافى للداعية منذ المراحل الأولى فى التعليم وذلك عن طريق إيجاد منهج متكامل من قبل العلماء والدعاة المتخصصين تتوافر فيه الدراسات الإسلامية الصحيحة العميقة والدراسات اللغوية والأدبية العربية وغيرها التى تعين على فهم الإسلام وحسن عرضه فى الأوساط المختلفة ، وازدافة إلى دراسة التاريخ الإسلامى وقدر مناسب من العلوم الانسانية العصرية والإمام بالأديان والمذاهب المعاصرة وحاضر العالم الإسلامى ، ومن المفيد أن يكون ملما بلغة البلاد التى يعمل فيها .
- ب (التوسع فى إقامة المعاهد والكليات المتخصصة فى إعداد الدعاة والعمل على رفع مستوى المعاهد والكليات القائمة وتطوير أساليبها ودعمها ماليا ومعنويا والتوسع فى قبول أكبر عدد ممكن من الطلبة .
- ج (التوسع فى إقامة الدورات التدريبية للأئمة والدعاة القائمين بأعمال الدعوة فى بلدانهم .
- د (اعداد طائفة من الدعاة للعمل فى أوساط المثقفين والطلاب الجامعيين وطلبة المدارس .
- هـ (تدريب مجموعة من الشباب المسلم على القيام بالدعوة ليصبحوا دعاة فى صفوف زملائهم الشباب .
- و (الاهتمام باعداد مجموعة من الداعيات الملمات للعمل فى مجال الدعوة فى الأوساط النسوية .
- ز (تشجيع المتطوعين من الدعاة وتدريبهم وإعدادهم للقيام بالدعوة .

سادسا : منهج الدعوة واساليبها ووسائلها :

يتضمن منهج الدعوة النقاط الآتية التى تضبط سيرها وتلخص مفاهيمها حسب الاصول الموضحة لها، ويأتى فى مقدمتها :

- أ (الاعتماد على القرآن الكريم والاستفادة من أساليبه فى الدعوة والاستعانة بالقصص القرآنى والحديث الشريف مع سير الانبياء وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والدعاة المخلصين .
- ب (الاهتداء بالسنة النبوية فى إرشاد الناس ودعوتهم إلى سبيل الخير والهدى .
- ج (مراعاة قواعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
- د (سلوك مبدأ التدرج فى تحويل المجتمعات من العادات الضالة والبدع إلى الطريق المستقيم تجنباً للإثارة أو تحزب الناس ضد الدعوة .
- هـ (التزام الحكمة والموعظة الحسنة وعدم الغلظة فى القول أو العمل أمثالاً لقوله تعالى :

- (فما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) . . الآية .
- و (استمالة العناصر الطيبة التى يرجى قبولها واستجابتها للدعوة .
- ز (تألف المسلمين وعدم إثارتهم لئلا يقفوا ضد الدعوة .
- ح (الاستفادة من الأساليب العلمية والمتبعة لأى نشاط بدءاً بتحديد الأهداف البعيدة والقريبة والتخطيط السليم والأداء المتقن ثم تقويم نتائجه أولاً بأول .

ومن وسائل الدعوة مايلى :

- أ (الاهتمام ببناء الماجد وإحياء رسالتها وإقامة المدارس والجامعات والنوادرى الثقافية والمكتبات العامة والتعاون مع الجامعات الإسلامية العتيقة الكبيرة كجامعات الأزهر والقرويين والزيتونة وغيرها من الجامعات الإسلامية القائمة والاستفادة منها فى نشر الدعوة الإسلامية .
- ب (الاستفادة من وسائل الإعلام الحديثة من إذاعة وتلفز وصحافة ونشرات وأشرطة التسجيل المموعة والمرئية .

- ج) دعوة القائمين على الجامعات الإسلامية بالالتزام بالتعاليم والأخلاق الإسلامية والتخلي عن المبادئ والعقائد المخالفة للإسلام ليكونوا قدوة حسنة لغيرهم ولطلبهم بصفة خاصة .
- د) توزيع المصاحف والكتب الإسلامية بمختلف اللغات لتصل إلى جميع الطبقات .
- هـ) الاهتمام بإقامة المستوصفات والمستشفيات والملاجيء ودور الرعاية وغيرها من المرافق الاجتماعية التي أصبحت من أهم الوسائل التي تستخدمها الحركات والهيئات المناوئة للإسلام لكسب الأتباع .
- و) العمل على إقامة مركز معلومات متكامل عن أحوال المسلمين ونشاط الدعوة الإسلامية في العالم والحركات الهدامة المعادية لها مع الاستفادة من الأجهزة والأنظمة الحديثة الخاصة بتجميع المعلومات وتصنيفها وتوثيقها .
- ز) القيام بإعداد الدراسات والبحوث عن التيارات الهدامة للاستفادة من تلك البحوث في وضع خطة متكاملة للدعوة الإسلامية ، ومحاربة تلك التيارات .
- ح) انشاء جهاز دائم من العلماء المتخصصين لرصد الحملات ضد الإسلام ودراسة الشبهات حوله والرد عليها، وتنفيذ المناهج التراسمية مما يتعارض مع الإسلام .
- ط) إقامة المؤتمرات والندوات والمحاضرات والدورات وعقد حلقات دراسية لحديثي العهد بالإسلام خاصة .

سابعاً : الإشراف والمتابعة لنشاط الدعوة والدعاة :

- ولأجل التحقق من سير الدعوة ومعرفة نتائجها الإيجابية يجب ان يكون هناك إشراف عام على سير الدعوة وأعمال الدعاة يتمثل في :
- أ) تطوير الجهاز الخاص بالإشراف على سير الدعوة واعمال الدعاة في كل مؤسسة اسلامية اداريا وفنيا .

ب (القيام بالجولات على أماكن الدعوة ومتابعة سير أعمالهم .

ج (ان يقدم الدعوة تقارير شهرية إلى مراجعهم شاملة لأنشطتهم وسير أعمالهم ومعلومات عن الدعوة الإسلامية في مناطق عملهم ، والتحديات التي تواجهها على ان تدرس هذه التقارير بعناية ويستفاد منها في تطوير اعمال الدعوة .

ثامنا : الدعم المادى والمعنوى للدعوة والدعاة :

المال كما يقال عصب الحياة ولانجاح الدعوة لابد من توفير المال اللازم لها والقائمين بها إلى جانب الدعم المعنوى من المسلمين جميعا ويتمثل ذلك فى عدة امور منها :

أ (بحث سبل توفير مصدر تمويل للدعوة من التبرعات العينية والتفدية من الحكومات أو المؤسسات الإسلامية أو أفراد المسلمين أو الاستثمارات أو الاوقاف ، والدعوة للتطوع للقيام بأعمال الدعوة بإنشاء صندوق للدعوة الإسلامية فى جميع الدول الإسلامية وبين الاقليات الاسلامية لتمويل مشاريع الدعوة الإسلامية وحث الأثرياء المسلمين على ذلك .

ب (تحسين رواتب الدعاة حتى يتمكنوا من القيام بمهمتهم كاملة وتوفير وسائل المواصلات وتزويدهم بالامكانيات المتاحة التي تساعد على اداء مهمتهم .

ج (مناشدة الحكومات الإسلامية بتخصيص مبالغ ثابتة فى ميزانيتها لدعم نشاط الدعوة الإسلامية .

د (مناشدة الحكومات بتوفير الحرية للدعاة وحمائتهم من التعرض للمضايقات بحيث يتمكنون من نشر الدعوة الإسلامية بين الناس على بصيرة .

مؤسسات الدعوة واجهزتها :

ضرورة تسيق النشاطات بين المؤسسات القائمة بأعمال الدعوة على اختلاف اشكالها وأنواعها من العناصر المهمة والرئيسة لنجاح الدعوة ولذلك فإنه من الضروري الاهتمام بأسباب دعمها وتهيئة القرص لها للتعاون والتشاور في ما بينها لاتباع خطوات ايجابية في هذا الصدد .

مما سبق ذكره يتضح أن لا بد من توافر مشروعين لاستثمار الدعوة والاستفادة من الدعاة أمتداهما عاجل والأخر أجل فأما المشروع العاجل فهو البدء فوراً في انتقاء طلاب الدعوة على النحو التالي :

- أ) ان يتم الاختيار بواسطة لائحة تعد لهذا الغرض من قبل المتخصصين في الدعوة والتربية .
- ب) تقويم مناهج كليات ومعاهد الدعوة بمشاركة الطلاب الذين لهم حسن التقويم وذلك لمعرفة نقاط الضعف والقوة في المنهج مع مراعاة الفروقات الفردية .
- جـ) التركيز على اللغة العربية كوعاء للقرآن الكريم والسنة المطهرة .

أما مشروع الدعوة بعيد المدى فيلزم له توافر امكانيات كبيرة ومجهودات ضخمة على نطاق العالم الاسلامي اجمع لنشر الوعي الدعوي وتحقيق طموحات المسلمين ولا يكون ذلك إلا برسم خطة عالمية للدعوة الإسلامية من قبل الدول الإسلامية وهو ما نرجو ان يوفق الله المسلمين للقيام به في زمن ما من دهرهم .

وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**حصاد الدعوة الإسلامية
من مؤتمراتها السابقة والبحث عن الأفضل**

بحث مقدم من

الأستاذ الدكتور / عمارة نجيب محمد

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلمعرفة حصاد الدعوة من مؤتمراتها السابقة التي تعددت وتنوعت حتى تكاد تشمل الكرة الأرضية وتغطيها لا بد من التعرف على الأهداف والغايات التي استهدفتها وعملت لتحقيقها.

وهي على وجه العموم وبطريقة إجمالية كما جاء في توصيات واقتراحات هذه المؤتمرات ما يلي:

١ - نشر الإسلام وإذاعته في العالم بطريقة مبسطة سهلة تقوم على أسس الدعوة التي تضمنتها الآية الكريمة ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ .

٢ - التعرف بالدعوة الإسلامية كأسلوب ومنهج لتوجيه الأفراد والجماعات إلى خير وسعادة الإنسان فرداً ومجتمعاً.

٣ - صناعة الرجال وتكوينهم لحمل أمانة الدعوة الإسلامية وتوصيلها بالطريقة العملية السلوكية، بالإضافة إلى قدرتهم على سد حاجة الفطرة البشرية من إجابات مقنعة لكل الأسئلة التي تطرحها وتطلب الإجابة عنها.

٤ - التوجه بالصف الإسلامي نحو الوحدة الحقيقية القائمة على التضامن والأخوة - بالتغاضي - عن مخلفات الماضي الناشئة عن الاختلاف في الفروع واجتهاد الأئمة والفقهاء والمذاهب السياسية.

ولتحقيق هذه الأهداف صدرت عن المؤتمرات على كثرتها توصيات ومطالبات تلخص فيما يلي:

١ - التأكيد على أهمية العمل بأفضل المناهج العلمية والأساليب العملية للوصول إلى حياة أفضل في إعداد النشر الإسلامي وتمكينه من أداء رسالته في الحياة خاصة الدعوة.

٢ - استثمار التجارب والأحداث ونتائج العلم والبحث والتاريخ في تطوير أساليب الدعوة وإعداد الدعوة.

٣ - تقوية سبل التعاون ووسائل الإتصال بين الهيئات والجماعات العاملة في ميدان الدعوة الإسلامية .

٤ - التنسيق بين الجهود والإمكانات والطاقات المبذولة والجاهرة للبلد على الصعيد المحلي لكل دولة وعلى الصعيد العالمي للدول والهيئات الإسلامية .

٥ - بحث ودراسة كل الصعوبات القائمة والتي يمكن أن تقوم في وجه الدعوة الإسلامية ووضع الخطط العملية المدروسة لاجتيازها والتغلب عليها .

٦ - مساندة الدعوة الإسلامية القائمة وتعزيزها وتمكين لها من مواجهة التحديات والتيارات والمشكلات المضادة .

٧ - المتابعة العلمية لحركة الدعوة الإسلامية في أساليبها ووسائلها ومناهجها العلمية ورجائها لتقييم نتائجها وأثرها وعرض نتائج المتابعة على المؤتمرات الخاصة بالدعوة والدعاة .

ولا ريب أن التوصيات والاقتراحات والمطالبات التي صدرت عن مؤتمرات الدعوة والدعاة في العالم الإسلامي والتي أجملتها فيما سبق تغطي جميع مطالب الدعوة والدعاة وتخدم الأهداف التي تستهدفها مؤتمرات الدعوة المحلية والعالمية من الناحية النظرية ويبقى التطبيق تقوم دونه العقبات .

حصار الدعوة من المؤتمرات السابقة :

صدرت عن هذه المؤتمرات الرسائل والبحوث النظرية ووزعت على بعض الهيئات

وتبدلتها بعض المؤسسات وقرأها بعض المسلمين وفيهم من يملك تغيير وتطوير بعض وجوه العمل لخدمة الدعوة وتكوين الدعاة وفيهم من لا يملك شيئاً .

ولهذا فإن حصاد الدعوة الإجمالي كان أدنى وأقل مما كان يظنه المشاركون في المؤتمرات السابقة للدعوة . بل كان دون المستوى الذي يتحقق لأي مؤتمرات أخرى تعقد للتغيير والتبديل في حياة الناس الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

ولكننا لا ننكر آثاراً همة لهذه المؤتمرات على نفوس الأفراد والجماعات والدول هيأت هذه النفوس للمؤازرة أو للمواجهة حسب طبائع هذه النفوس ومعتقداتها .

فقد طالبت المؤتمرات حكومات الدول الإسلامية بنيل القوانين الوضعية والعبودية إلى شريعة الله .

كما طلبت من وزارات التربية والتعليم في البلاد الإسلامية توجيه مزيد من العناية بالقرآن الكريم حفظاً ودراسة، وتنقية مناهجها مما يخالف شرع الله، والعناية بإعادة كتابة التاريخ الإسلامي وإظهار حقائقه التي تعمل على إحياء أجداد هذه الأمة وحب الأجيال للاقتداء والتأسي بأبطالها .

كما طالبت الجامعات بدراسة مادة الثقافة الإسلامية، بالشكل الذي يساعد على تعريف الطلاب بأمس دينهم وأهمية شعائره لتحقيق الكمال الإنساني وتجويد الأعمال والصناعات .

وهي مطالب سهلة التطبيق ولها نتائج سريعة وعملية في نهضة الدول والشعوب الإسلامية .

إلا أن رد الفعل لهذه المطالب لم يتعد التردد اللفظي والاستعداد للعمل وبقي السواقع خالياً من آثارها فيما عدا التهيؤ النفسي لشباب الدول الإسلامية لاستقبال التطبيق فكان هذا مكسباً للمؤتمرات وإن لم يكن محسوباً .

كما طالبت المؤتمرات بالاهتمام الخاص بالمرأة بتربيتها دينياً وثقافياً بالطريقة

الإسلامية التي تؤهلها للقيام بوظيفتها الأساسية في صناعة الأجيال واحسان بناتهم .
ولم تنس أن تطالب بالتوعية الدينية في القوات المسلحة واستمرار ربطهم بدينهم
على يد أئمة قادرين على التوجيه السليم ومخارية المذاهب الهدامة .
كما حث الدول الإسلامية على انتقاء سفرائها في العالم بحيث يمثلون الإسلام في
الخلق والعمل والتوجيه .

وإذا كانت وسائل الإعلام الحديثة قد أخذت مواقع القيادة والريادة في تثقيف
الشعوب وتوجيهها، فقد طالبت للمؤتمرات بضرورة الاهتمام بالإسلام ليكون أساس
عملها ودعوتها وثقافتها وتوجيهها للناس .

وهكذا تضمنت مطالبات المؤتمرات كل صغيرة وكبيرة لتحقيق الاتجاه نحو الإسلام
الحنيف علماً وعملاً، ثقافة وتوجيهاً - دعوة وإعلاماً - تربية وسياسة واقتصاداً
واجتماعاً .

ولم يظهر في الواقع من هذه المطالبات سوى بدايات لا تدخل في الحساب إذا كنا
نبحث عن حصاد هام تتطلع إليه القلوب المخلصة .

البحث عن الأفضل :

ولا شك أن تكرار المؤتمرات، بحثاً عن الأفضل وتأكيداً وتكراراً للمطالب الإسلامية
لمصلحة البشرية أحد الأساليب الضرورية لتنقية الحياة الإسلامية من أسباب
التخلف والتبعية كما أن دراسة السوابق لترقية اللواحق من القواعد الأساسية للبحوث
العلمية .

هذا رأيت بعد الاطلاع على توصيات المؤتمرات السابقة واقتراحاتها ومطالباتها أن
أعالج الموضوعات التالية :

أولاً : وفاء المؤتمرات، بكل التوصيات وشموها لكل المطالب النظرية (بمعنى أنها

تخطت ببحوثها ودراساتها كل ما يسهم في تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية إذا تم تطبيق ما أوصت به وما دعت إليه).

ثانياً : عقبة التطبيق تتمثل في عدد هائل من العوقات والتيارات يجب على المؤتمر المنعقد الآن أن يضع لها خططاً وحلولاً عملية من شأنها أن تحقق عائداً أفضل وحصاداً أوفى .

ثالثاً : يستطيع أعضاء المؤتمر اتخاذ قرارات أو تكوين تشكيلات ثابتة ومتحركة لتحقيق التوصيات السابقة وتطبيقها على نحو جديد أقترحه فيما سيأتي في حديثي عن هذه النقطة .

أما الموضوع الأول وهو (وفاء المؤتمرات بكل التوصيات) فهذا يعني أننا لسنا في حاجة إلى صياغة توصيات واقتراحات جديدة قدر حاجتنا إلى التأكيد على ما صدر عن المؤتمرات السابقة وتكرار مطالبها خاصة ما يتعلق منها بمسؤولية الحكام والوزراء والهيئات ومنظمات الشباب والطلاب في مختلف أنحاء العالم الإسلامي .

وأحسب أن المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة التي دعت إلى عقده الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أوائل عام ١٣٩٧ هـ قد تناول مشكلات الدعوة في واقعها المعاصر من خلال منهجها وأساليبها ووسائلها ورجالها . بطريقة مفصلة وقدم توصياته ومقترحاته ومطالبه لعلاج كل هذه المشكلات . فلم يدع شاردة ولا واردة إلا وأشار إليها وعلق عليها ووضع علاجها .

لقد ندد بالهوة الحيقة التي تردى إليها عالمنا المعاصر ولا زال يتردى عن جهل من القائمين به أو عليه ، أو عن تجاهل منهم ، فبدلاً من أن يكون الإعلام في البلاد منارة إشعاع للحق ، ومنبر دعوى إلى الخير صلب صوت إفساد وسوط عذاب ، وخفت صوت الدعوة والدعاة ، وسط ضجيج الإعلام الفاسد ، وسكت القادة فأقروا بسكوتهم أو جاوزوا ذلك فشجعوا ولبؤوا ، ورجحت كفة الفساد على كفة الدعوة إلى الله وزلزل الناس في إيمانهم وأخلاقهم وقيمهم ومثلهم . وبواصل المؤتمر تنديده فيقرر أن الأمر لم

يعدّ يحتمل السكوت من الدعاة إلى الحق، ومؤثر الدعوة والدعاة يرفع صوته عالياً لأولي الأمر من الملوك والرؤساء والأمراء في الأمة الإسلامية كلها.

أولاً : ليصدروا أوامرهم صريحة إلى أجهزة الإعلام ليتقوا الله فيما ينشر ويذاع.

ثانياً : ليصدروا أوامرهم صريحة لتستقى فيما تقدم من المعين الرباني الصافي ومن الثقافة الإسلامية والمعارف الإنسانية الجادة ما يميز إعلام المسلمين عن غيره.

ثالثاً : أن تهتم وسائل الإعلام وأجهزته إلى جانب ما سبق - برد الشبه والدعاوى الباطلة للموجهة ضد الإسلام على مستوى العالم، وأن تولي الأقليات الإسلامية أهمية خاصة.

رابعاً : يراعى اختيار المناهج الصالحة إسلامياً للبيث الإعلامي كما يراعى التوازن والتعاون بين مناهج التربية وبرامج الترويح المباح، وركز على وجه الخصوص الاهتمام بالقرآن المرتل مع برامج تثبت العقيدة والأخلاق إلى جانب الإهتمام باللغة العربية الفصحى أداء ونشراً وتعليماً للأقطار الإسلامية الناطقة بها وشقيقتها غير الناطقة بها وفي كل الأحوال يراعى الاقتصاد في الإرسال على أوقات تسمح بأداء شعائر الإسلام وحاجة الطلاب إلى التحصيل والمذاكرة.

خامساً : أن تنشأ في البلاد الإسلامية كليات للإعلام الإسلامي وكذلك أقسام للإعلام الإسلامي تتبع الكليات المناسبة لإعداد رجل الإعلام المسلم الصالح الذي يستطيع أن يمد هذا الجهاز الخطير من المعين الإسلامي الصافي. . وحتى تقام هذه الكليات والأقسام لا بد أن تراع الجهات، الإسلامية القائمة إلى إدخال مادة الإعلام الإسلامي مع مواد كليات الشريعة والدعوة والقرآن وأصول الدين بالإضافة إلى المواد الإسلامية الحديثة كالفقه السياسي والاقتصاد السياسي وكذلك مادة الغزو الفكري الحديث.

سادساً : يختار رجل الإعلام ممن يطمأن إلى عقيدته وخلقه وسلوكه مع إعداد دورات علمية إسلامية لرجال الإعلام.

سابعاً : دعم الصالح من الصحافة الإسلامية القائمة، وكذلك وكالات الأنباء الإسلامية والإذاعات الإسلامية المتخصصة وإنشاء إذاعة عالمية إسلامية ومطابع حديثة كاملة تصدر الكتب الإسلامية والنشرات الإعلامية مع استئجار مساحات في الصحف الأجنبية لنشر الدعوة الإسلامية عن طريقها.

ثامناً : إصدار صحف دورية متخصصة في كل دولة إسلامية تعرض لمشكلات العالم الإسلامي وتدافع عن قضاياها، وتبرز المظالم الواقعة على المسلمين المضطهدين بعمامة والأقليات المسلمة بوجه خاص.

تاسعاً : بما أن للنسب لا يزال له مكان الإعلام الأول فينبغي الإهتمام الزائد بالمسجد وإمامه علمياً وأدبياً ومادياً مع التركيز على حسن اختيار الأئمة والخطباء الأكفاء وإقامة دورات لهم بما يجعلهم موضع القوة للمجتمع كله.

عاشراً : العمل على رعاية الإعلام الإسلامي المتخصص للناشئة نشراً وصحافة ونشراً إذاعياً وتلفزيونياً . رعاية إسلامية كاملة.

حادي عشر : إنشاء نادي القلم الإسلامي «يضم حاملي الأقلام الإسلامية في مواجهة النوادي المنحرفة عقيدة وخلقاً».

ثاني عشر : إنشاء اتحاد عام للصحافة الإسلامية لتيسير تبادل الأنباء والموضوعات والأحداث الإسلامية العالمية.

ثالث عشر : مواجهة خطر الكنائس والمدارس التبشيرية ومناشدة القادة المسلمين بالتخلص منها وعدم السماح بإنشائها والترخيص لها وخاصة في دول الخليج وبقية دول الجزيرة .

رابع عشر : إنشاء رقابة في كل دولة إسلامية على الصحف والمجلات والأفلام والمسرحيات حتى تسير على منهج إسلامي .

خامس عشر : نظراً للتعظيم الإعلامي على أخبار العالم الإسلامي فإن المؤتمر يرى

أن تقوم رابطة العالم الإسلامي بإنشاء مركز إعلامي يستعين بمعطيات العلم الحديث في أدوات الاتصال «كالتللكس» وغيره ويعتمد في معلوماته على الحركات والجمعيات الإسلامية ومنظمات الشباب والطلاب والدعاة أفراداً وجماعات مع وضع فروع رئيسية في أماكن مهمة لرصد الأخبار والمعلومات وتبليغها فوراً إلى المركز الذي يتولى توزيعها على المنظمات والجمعيات.

ما تفرضه معوقات تطبيق التوصيات :

كثرة المعوقات والتيارات التي تواجه الدعوة الإسلامية، تفرض على العلماء أن يخلعوا ثياب الدفاع ليلبسوا ثياب المواجهة العملية والحوار العلمي الواعي على أن يتم هذا من خلال خطة محسوبة ومنظمة يتفق لها المخلصون علماء متخصصين يضرغون لهذا العمل وينتجون فيه ما ينشر ويذاع وما يدرس ويباع . أو يشرفون عليه . بمعنى أن الكتابات التي تستطع مواجهة المعوقات والتيارات المضادة يجب أن تكون مختارة ونسافذة المقبول ومدعمة من هيئة تسهر على اختيار الكتاب والباحثين والكتب والبحوث والكلمات المنشورة.

وهذا الأمر يحتاج إلى اتصال مباشر بين دور نشر متخصصة وإذاعات وصحف وغيرها من وسائل مستعدة لخدمة العمل الإسلامي وبين لجان يختارها علماء المسلمين لانتقاء ما ينشر ويذاع وإعداد أعمال مقبولة للنشر والإذاعة.

ذلك لأن الاكتفاء بالتوصيات والاقتراعات والمطالبات لا يغير من أوضاع الحياة الإسلامية ولا يقدم لها حصداً يتوازن مع ما يبذل من إعداد المؤتمرات ونشر بحوثها .

وبمناسبة الدعوة إلى الاتصال المباشر بين أئمة الدعوة في العالم وبين جهات وهيئات النشر والإذاعة، يمكن توسيع نطاق هذا النوع من الاتصال بحيث يتم بين العلماء والحكام والوزراء المسؤولين لتحقيق التوصيات والاقتراعات التي تصدر عن مؤتمرات الدعوة والدعاة .

ولا ريب أن هذا النوع من الاتصال يحتاج إلى دقة وحكمة في اختيار العلماء

القادرين على إدارة الحوار واستثماره لصالح الدعوة الإسلامية - وهو أيضاً مما توصي به المؤتمرات ولم يدخل حيز التنفيذ .

ومن حسن حظ المصلحين أن الإسلام لا يعادي شخصاً بعينه ولا جماعات أو شعوباً لذاتها بل يعمل لخير كل الناس أفراداً وجماعات، ومن مدخل الخير لكل الناس يدخل العلماء إلى قلوب الحكام والمسؤولين لأن الخير هدف مشترك يطلبه عامة الناس وخاصتهم .

فليكن الخير قصد السياسة وغاية الاقتصاد ووظيفة الاجتماع وعندما تجري المقارنة بين اتجاه الإسلام الذي يحفظ طاقات الناس وينميها ويحسرها بخير الفرد والجماعة وبين اتجاه الفلاسفة الوضعية التي تبعد هذه الطاقات أو تبعد معظمها في الصراع والجري وراء الشهوات والأهواء .

إن الإسلام يضمن لأهله خطوات سريعة نحو التقدم والبناء والحضارة بمحافظته على طاقات الشباب واستثماره هنا في الخير والفضيلة والإنتاج .

بينما تفقد الفلاسفة الوضعية خطوات الشباب إلى التحلل والإباحية وغيرهما مما يسبب العقد النفسية والصراعات المذهبية واستنفاد الطاقات في اللذات البهيمية .

خلاصة القول :

إن التخطيط لحلول عملية يتحرك بها العلماء بالإتصال الشخصي المباشر أجدى وانفع لتحقيق حصاد أغنى وأفضل في كل المجالات وهذا يرفع معدل العطاء هنا المؤتمر، خاصة في مجال الدعوات، والتيارات المضادة والتي نصت عليها وحددتها المؤتمرات السابقة ، أو أشارت إليها مثل :

الباطنية - البهائية - القاديانية (الأحمدية) الرأسالية (الليبرالية) التبشير والاستشراق
- الاشتراكية - الشيوعية - الماسونية - اليهودية العالمية (الصهيونية) - العلمانية - القومية
- الإباحية - الوجودية . . . إلخ .

وتوصي المؤتمرات في شأنها بما يلي :

١ - دعوة الحكومات الإسلامية إلى حل الأحزاب الشيوعية والأحزاب الأخرى المعادية للإسلام وحل الجماعات البهائية والقاديانية والماسونية بفروعها وما شاكلها والقضاء على نشاطها حماية للمسلمين من فتنهم .

٢ - الدعوة إلى تحقيق مبدأ التكافل الإجتماعي الذي جاء به الإسلام عملاً بشرع الله وإغلاقاً للأبواب أمام الدعوات المادية المضادة للإسلام .

٣ - يستنكر المؤتمر التشكيك في نسخ الإسلام للشرائع السابقة فإن الإسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده ولا يقبل من أحد سواه وهذا مما لا خلاف فيه بين علماء الإسلام وهو المعلوم من الدين بالضرورة كما قال الله تعالى : ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ .

كما يستنكر استغلال التسامح الديني الذي يتميز به الإسلام لإزالة الفوارق بين الأديان واختلاط الكفر والإيمان وتسوية التوحيد بالتثليث .

٤ - توعية المسلمين لإخراجهم من موقف الضعف والمدافعة إلى موقف القوة والمجاهدة .

٥ - مناقشة الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي بجدة للإتصال بالدول الأعضاء في المؤتمر والأعضاء في هيئة الأمم لكي يعملوا على تمكين المسلمين الذين يعيشون تحت ظل حكم شيوعي من ممارسة شعائر دينهم وإطلاق الحرية الدينية لهم تنفيذاً لما جاء في اتفاقية هلسكي عام ١٩٧٦م وكذلك العمل على تمكين المسلمين الذين يعيشون في ظل حكم آخر غير إسلامي من ذلك .

٦ - تحذير المسلمين من الدعوة المشبوهة التي روجها أعداء الإسلام لتحديد النسل واستنكار ما تقوم به بعض الحكومات من إجبار المسلمين على تحديد نسلهم بطريق التعقيم الإجباري .

٧- منع الإختلاط بين الجنين لصيانة أخلاق المجتمع الإسلامي وإزالة المفاهيم الخاطئة التي روج لها أعداء الإسلام باسم تحرير المرأة .

٨- العناية باللغة العربية والعمل على نشرها على أوسع نطاق بين المسلمين والتحذير من الدعوات المشبوهة لترويج العامة واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية .

٩- توصية الدول الإسلامية والعربية منها خاصة بإنشاء مراكز ثقافية في مختلف دول العالم لتعليم اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية .

١٠- يوصي المؤتمر الحكومة السعودية بتبني مشروع دائرة معارف إسلامية على الأساليب العلمية السليمة لتكون مرجعاً إسلامياً أصيلاً مع العناية ببيان أخطاء دائرة المعارف الإسلامية التي وضعها المستشرقون والتي هي حافلة بالأغلاط والمغالطات العلمية في طريقة البحث ومنهجه ومادته فضلاً عما فيها من الافتراء على الإسلام وحضارته وتاريخه .

١١- تبصير المسلمين بالمؤامرات اليهودية قديماً وحديثاً وكشف المخططات الصهيونية التي تعمل للقضاء على الشخصية الإسلامية بنشر الإلحاد والانحلال الخلقي لتصل إلى غرضها في السيطرة على العالم بأسره وحث أهل العلم والفكر على مواصلة النشاط لإطلاع المسلمين على تلك المؤامرات ومجابهتها .

١٢- توصية القائمين على المدارس الإسلامية في أفريقيا وغيرها بإنشاء أقسام مهنية يتدرب فيها الطلاب على بعض الحرف والصناعات التي تمكنهم من كسب رزقهم مع اشتغالهم بالدعوة إلى الله بعد التخرج .

١٣- يذكر المؤتمر بما انتهى إليه المؤتمر الإسلامي المسيحي الذي دعا إليه مجلس الكنائس العالمي المنتعقد في جنيف في يونيو ١٩٧٦ الذي اعترف مبدئياً أسفه الشديد لأن الإرساليات التبشيرية المسيحية في ديار المسلمين قد تسببت في إفساد الروابط بين المسلمين والمسيحيين كما اعترف بأن تلك الإرساليات كانت تضع نشاطاتها في خدمة

الدول الأوروبية المتعمرة وتستخدم التعليم وسيلة لإفساد عقائد المسلمين والذي تعهد فيه الجانب المسيحي في المؤتمر بإيقاف جميع الخدمات التعليمية والصحية التي تستخدم لتتصير المسلمين .

وهذا يوصي المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة كافة الدول الإسلامية بالعمل على تنفيذ القرار الذي تعهد به المؤتمر الإسلامي المسيحي وذلك بحظر نشاط المؤسسات التبشيرية التعليمية والاجتماعية وإحلال الهيئات الإسلامية العاملة فيها محلها، مع أخذ من السماح بإنشاء مؤسسات مشبوهة تحت أي ستار .

١٤ - إحسان اختيار المؤسسات العلمية في الدول الإسلامية لمن يمثلها في كل المؤتمرات التي ترى المشاركة فيها وتزويده بكافة البيانات التي تعينه على أداء مهمته .

١٥ - تحذير المسلمين من النشاطات المعادية للإسلام التي تنتفع في مؤتمرات بأسماء مختلفة مثل مؤتمر العلوم الإنسانية ونوادي الصداقة والمؤسسات الثقافية والندوات الاجتماعية المشبوهة كالروتاري وليونز وإسكان إلى آخره .

١٦ - استنكار جميع ما تقدمه وسائل الإعلام في الدول النورية مثل الروايات المملة التي تظهر المسلمين في صورة مزرية ووضع اسم (مكة) على نوادي القمار والرقص .

١٧ - التحذير بصفة خاصة من البهائية والقاديانية لأن معتقديهما يحاولون التسلل إلى المناصب الهامة في بعض الدول الإسلامية لبث الفرقة وإهتاج الفتنة بين المسلمين والدعوة إلى نحلتهم الكافرتين .

١٨ - تشجيع الجمعيات الإسلامية التي تعني بتربية ناشئة المسلمين ودعوتها إلى تنقيت جهودها لصد التيارات المعادية للإسلام .

١٩ - مطالبة الحكومات الإسلامية بأن تسعى لدى الدول التي لم تعترف بالإسلام ديناً بأن تعترف به لتأمين حقوق المسلمين المقيمين بها وبنو المؤتمر بموقف (بلجيكا) بهذا الشأن .

٢٠ - استنكار ما يجري في بعض الدول من تغيير أسماء المسلمين إجبارياً أو حملهم على ذلك بأساليب ملتوية .

٢١ - إنشاء اتحاد للهيئات الإسلامية في كل دولة ينظم جهودها وخططها وإعانتها بالإمكانات المادية اللازمة تمهيداً لإقامة اتحاد إسلامي أوسع .

٢٢ - التطبيق العملي «لبدا التناصر بالإسلام» وذلك :

(أ) بمعاونة المسلمين المخلصين على أن يتولوا مراكز التوجيه .

(ب) وتجميع القوى الإسلامية المبعثرة وتوحيد اتجاهاتها .

(ج) والدعوة إلى إقامة العلاقات الداخلية والخارجية على أساس الإسلام .

٢٣ - مطالبة الحكومات الإسلامية ومناشدة المسلمين بمناصرة إخوانهم المضطهدين واستنكار الجرائم البشعة التي ترتكب ضدهم في بعض الدول : كالصومال واليمن الجنوبي، والفلبين، وأريتريا، وأثيوبيا، وفضائي .

٢٤ - يناشد المؤتمر جميع المسلمين بالاهتمام بتحرير فلسطين وسائر الأراضي المحتلة وتخليص المسجد الأقصى من أيدي اليهود المعتدين .

٢٥ - حث الجامعات الإسلامية على تتبع افتراءات المستشرقين على الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام، والرد عليهم .

إصدار قرارات :

وبناء على ما تقدم يمكن للمؤتمر أن يصدر قرارات واجبة التنفيذ في كل ما يستطيع علماء الإسلام تنفيذه دون إعانة من الحكومات أو المسؤولين في أي مكان في العالم الإسلامي لتكون هذه القرارات خطوة إيجابية على طريق تحقيق حصاد أفضل تتبعها خطوات لها ثمارها المباشرة ونتائجها السريعة.

القرار الأول :

تأليف كتاب سهل التناول سلس العبارة في النظم والثقافة الإسلامية يتضمن إجابة شافية مقنعة لكل التساؤلات التي يطرحها العقل الإنساني فيما يتصل بعلاقة الإنسان بنفسه وعلاقته بأسرته وعلاقته بمجتمعه، ثم علاقته بكون الله وما فيه من نعم وطاقات تشهد بقدرة الله وعلمه وإحاطته ثم علاقته بالنظم والقوانين السياسية والإقتصادية والاجتماعية.

وموقف الإسلام من مفاهيم العلم والحرية والعدالة والمساواة وغيرها من مفاهيم عشت بها القوانين والنظم الوضعية فزيغتها وقدمتها للناس في صورة مشوهة تنتصر للشهوات والأهواء وتقدم الغرائز وتؤخر العقول.

مثل هذا الكتاب يمكن أن يسهم في كتابته عدد من علماء المسلمين يوزع عليهم فصوله، ويقدمونه حبة لله يوزع على شباب الجامعات في العالم الإسلامي كله على نفقة الأمراء واغنياء العالم الإسلامي الذين عهدنا فيهم هذا الفضل وبراغمي في هذا الكتاب أن يقدم الإسلام بنفس الصورة السهلة المقبولة المتغاضية عن الخلافات المذهبية والسياسية وأهمية هذا الكتاب ترجع إلى اعتباره عوضاً عن سلبية الجامعات في تنفيذ التوصية الخاصة بتدريس مادة (الثقافة الإسلامية) بكلياتها.

القرار الثاني :

تشكيل لجنة أو لجان الاتصال الشخصي المباشر لمتابعة تنفيذ التوصيات والقرارات التي تصدر عن مؤتمرات الدعوة.

ويراعى في هذه اللجان أن تكون قادرة على الإلحاح وتكرار عروضها بطريقة مهذبة تستند إلى الحكمة وتعتمد على المنهج العلمي الصحيح وهذه اللجان يمكنها التحرك ومواجهة المسؤولين وجهاً لوجه لأن الاتصال الشخصي المباشر أقوى وسائل الدعوة والتأثير فاعلية واقناعاً بإجماع الآراء، وهذا ما يوجب على المؤتمرات، الخاصة بالدعوة اتخاذ هذا القرار وتنفيذه من جانبهم، على أن تقوم رابطة الجامعات الإسلامية بأربطة العالم الإسلامي أو غيرها من الهيئات ذات الوزن العالمي الكبير بتيسير اللقاءات الشخصية لأعضاء لجان الاتصال الشخصي . وتحديد مواعيدها مع كبار المسؤولين في العالم الإسلامي .

أما المواقع التي يسهل على لجان الاتصال الشخصي مقابلة مسؤوليها كالسفارات ومديري الجامعات، فإن الواجب يقتضي التفاهم معهم بالطريق المباشر لإقناعهم بتطبيق ما توصي به مؤتمرات الدعوة، ويتصل بأعمالهم ومسؤولياتهم ولا شك أن قرار تشكيل لجان الاتصال الشخصي تحتاج إلى دراسة وتوقيع اعتمادات مالية لتسهيل حركتها .

وهذا ما يوحي بضرورة القرار التالي :

القرار الثالث : إنشاء صندوق خدمات الدعوة:

وهو أيضاً من توصيات المؤتمرات السابقة، إلا أن إخراجها من حيز التوصية إلى حيز التطبيق مسؤولية أعضاء هذا المؤتمر، ولتكن البداية منهم بأي مبلغ مهما كان ضئيلاً لفتح حساب لهذا العمل الإسلامي الجليل .

وحتى تتمكن الجامعات الإسلامية من مبادلة بعضها بعضاً وسائل تعزيز الثقافة الإسلامية وإعداد الدعوة وتمكنهم من أداء رسالتهم .

وفق الله المؤتمر وأعضاءه والمشاركين في إعدادها إلى ما فيه الخير والتقدم للبلاد الإسلامية . . .

أ. د/ عمارة نجيب محمد

USE OF TECHNOLOGY FOR THE TRAINING OF DU'AT

ANIS AHMAD

The use of technology for da'wah purposes raises some doubts as well as offers promise for a better future. The fear is mainly due to the possibility of developing a techno-culture (AHMAd, 1987). In the West the transcendence of technology not only at a functional level but at an axiological level has often substituted the traditional values with a new set of values provided by techno-culture. Consequently progress and development in a Western context is judged by technological advancement.

It is interesting to note that functionalist-behaviorists, in modern Western social sciences, suggest development of a technology of human behavior (Skinner, 1972). Muslim Social Scientists, on the contrary, aware of the ideological poverty thus caused, have only recently started to talk about building a new framework of thought with the help of Islamic pre-suppositions (al-Faruqi, 1982). However, some of the Muslim Scientists and most of the political leaders still believe that their key to progress lies in technology and in its transfer and development.

Important as it is, technological development does not mean improvement in the human condition. Consequently, a number of the technologically more advanced countries, despite a techno-culture, face a miserable situation at individual and social levels.

Then how can we use technology without being enslaved to it? To be more specific how can a da'iyah counter the threats of a techno-culture and at the same time use modern technology for da'wah? This research paper makes an attempt to answer this question.

What is Techno-culture and how to avoid it ?.

We use the term techno-culture in a wider sense to refer to that attitude and behavior pattern which follows a technological ethics. It determines the role of man in the framework of a technological society.

For example in a techno-culture technological superstructure determines the size of human society. While in a man-centered culture, technology is to be tailored in view of human need. For example in a given situation where manual labor is abundantly available it will be illogical and un-ethical to develop a technology which does not absorb reasonable quantity of labor. In other words, a major problem of techno-culture is that it helps in development of institutions which deny the very architect of techno-culture the fruit of his efforts.

Therefore, when we refer to use of technology for da'wah we mean making technology subservient to the objectives and methodology of da'wah.

Let us see what these objectives are and how they could be achieved in a better way through use of technology.

Objectives of Da'wah :

For our own convenience we may divide objectives of da'wah into long term and short term objectives. the long term objectives of da'wah are :

1. Realization of Allah Subhanahu Wa Ta'ala's authority in all aspects of life.
2. Building a community (Ummah) with full involvement in Alamr bil ma'ruf wannahi' anil Munkar.
3. Dissemination of Islamic message at a universal popular level.
4. Maximum elimination of injustice, exploitation, and corruption from society (Taghut, Zulm, Fasad).

However, in view of a given situation short term objectives of da'wah may also be identified. In a normal situation these will include :

1. Development of necessary structure for the dissemination of Islamic message.
2. Development of a net-work of training programs for Islamic workers.
3. Development of an effective feed in and feed back system of da'wah.
4. Development of possible solutions for socio-cultural, economic, and political issues

In order to achieve short term and long term objectives of da'wah a step by step strategy needs to be devised. While developing this strategy one cannot disregard the role of technology. What are the areas where use of technology can improve da'wah programs and activities ? In the following we try to identify such areas.

1. Da'wah at person to person level :

Traditionally person to person da'wah is done mostly through private visits or through distribution of Islamic literature. The communication revolution has made it more convenient for us to reach others in a more personalized manner. for example, use of modern mailing devices. In order to reach out hundreds and thousands of possible recipients of Islamic message, the duat should be trained in how to use computerized lists of addresses, (available at a very low cost). They may also be trained in how to develop such lists with the help of telephone directories, subscription lists of newspapers and magazines and membership rosters of local libraries. Besides, they may develop an effective 3"X5" reference card catalogue by distributing blank cards among participants in public meetings and requesting them to fill in their names and addresses. These addresses may be arranged alphabetically and used for personalized letters, messages, publications etc.

2. Mass contact :

In order to reach large number of people public meetings, corner meetings, and rallies can be arranged. However, these will require use of modern gadgets e.g. public address system. Mobile and less costly PA system can be developed for da'wah purposes. For example, a very simple system consisting of a brief case with built in 8" speakers and a dry-cell-operated amplifier can easily make a speaker heard in a group of about 200-300 persons. All major brands produce megaphones with detachable or built in microphones. These are also run on dry cells and are effective for smaller groups.

Megaphones are ideal for small groups and rallies. They help control the movement of a group as well as help in developing short speeches. Megaphones should be used for da'wah purposes in parks, recreational areas, market places, and even trains. Islamic workers may use the travellers' time to convey Islamic da'wah to them with the help of this very simple mechanical device.

In order to have mass contact two major technologies must be utilized to our fullest capabilities, first radio and second television.

3. Use of Radio :

In terms of listeners, Radio has larger and varied audience. According to an estimate about 800 Radio stations are operating in Asia to spread Christianity. The reason Radio is so popularly used is its easy access to listeners. A farmer as well as a traveller in a car or a bus can listen to Radio. No doubt T.V. and home video recorders have heavily influenced the listening and viewing habits of people. Yet millions of people switch on their radios to listen to news and music.

Islamic message needs to be given not in the form of long moralizing lectures but through news, news commentaries, sports news and commentaries, Islamic songs, Radio dramas and shorter programs.

To have an effective da'wah program through Radio requires some home work. Islamic workers (du'at) must undergo extensive training to produce such programs. They must join Training Academy's for Radio Producers to get necessary training in audio recording, editing, dubbing, script editing, and comparing. They should learn to convey their message in between the lines in the shortest possible time.

If a worker can learn how to produce a radio program of 20 minutes duration with professional skill it will not be difficult for him to produce a program of 10 hours.

4. Use of Audio Cassettes & Recorders :

Although color vision has more appeal to the viewers, audition can also be very informative and effective. Not too long ago in one of the Muslim countries, effective use of audio cassette recorders, for conveying of messages led to a nation-wide revolution.

The great benefit of audio cassette is that it can be educative to even a person who cannot read or write. This is why, besides sending His message in book form, the message was also conveyed in a recitation (Qira).

Muslim du'at must make best use of audio recorders. These could be used to teach prayers, to give guidance about public health and hygiene, world affairs, Islamic issues etc. Selections from the Qur'an and ahadith, and lessons on fiqh and sirah, could be recorded on audio tapes and distributed.

Audio recorders could be used in places where even electricity is not available. Dry cells or even windable recorders are available and are being used by some Christian Missionaries in Bangladesh.

5. Use of Video for Da'wah :

Today, the media revolution has made video players accessible in most of the places where electricity has reached, even in villages. Many developing nations have introduced educational T.V. Channels. A number of private and church organizations have produced promotional and propagational programs. Therefore, it is no longer difficult for da'wah oriented organizations to produce video programs on various aspects of Islam.

Keeping in view the western mind, it will be appropriate to produce educational material dealing with Islam as a culture, and as a movement for social change.

How Islam solves contemporary problems and issues will serve the purpose

better than producing lectures on aqidah. Thematic treatment of the Qur'anic ayat and ahadith of Rasul alayhe assalat wa assalam will be more useful than simply producing Qur'anic recitation and its translation.

Poetry and literature are one of the most effective means of communication. Video programs with a literary touch and use of poetry and songs can produce better results for da'wah (The Da'wah Academy of the international Islamic University, Islamabad (PAKISTAN) plans to produce such programs in near future insha Allah).

6. Use of data analysis :

The micro-chip revolution has made micro computers and processors accessible even for private use in homes. The da'wah oriented organizations must make use of this new technology for the scientific analysis of important information.

In many growing communities, Muslim organizations are not aware of the ethnic, religious, economic, educational, social, and cultural background of the new Muslims (Converts to Islam). No scientific research is done to find out factors helpful in better communication of Islamic message (da'wah). Indeed, hidayah and dalalah is from Allah Subhanahu Wa Ta'ala, yet better use of resources and information can lead to better results. The Qur'an exerts that we must use most appropriate speech, and manner in conveying our da'wah (al-nahl 16: 125) which means that all available means must be used for da'wah. To illustrate my point, I may refer to communities where ethnic, linguistic, and religious diversity exists. In such communities no one fixed method can be applied for Islamic propagation. Similarly, not every da'yah will know the socio-cultural, economic, educational, and psychological background of the addressee. However, if da'wah organizations use modern technology in collecting data and making analysis of information it will help tremendously in developing appropriate methodology for mass-contact and communication of da'wah.

7. Use of Mobile A.V. Units :

Modern technology has made it very easy for us to use new promotional techniques for da'wah. Multi-purpose Mobile Vans can be developed for field work in da'wah. These vans may include collapsable bookshelves, audio and video projector facilities and public address system (P.A. System).

The da'wah organizations may decide on the area of its work and with the help of a Coordinator the van may visit fixed points. At these fixed points the van may provide a display of useful books on Islam which may also be loaned to the readership in that community. The unit may show video programs or even lend video and audio cassettes to people on a membership basis.

The unit may be parked in a public park and a lecture or address may be delivered in a corner meeting or in a nearby playground.

8. Use of Modern Advertisement Techniques :

Mass communication through advertisement is a fast growing industry. However, very little use has been made of advertisements and posters for da'wah. We can easily reach larger numbers of people through this method. Our du'at should be professionally trained. They should know clearly their audience and readership. Radio, T.V., and newspapers and magazines must be used for da'wah based advertisements, posters, and slogans.

The Chinese and after them the socialist revolutionaries in Cuba have made an excellent use of posters and slogans. They have tried to reach youth and masses through ideological messages given in slogans and colorful posters.

Muslim preachers should be trained to make use of this modern technique of communication.

9. Overhead Projectors :

Modern educational aids, such as overhead projectors are very much helpful in elaborating and conveying a message. The training programs for Muslim

da'at should include training in how to make best use of overhead projectors and 35 mm slides.

Use of 35 mm slides is comparatively expensive. It involves development of a series of transparencies, organizing them, and then developing a narrative to suit the program. However, with a little creativity very attractive programs for da'wah can be developed on 35 mm slides.

Muslim preacher, today, needs to learn a lot besides oration and in-depth knowledge of Islam. His best introduction is his humility and strength of character.

However, he must have working knowledge of mass media and communication techniques. He must have professional knowledge of handling audio-visual equipment. He should be able to understand the craft of modern journalism.

He must acquire working knowledge of how to manage and organize things and how to deal with people. In other words, he should have a fair idea about administration of things.

He cannot go ahead in da'wah work without having basic knowledge in planning. Planning is a science and he must know he can develop a feasible action plan for da'wah.

It will be realistic to say that we are only about to start a scientific, systematic, and planned da'wah activity. We are raising questions, such as, use of technology for da'wah at a time when others have already established a tradition of using technology for their missionary activities.

However, our asking meaningful questions is a sign of optimism and with the help of Allah Subhanahu Wa 'Ta'ala, our sincere efforts are bound to bring positive results. There is no single step taken in the way of Allah which is not responded to with twice the enthusiasm and warmth by Allah Subhanahu Wa

Ta'ala Himself. If we walk one step towards Him he comes two steps near us. Therefore, all sincere efforts done by us are bound to bearing fruit' not only in this world but in life hereafter.

May Allah provide us with His special help in making best use of modern technology in His way and in calling humanity to His cause.

Wa akhiru da'wana anil hamdulillahi rabbilalamin.

REFERENCES

1. «The Challenge of Techno-culture», unpublished paper submitted to 5th international Conference on Islamic Education, Cairo, March 8-12, 1987.
2. Al-Faruqi, Ismail R., Islamization of Knowledge : General Principles and Workplan, Washington D.C., International Institute of Islamic Thought, 1982.
3. Skinner, B.F. Beyond Freedom and Dignity, New York, Vintage Books, 1972.

* Prof. Dr. Anis Ahmad is presently Director General, Da'wah Academy of the international Islamic University, Islamabad (PAKISTAN) and Professor of Comparative Religion. He has also served as Dean, Faculty of Usul al Din and Vice President of the International Islamic University, Islamabad (PAKISTAN). He has taught at Karachi University, Appalachian State University, North Carolina, USA, and Temple University, Pennsylvania, USA. He is past President of Association of Muslim Social Scientists, USA. He is also on the Steering Committee on Islamics in American Academy of Religion. His recent publication include : Muslim Women and Higher Education, Islamabad, IPS, 1984.